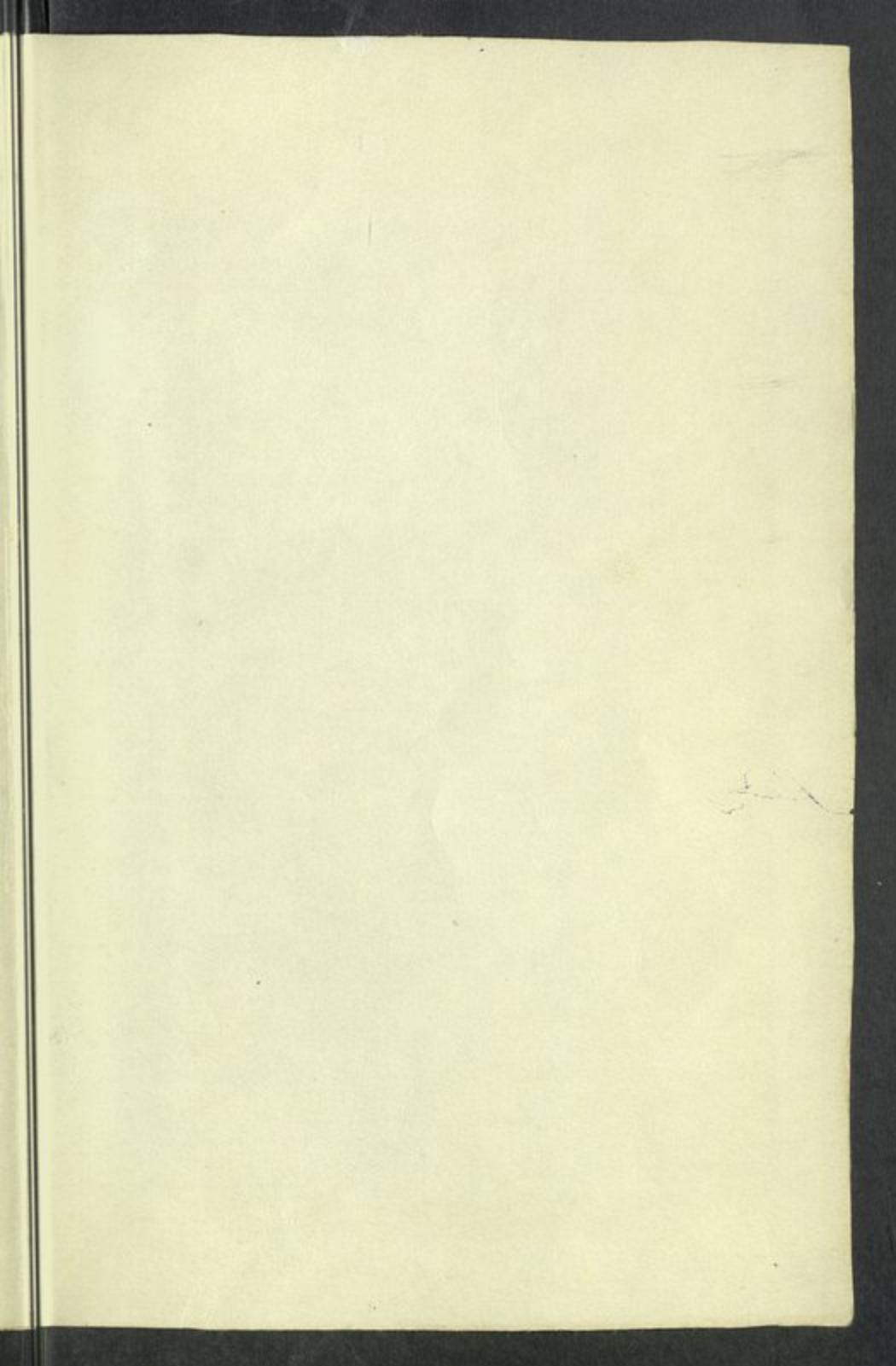
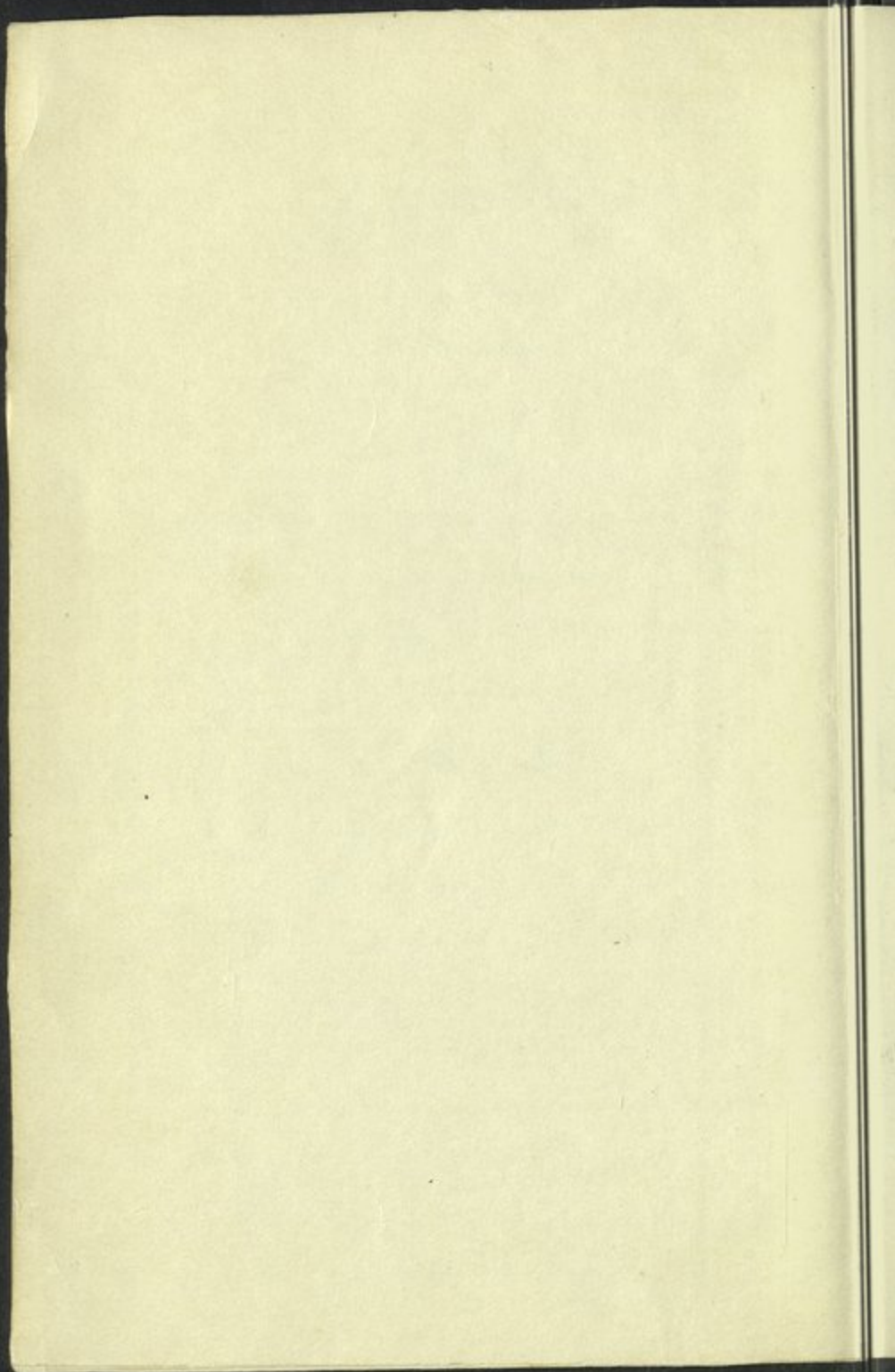
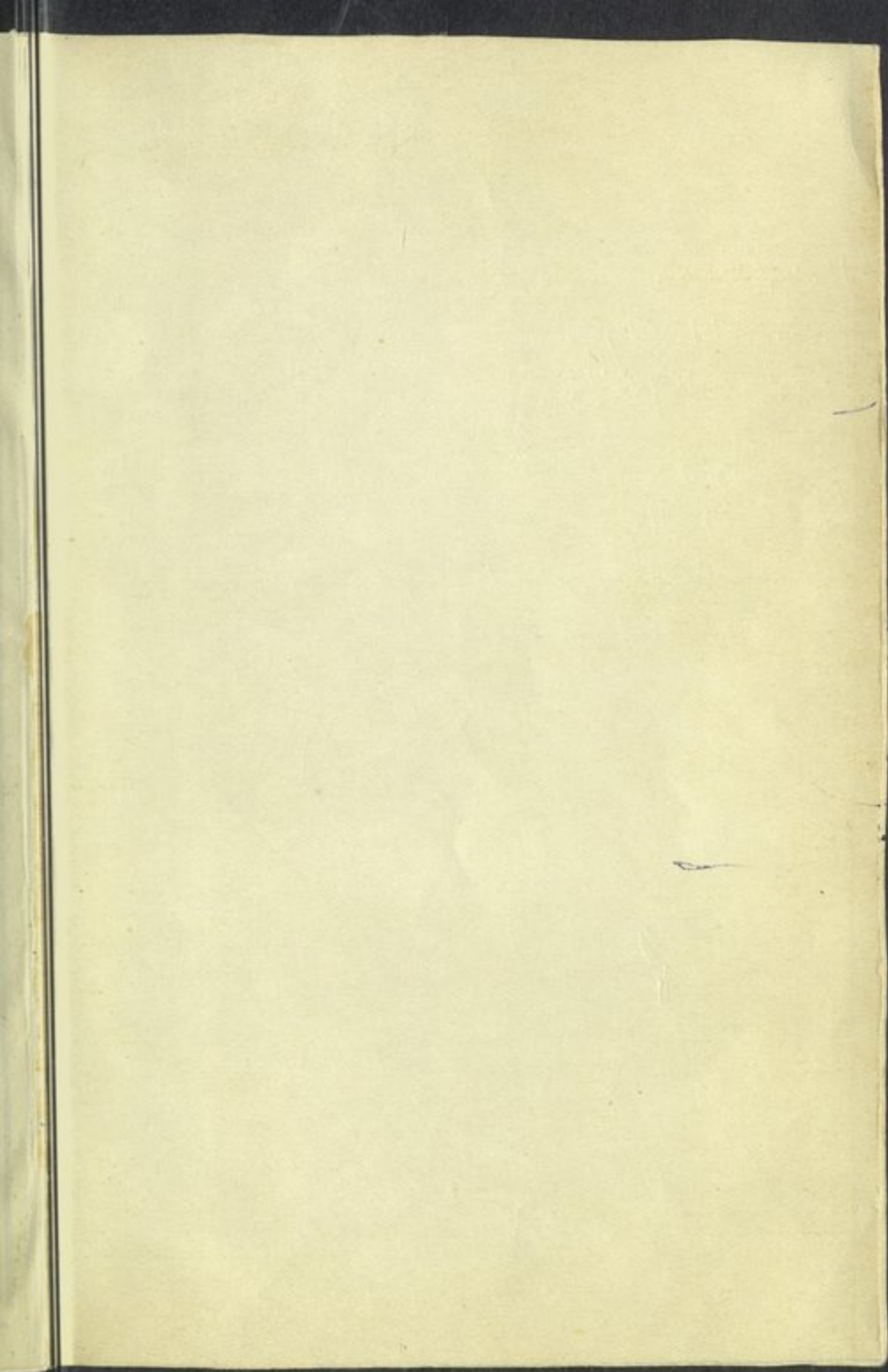


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
18 JUL 1970
Tel. 260458







الجواهر الغوالي

من رسائل الإمام
حجة الاسلام الغزالي

تذكرة

هذه المجموعة تشتمل على عشر رسائل من أنفس رسائل الامام

حجة الاسلام أبي حامد محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٥٥ هـ)

جمعناها بعد أن كانت متفرقة تسهلا للطلاب

وتعمها لفائتها : ورتبناها كالاتي

وهي

(١) كيمياء السعادة (٢) الرسالة الدنية (٣) الأدب في الدين

(٤) أيها الولد (٥) فيصل التفرقة (٦) القواعد العشرة

(٧) مشكاة الانوار (٨) رسالة الطير

(٩) الرسالة الوعظية (١٥) القسطاس المستقيم

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

طبعت على نفقة الرحالة الباحثة المنقب عن الأسفار النفيسة

محمد الدين صبيح الكركي

(حقوق الطبع واعادته محفوظة لناشرها)

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)



نبذة من ترجمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الامام الغزالي مصنف هذه الرسائل ﴾

رأينا أن نفتح هذه المجموعة النافعة بنبذة من ترجمة مصنفها الامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي عليه الرحمة . فنقول :

(١) — مولده، ومنشؤه : — ولد الغزالي في مدينة «أمطوس» من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الرشد . فنشأ معتمداً على نفسه . مندفعاً الى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة في تلك النفس الكبيرة . فلتقى مبادئ العربية والفقه في بلده، وانتقل الى جرجان فقرأ مبادئ الاصول على أحد أعلامها وعاد الى طوس *

(٧) — رحلته : — ولم يمكث طويلاً في بلده بعد أوبته من جرجان . فقام برحلته العلمية التي أرشدته الى العلم الصحيح، وأذاعت شهرته في الخافقين فقصده « نيسابور » حيث لازم امام الحرمين الجويني مدة انتهت بوفاة الجويني سنة (٤٧٧ هـ) وانتقل الى العراق وقد سبقه اسمه الى تلك الآفاق * فالتصل بالوزير نظام الملك . فقوض اليه تدريس مدرسته «النظامية» ببغداد سنة (٤٨٤ هـ) فأقام بيت العلم ويصنف الاسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره الى مفارقة العراق * فرحل الى الحجاز حاجاً ثم أتى الشام فأقام في القدس نحو سنتين ، ورحل الى الديار المصرية فتزل بالاسكندرية . وعاد بعد

ذلك إلى مسقط رأسه « طوس » منقطعاً إلى العبادة . فألزمه نخر الملك ابن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور . فدرس بها مدة قصيرة وعاد إلى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس *

(٣) — مصنفاته : — قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الامام الغزالي : وقد ترجم الكثير منها إلى اللغات الاجنبية كرسالته « الولدية » المدرجة في هذه المجموعة فقد ترجمت إلى الألمانية باعتناء العلامة فون هامر بورغستال النمساوي ، و « الدررة الفاخرة في أحوال الآخرة » ترجمت إلى اللغة الافرنسية باعتناء العلامة غاوتيه . ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب الغزالي بقي محفوظاً لم يصبه ما أصاب سواه من الضياع والاندثار ، وفي هذا دليل على اقبال العلماء والمتعلمين في أيام الغزالي وبعده على نقل مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها . وها نحن نذكر المطبوع من كتبه في مصر وغيرها على ما انتهى إلينا العلم به :

- (١) — إحياء علوم الدين (٢) — المنقذ (٣) — عمدة المحققين
 (٤) — تهافت الفلاسفة (٥) — الدررة الفاخرة (٦) — مكاشفة القلوب
 (٧) — منهاج العابدين (٨) — بداية الهداية (٩) — سر العالمين
 (١٠) — المضمون به على غير أهله (١١) — الاجوبة الغزالية والمسائل
 الاخرية (١٢) — محك النظر (١٣) — المقصد الاسنى (١٤) — الحكمة
 في مخلوقات الله (١٥) — الاقتصاد في الاعتقاد (١٦) — الجام العوام
 (١٧) — المستصفي (١٨) — الوجيز (١٩) — آداب الصوفية
 (٢٠) — الكشف والتبيين *

﴿ كتبه التي طبعت بمعرفتي وعلى نفقتي بمصر ﴾

ولقد بذلنا جهداً كبيراً في سبيل الحصول على ما لم يطبع من آثار الامام صاحب الترجمة . فرحلنا عدة رحلات إلى استانبول — وتونس

وكردستان. وهندستان. والعراق. وفارس. والشام. وغيرها باحثين
منقبين. فكنا نعتبرين الفترة والأخرى على مصنف تلو آخر من تلك
الكنوز الثمينة التي نشرناها للطالبيين وهامى أسماؤها :

(١) معارج القدس في مدارج معرفة النفس (٢) جواهر القرآن
(٣) الأربعين في أصول الدين (٤) ميزان العمل (٥) معيار العلم (٦)
مقاصد الفلاسفة (٧) القصيدة الهائية (٨) القصيدة التائية. يضاف إلى
هذا ما اشتملت عليه هذه المجموعة التي سميناها « الجواهر الغوالي
من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالي » وفيها عشر رسائل وهي :
(١) كيمياء السعادة (٢) الرسالة اللدنية (٣) الأدب في الدين (٤) أيها
الملك (٥) فيصل النفرقة (٦) القواعد العشرة (٧) مشكاة الأنوار (٨)
رسالة الطير (٩) الرسالة الوعظية (١٠) القسطاط المستقيم :

ومن أجل ما وقفنا الله إلى نشره كتاب « موعظة المؤمنين من
احياء علوم الدين » تأليف الاستاذ الكبير علامة الشام المرحوم (الشيخ
جمال الدين القاسمي) فقد تلاقينا معه عند مازارنا بمصر قبيل وفاته
وأعلمنا بأنه لخص كتاب الاحياء تلخيصاً لم يترك شيئاً من لباب الاصل
وأنه فعل ذلك استرشاداً برأى المرحوم الامام (الشيخ محمد عبده)
مفتي الديار المصرية أيام كان في ضيافته إذ قال له يوماً إن أعظم كتاب
للوعظ والارشاد هو كتاب الاحياء لو جرد واختصر اختصاراً حسناً -
ولما رأى الشيخ جمال الدين عليه الرحمة اهتمامنا بنشر آثار الامام الغزالي
أهدانا كتابه مكتوباً بخطه. وأذن لنا بنشره وسمح بأن نحفظ لنا حقوق
طبعه. فنشرناه (أولاً وثانياً وثالثاً) حيث قد لقي من اقبال الطالبيين ما لم
يسبق لغيره من الاقبال *

هذه خلاصة وجيزة من ترجمة الامام الغزالي قدس سره ، وقد
سبق أن أثبتنا له ترجمة مفصلة في صدر كتاب « معيار العلم » الذي
طبعناه اولاً بمصر سنة (١٣٢٩ هـ) وثانياً سنة (١٣٤٦ هـ) : فن أراد
سعة الاطلاع فليرجع اليها ، وعلى الله الاتكال في المبدأ والمآل *

﴿ الرسالة الأولى ﴾

بِكَمِيَاءِ السَّعَادَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أصدق قوالب الأصفياء بالمجاهدة * وأسعد قلوب
الأولياء بالمشاهدة * وحلى السنة المؤمنين بالذكور * وجلى خواطر العارفين
بالفكر * وحرس سواد العباد (١) عن الفساد * وحبس مراد الزهاد
على السداد وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات * وصنى أرواح
الموقنين عن ظلم الشبهات * وقبل أعمال الأختيار باداء الصلوات * وأيد
خصال الأحرار بأسد الصلوات * أحمدته حمد من رأى آيات قدرته
وقوته * وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته ، وطرق طوارق
سره وبره . وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده * وأشكره شكر
من اخترق واعترف من نهر فضله وإفضاله ، وأومن به إيمان من آمن

(١) سواد العباد جميعهم وطائهم *

بكتابه وخطابه وأنبيائه وأصفيائه ووعدده ووعيدده وثوابه وعقابه *
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له * وأشهد أن محمداً عبده
 ورسوله بعنه لأصلاب الفسقة والفجرة قاصما * ولعمرى الجاحدين
 والمارقين قاصما * ولباع الشك والشرك قاصراً * ولاتباع الحق والاحسان
 ناصراً * فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين *

﴿ عنوان معرفة النفس ﴾

(اعلم) أن الكيمياء (١) الظاهرية لا تكون في خزائن العوام وإنما
 تكون في خزائن الملوك فكذلك كيمياء السعادة لا تكون إلا في
 خزائن الله سبحانه وتعالى . ففي السماء جواهر الملائكة ، وفي الأرض
 قلوب الأولياء العارفين * فكل من طلب هذه الكيمياء من غير
 حضرة النبوية فقد أخطأ الطريق ويكون عمله كالدينار البهرج فيظن
 في نفسه أنه غني وهو مفلس في القيامة كما قال سبحانه وتعالى (فكشفنا
 عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ومن رحمة الله سبحانه وتعالى
 لعباده أن أرسل اليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي يعلمون
 الناس نسخة الكيمياء ويعلمونهم كيف يجعلون القلب في كور المجاهدة
 وكيف يطهرون القلب من الاخلاق المذمومة ، وكيف يؤدون لطرق
 الصفاء كما قال سبحانه وتعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
 يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى يطهرهم من
 الاخلاق المذمومة ومن صفات البهائم ويجعل صفات الملائكة لباسهم
 وحليتهم — ومقصود هذه الكيمياء إن كل ما كان من صفات النقص
 يتعرى منه وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه * وسر هذه
 الكيمياء أن ترجع من الدنيا إلى الله كما قال سبحانه وتعالى (وتبتل
 اليه تبتيلا) وفضل هذه الكيمياء طويل *

(١) الكيمياء صنعة تحويل بعض المعادن إلى أحد التقدين وهنا اطلقتها المؤلف
 قدس سره على تحويل الانسان من الخلق الرديء إلى الطيب ولعمري ان ذلك هو
 الاحق بالاسم كما لا يخفى على ذى البصيرة *

* فصل في معرفة النفس *

(اعلم) أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه
وتعالى (سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)
وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وليس
شيء أقرب اليك من نفسك * فإذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك *
فإن قلت إني أعرف نفسي فأعنا تعرف الجسم الظاهر الذي هو اليد
والرجل والرأس والجثة ولا تعرف ما في باطنك من الأمر الذي به إذا
غضبت طلبت الخصومة وإذا اشتبهت طلبت السخاح وإذا جعت طلبت
الأكل وإذا عطشت طلبت الشرب ، والدواب تشارك في هذه
الأمر فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدري أي شيء
أنت ومن أين جئت إلى هذا المكان ، ولأي شيء خلقت ، وبأي شيء
سعادتك ، وبأي شيء شقاؤك * وقد جمعت في باطنك صفات منها صفات
البهائم ، ومنها صفات السباع ، ومنها صفات الملائكة * فالروح حقيقة
جوهرية وغيرها غريب منك وعارية عندك * فالواجب عليك أن تعرف
هذا وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة فإن سعادة البهائم
في الأكل والشرب والنوم والنكاح فإن كنت منهم فاجتهد في أعمال
الجوف والفرج * وسعادة السباع في الضرب والفتك ، وسعادة الشياطين
في المكر والشر والحيل فإن كنت منهم فاشتغل باشتغالهم * وسعادة
الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة
اليهم طريق * فإن كنت من جوهر الملائكة فاجتهد في معرفة أصوات
حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الإلهية وتبلغ إلى مشاهدة الجلال
والجمال وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب وتعلم أن هذه الصفات
لأي شيء ركبت فيك . فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها ولكن خلقها
حتى تكون أسراك وتسخرها للسفر الذي قدامك وتجعل احداها مركبك
والأخرى سلاحك حتى تصيد بها سعادتك * فإذا بلغت غرضك فارم

بها تحت قدميك وارجع إلى مكان سعادتك وذلك المكان قرار خواص
الحضرة الالهية * وقرار العوام درجات الجنة . فحتاج إلى معرفة
هذه المعاني حتى تعرف من تفسك شيئاً قليلاً * فكل من لم يعرف
هذه المعاني فنصيبه من القشور لأن الحق يكون عنه محجوباً *

* فصل *

إذا شئت أن تعرف تفسك (فاعلم) أنك مركب من شيئين (الأول)
هذا القلب (الثاني) يسمى النفس والروح — والنفس هو القلب الذي
تعرفه بعين الباطن * وحقيقتك الباطن لأن الجسد أول وهو الآخر *
والنفس آخر وهو الأول — ويسمى قلباً وليس القلب هذه القطعة
اللحمية التي في الصدر من الجانب الأيسر لأنه يكون في الدواب
والموتى * وكل شيء تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذي يسمى
عالم الشهادة * وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب
فهو في هذا العالم غريب . وتلك القطعة اللحمية مركبة وكل أعضاء
الجسد عساكره وهو الملك * ومعرفة الله تعالى ومشاهدة جمال الحضرة
صفاته * والتكليف عليه والخطاب معه ، وله الثواب وعليه العقاب ،
والسعادة والشقاء تلحقانه * والروح الحيوانى في كل شيء تبعه ومعه *
ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى *
فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر
الملائكة * وأصل معدنه من الحضرة الالهية * من ذلك المكان جاء
وإلى ذلك المكان يعود *

* فصل *

أما سؤالك ما حقيقة القلب فلم يجب في الشريعة أكثر من قول الله
تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) لأن الروح
جزء من جملة القدرة الالهية وهو من عالم الأمر * قال الله عز وجل (ألاله
الخلق والأمر) فالإنسان من عالم الخلق من جانب ومن عالم الأمر من

جانب فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق وليس للقلب مساحة ولا مقدار. ولهذا لا يقبل القسمة ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق. وكان من جانب الجهل جاهلاً. ومن جانب العلم عالماً، وكل شيء يكون فيه علم وجهل فهو محال * وفي معنى آخر هو من عالم الأمر لأن عالم الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه، وقد ظن بعضهم أن الروح قديم (١) فغلطوا * وقال قوم إنه عرض فغلطوا لأن العرض لا يقوم بنفسه أو يكون تابعاً لغيره * فالروح هو أصل ابن آدم * وقال ابن آدم تبع له فكيف يكون عرضاً (٢) وقال قوم إنه جسم فغلطوا لأن الجسم يقبل القسمة والروح لا يقبل القسمة. وأن الروح الذي سميناه قلباً هو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة. ومعرفة الروح صعبة جداً لأنه لم يرد في الدين طريق إلى معرفته لأنه لا حاجة في الدين إلى معرفته لأن الدين هو المجاهدة، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه في معرفة حقيقة الروح. وأول أسس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد *

﴿ فصل ﴾

(اعلم) أن النفس مركب القلب: وللقلب عساكر كما قال سبحانه وتعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلباً لسعادته * وسعادته معرفة ربه عز وجل. ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس * والحواس من القلب والقلب مركبه * ثم معرفة

(١) لعل القائل بذلك نظر إلى الأصل الأصيل *

(٢) ولذا قال بعض الحكماء ينبغي أن نقول إن النفس حامل البدن لا أن البدن

حامل النفس على ما هو المشهور *

صيده ومعرفة شبكته * والقالب لا يقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة * وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش في الباطن * وعلى خطر من الماء والنار في الظاهر . وهو مقابل أعداء كثيرة *

﴿ فصل ﴾

وتحتاج أن تعرف العسكرين وذلك أن العسكر الظاهر هو الشهوة والغضب ، ومنازلهم في اليدين والرجلين والعينين والاذنين وجميع الأعضاء * وأما العسكر الباطن فنزله في الدماغ وهو قوى الخيال والتفكير والحفظ والتذكر والوهم * ولكل قوة من هذه القوى عمل خاص فان ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم في الدارين * وجملة هذين العسكرين في القلب وهو أميرها فان أمر اللسان أن يذكر ذكر * وان أمر اليد أن تبطش ببطش * وإن أمر الرجل أن تسمى سعت - وكذلك الحواس الخمس حتى يحفظ نفسه كما يدخر الزاد للدار الآخرة ويحصل الصيد وتم التجارة ويجمع بذر السعادة * وهؤلاء طائعون للقلب كما أن الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره *

﴿ فصل في معرفة القلب وعسكره ﴾

(اعلم) أنه قيل في المثل إن النفس كالمدينة واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها * والقوة الشهوانية واليها * والقوة الغضبية شحنتها * والقلب ملكها * والعقل وزيرها * والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله لأن الوالي وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط * والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب . فان تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت . فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالي والشحنة تحت يد الوزير فاذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتمت المدينة * وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويتصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الالهية * ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت

نفسه وكان قلبه شقياً في الآخرة *

﴿ فصل ﴾

(اعلم) أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان أمر
الطعام والشراب والنكاح لحل الحواس * ثم النفس خادم الحواس
والحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع الباري جلّت قدرته
ثم الحواس خادم العقل وهو للقلب سراج وشعلة يبصر بنوره الحضرة
الالهية لان الجنة التي هي نصيب الجوف أو الفرج محتقرة في جنب تلك
الجنة . ثم العقل خادم القلب ، والقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الالهية .
فن اجتهد في هذه الصفة فهو عبد حق من غلمان الحضرة كما قال
سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) معناه إنا
خلقنا القلب وأعطيناه الملك والعسكر وجعلنا النفس مركبه حتى يسافر
عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين . فاذا أراد أن يؤدي حق هذه النعمة
جلس مثل السلطان في صدر مملكته ، وجعل الحضرة الالهية قبلته
ومقصده وجعل الآخرة وطنه وقراره ، والنفس مركبه والدنيا منزله
واليدنين والقدمين خدامه * والعقل وزيره ، والشهوة عامله والغضب
شحنته ، والحواس جواسيسه ، وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع
له أحوال العوالم * وقوة الخيال في مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده
أخبار الجواسيس ، وقوة الحفظ في وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة
يجمع الرقاع من يد النقيب ويحفظها إلى أن يعرضها على العقل فاذا بلغت
هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها - فاذا
رأيت واحداً منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب فعليك
بالمجاهدة ولا تقصد قتلها لان المملكة لا تستقر إلا
بهما . فاذا فعلت ذلك كنت سعيداً وأديت حق
النعمة ووجبت لك الخلة في وقتها والا كنت
شقياً ووجب عليك النكال والعقوبة *

﴿ فصل ﴾

تمام السعادة مبني على ثلاثة اشياء: قوة الغضب - وقوة الشهوة - وقوة العلم فيحتاج ان يكون امرها متوسطا لثلاث تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك - أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك فاذا توسطت القوتان بإشارة قوة العدل دل على طريق الهداية - وكذلك ان الغضب اذا زاد سهل عليه الضرب والقتل. واذا نقص ذهب الغيرة والحمية في الدين والدنيا . واذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة وكذا الشهوة اذا زادت كان الفسق والفجور . وإن نقصت كان العجز والفتور - وان توسطت كان العفة والقناعة وامثال ذلك *

﴿ فصل ﴾

(اعلم) أن للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء ، وبعضها أخلاق الحسن . فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة وبالأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء - وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس . أخلاق الشياطين . وأخلاق البهائم . ، وأخلاق السباع . وأخلاق الملائكة . فأعمال السوء من الأكل والشرب والنوم والنكاح هي أخلاق البهائم - وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والمصومة هي أخلاق السباع . وكذلك أعمال النفس وهي المكر والحيلة والغش وغير ذلك هي أخلاق الشياطين - وكذلك أعمال العقل التي هي الرحمة والعلم والخير هي أخلاق الملائكة *

﴿ فصل ﴾

(واعلم) أن في جلد ابن آدم أربعة اشياء الكلب والخنزير والشيطان والملك . والكلب مذموم في صفاته وليس بمذموم في صورته وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم في صفاتهم وليس ذلك في صورهم وخلقهم - وكذلك الخنزير مذموم في صفاته وليس بمذموم في خلقته - وقد أمر ابن آدم بان يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفا من

الفتنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (مامن أحد الا وله شيطان ولى شيطان وان الله قد أعاننى على شيطانى حتى ملكته) وكذلك الشهوة والغضب ينبغى أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلان شيئاً الا بأمره فان فعل ذلك صح له حسن الاخلاق وهى صفات الملائكة وهى بذر السعادة . وان عمل بخلاف ذلك نغدم الشهوة والغضب صح له الاخلاق القبيحة وهى صفات الشياطين وهو بذر الشقاء . فيتبين له فى نومه كأنه قائم مشدود الوسط يخدم الكلب والخنزير - وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجالا مسلمين يحبسهم عند كافرين فكيف يكون حاله يوم القيامة اذا حبست الملك وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير *

﴿ فصل ﴾

(واعلم) أن الانسان فى صورة ابن آدم اليوم وغداً تنكشف له المعانى فتكون الصور فى معنى المعانى * فأما الذى غلب عليه الغضب فيقوم فى صورة الكلب * وأما الذى غلب عليه الشهوة فيقوم فى صورة الخنزير لان الصور تابعة للمعانى ، وانما يبصر النائم فى نومه ماصح فى باطنه * واذا عرفت أن الانسان فى باطنه هذه الاربعة فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ، ويعرف من أى الاربعة هو فان صفاته تحصل فى قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة ، وان بقى معه من جملة الباقيات الصالحات شئ فهو بذر السعادة ، وان بقى معه غير ذلك فهو بذر الشقاء ، وابن آدم لا ينفك ولا ينفصل عن حركة أو سكون ، وقلبه مثل الزجاج وأخلاق السوء كالدخان والظلمة . فاذا وصل اليه ذلك أعظم عليه طريق السعادة * وأخلاق الحسن كالنور والضوء . فاذا وصل الى القلب ظهره من ظلم المعاصى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتبع السيئة الحسنة تمحها) والقلب إما مضى أو مظلم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم *

﴿ فصل ﴾

(وأعلم) أن الشهوة والغضب اللتان في البهائم جعلتا أيضاً في ابن آدم ولكنه أعطى شيئاً آخر زيادة عليها للشرف والكمال. وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى ، وجملة عجائب صنعه . وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصل له صفات الملائكة ولذلك يظفر بالسباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً) .

﴿ فصل في عجائب القلب ﴾

(اعلم) أن للقلب باين للعلوم (واحد) للأحلام (والثاني) لعالم اليقظة وهو الباب الظاهر الى الخارج فان نام غلق باب الحواس فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت . ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء . وربما احتاج كشفه الى شئ من تعبير الأحلام * وأما ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به اليقظة وأن اليقظة اولى بالمعرفة مع انه لا يبصر في اليقظة شئ من عالم الغيب . وما يبصر بين النوم واليقظة اولى بالمعرفة مما يبصر من طريق الحواس *

﴿ فصل ﴾

وتحتاج أن تعرف في ضمن ذلك أن القلب مثل المرآة . واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضاً لأن فيه صورة كل موجود وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما في أحدهما في الاخرى - وكذلك تظهر صور ما في اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغاً من شهوات الدنيا فان كان مشغولاً بها كان عالم الملكوت محجوباً عنه وإن كان في حال النوم فارغاً من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التي في اللوح المحفوظ وإذا غلق باب الحواس كان بعده الخيال لذلك يكون الذي يبصره تحت ستر القشر وليس كالحق الصريح مكشوفاً فاذا مات أى القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس ، وفي ذلك

الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

﴿ فصل ﴾

(وأعلم) أنه مامن أحد إلا ويدخل في قلبه المخاطر المستقيم .
وبيان الحق على سبيل الالهام - وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل في القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم (عالم الملك) فلذلك يكون حجابها عن مطالعة ذلك العالم إذ لم يكن فارغاً من شغل الحواس *

﴿ فصل ﴾

ولا تظن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من يد الشهوة والغضب والاخلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فاذا جلس في مكان خال وعطل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت وقال دائماً « الله الله الله » بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لاخبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت تلك الطاقة ، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم فتظهر له أرواح الملائكة والانبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجميلة ، وانكشف له ملكوت السموات والارض ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « زُوِّيْتُ لى الارض فرأيت مشارفها ومغاربها » وقال الله عز وجل ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ﴾ لأن علوم الانبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ واذا ذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتلياً ﴾ معناه الاقطاع عن كل شئ ، وتطهير القلب من كل شئ ، والابتهاال اليه سبحانه وتعالى بالكلية ، وهو طريق الصوفية في هذا الزمان * وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء * وهذه الدرجة الكبيرة

مختصرة من طريق النبوة - وكذلك علم الاولياء لانه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى ﴿وآتيناهم من لدنا علماً﴾ وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصل بالدوق لم تحصل بالتعليم. والواجب التصديق بها حتى لا نحرم شعاع سعادتهم وهو من عجائب القلب. ومن لم يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله﴾ وقوله ﴿وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم﴾.

﴿فصل﴾

ولا تحسب أن هذا خاص بالانبياء والاولياء لأن جوهر ابن آدم في أصل الخلق موضوع لهذا كالحديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم إلا الذي صدأ فيحتاج إلى اجلاء أو جذب فيحتاج إلى صقل أو سبك لأنه قد تلف - وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة. وإن لم تغلب عليه بلغ تلك الدرجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على فطرة الاسلام» وقال الله تعالى «وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى» وكذلك بنو آدم في فطرتهم التصديق بالربوبية - كما قال سبحانه وتعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ والانبياء والاولياء هم بنو آدم: قال الله سبحانه وتعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ فكل من فرغ حصد. ومن مشى وصل ومن طلب وجد ﴿والطلب لا يحصل إلا بالمجاهدة - وطلب شيخ بالغ عارف قد مشى في هذا الطريق - وإذا حصل هذان الشيطان لأحد فقد أراد الله له التوفيق والسعادة بحكم أزل حتى يبلغ إلى هذه الدرجة﴾.

﴿فصل﴾

إن اللذة والسعادة لابن آدم معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿اعلم﴾ أن سعادة كل شيء لذته وراحته ولذة كل شيء تكون بمقتضى طبيعه، وطبع كل شيء ما خلق له ﴿فلذة العين في الصور الحسنة﴾

ولذة الاذن في الاصوات الطيبة - وكذلك سائر الجوارح بهذه الصنفة ،
 ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لانه مخلوق لها وكل مالم
 يعرفه ابن آدم اذا عرفه فرح به مثل الشطرنج اذا عرفها فرح بها . ولو
 نهى عنها لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر - وكذلك اذا وقع في معرفة
 الله سبحانه وتعالى فرح بها ، ولم يصبر عن المشاهدة لان لذة القلب
 المعرفة ، وكما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر - ولذلك فان
 الانسان اذا عرف الوزير فرح ، ولو علم الملك لكان أعظم فرحا . وليس
 موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى لان شرف كل موجود به ومنه *
 وكل عجائب العالم آثار صنعته . فلا معرفة أعز من معرفته ، ولالذة
 أعظم من لذة معرفته ، وليس منظر أحسن من منظر حضرته وكل لذات
 شهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت . ولذة معرفة الربوبية
 متعلقة بالقلب . فلا تبطل بالموت لان القلب لا يهلك بالموت بل تكون
 لذته أكثر وضوءه أكبر لانه خرج من الظلمة الى الضوء *

﴿ فصل ﴾

﴿ واعلم ﴾ أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم ، وفيها من كل صورة
 في العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات
 ورأسه مثل السماء . وحواسه مثل الكواكب ، وتفصيل ذلك طويل *
 وأيضاً فان في باطنه صناع العالم لان القوة التي في المعدة كالطبخ ، والتي
 في الكبد كالخباز ، والتي في الامعاء كالقصار ، والتي تبيض اللبن ويحمر
 الدم كالصباغ ، وشرح ذلك طويل * والمقصود أن تعلم كم في باطنك
 من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك ، وأنت في غفلة عنهم وهم
 لا يستريحون ولا تعرفهم أنت ، ولا تشكر من أعم عليك بهم *

﴿ فصل ﴾

في معرفة تركيب الجسد ومنافع الاعضاء التي يقال عنها في علم
 التشريح وهو علم عظيم ، واخلقوا فقلوب عنده - وكذلك علم الطب

فكل من أراد أن ينظر في نفسه ومعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج الى معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الالهية (الاولى) أن يعرف أن خالق هذا الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى ، وليس عمل في العالم باعجب من خلق الانسان من ماء مهين : وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى « انا خلقنا الانسان من نطقه أمشاج نبتليه » فعادته بعد الموت أهون عليه لان الاعادة أسهل من الابتداء (الثانية) معرفة علمه سبحانه وتعالى وانه محيط بالاشياء كلها لان هذه العجائب والغرائب لا يمكن الا بكمال العلم (الثالثة) أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالاشياء كلها ، وانها لا نهاية لها لما ترى في النبات والحيوان والمعادن من سعة القدرة وحسن الصور والالوان *

* فصل *

في تفصيل خلقه بنى آدم لانها مفتاح معرفة الصفات الالهية وهو علم شريف وذلك معرفة عجائب الصنائع الالهية ، ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته ، وهو مختصر معرفة القلب ، وهو علم شريف اذ هو معرفة الصنائع الالهية لان النفس كالفرس ، والعقل كالراكب وجماعهما الفارس ، ومن لم يعرف نفسه وهو يدعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذي ليس له طعام لنفسه وهو يدعى أنه يقوت فقراء المدينة فهذا محال *

* فصل *

اذا عرفت هذا العز والشرف، والكمال والجمال والجلال بعد أن عرفت جوهر القلب وأنه جوهر عزيز قد وهب لك وبعد ذلك خفي عنك ، فان لم تطلبه وغفلت عنه وضيعته كان ذلك حسرة عنيفة عليك يوم القيامة فاجتهد في طلبه ، واترك أشغال الدنيا كلها ، وكل شرف لم يظهر في الدنيا فهو في الآخرة فرح بلا غم ، وبقاء بلا فناء ، وقدرة بلا عجز

ومعرفة بلا جهل ، وجمال وجلال عظيمان - وأما اليوم فليس شئ أعجز
منه لانه مسكين ناقص ، وأما الشرف غداً اذا طرح من هذه الكيمياء
على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم ، ويبلغ درجة الملائكة .

فان رجع الى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة

لا نهم يصيرون الى التراب ، ويبقى هوفى العذاب *

نعوذ بالله من ذلك ، ونستجير به ، وهو

نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله

رب العالمين * وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين *

﴿ تمت كيمياء السعادة - وتليها الرسالة الدنية ﴾



﴿ الرسالة الثانية ﴾

الرسالة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي زين قلوب خواص عباده بنور الولاية * وربى
أرواحهم بحسن العناية * وفتح باب التوحيد على العلماء العارفين
بمفتاح الدراية * وأصلى وأسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين صاحب
الدعوة والرعاية * ودليل الأمة إلى الهداية * وعلى آله سكان حرم
الحماية * أعلم أن واحداً من أصدقائي حكى عن بعض العلماء أنه أنكر
العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه خواص المتصوفة * وينتمى إليه
أهل الطريقة ، ويقولون إن العلم اللدني أقوى وأحكم من العلوم
المكتسبة المحصلة بالتعلم * وحكى أن ذلك المدعى يقول باني لا أقدر
على تصوير علم الصوفية * ولا أظن أن أحداً في العالم يتكلم في العلم
الحقيقي من فكر وروية دون تعلم وكسب * فقلت كأنه ما اطلع على طرق
التحصيل ، ومدارى أمر النفس الانسانية وصفاءها وكيفية قبولها لآثار
الغيب وعلم الملكوت * فقال صديقي نعم إن ذلك الرجل يقول بان العلم
هو الفقه وتفسير القرآن والكلام حسب * وليس وراءها علم وهذه

العلوم لا تنحصر إلا بالتعلم والنفقه * فقلت نعم فكيف يعلم علم التفسير
فإن القرآن هو البحر المحيط المشتمل على جميع الأشياء وليس جميع
معانيه وحقائق تفسيره مذكورة في هذه التصانيف المشهورة بين
العوام بل التفسير غير ما يعلم ذلك المدعى * فقال ذلك الرجل لا تعد
التفسير إلا التفسير المعروفة المذكورة المنسوبة إلى القشيري والثعلبي
والموردي وغيرهم * فقلت لقد بعد عن منهج الحقيقة فإن السلمي جمع
شيئا في التفسير من كلمات المحققين شبه التحقيق ، وتلك الكلمات غير
مذكورة في سائر التفسير . وذلك الرجل الذي لا يعد العلم إلا الفقه
والكلام - وهذا المنسر العامى كأنه ما علم أقسام العلوم وتفصيلها
ومراتبها وحقائقها وظواهرها وبواطنها * وقد جرت العادة بأن الجاهل
بالشيء ينكر ذلك الشيء وذلك المدعى ماذا شراب الحقيقة وما اطلع
على العلم اللدنى فكيف يقر بذلك ، ولا أرضى بأقراره تقليدا أو تخمينا
مالم يعرف * فقال ذلك الصديق أريد أن تذكر طرفا من مراتب العلوم
وتصحح هذا العلم وتعزیه أنت لنفسك وتقر على اثباته * فقلت إن هذا
المطلوب بيانه عسير جدا لكن أشرع في مقدماته بحسب اقتضاء حالى
وموافقة وقتى وما سنح بخاطرى ولا أريد تطويل الكلام فإن خير
الكلام ما قل ودل * وسألت الله عز وجل التوفيق والاعانة * وذكرت
مطلوب صديقى الفاضل فى هذا المفضول *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن العلم تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها
المجردة عن المواد بأعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن
كانت مفردة * والعالم هو المحيط المدرك المتصور ، والمعلوم هو ذات
الشيء الذى ينتقش علمه فى النفس * وشرف العلم على قدر شرف
معلومه * ورتبة العالم تكون بحسب رتبة العلم . ولا شك إن أفضل
المعلومات وأعلاها وأشرفها وأجلها هو الله الصانع المبدع الحق الواحد *

فعله وهو علم التوحيد أفضل العلوم وأجلها، وأكملها وهذا العلم ضرورى واجب تحصيله على جميع العقلاء كما قال صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وأمر بالسفر في طلب هذا العلم . فقال صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو بالعين) وعالم هذا العلم أفضل العلماء * وبهذا السبب خصهم الله تعالى بالذكر في أجل المراتب فقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) فعلماء علم التوحيد بالاطلاق هم الانبياء وبعدهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء * وهذا العلم وإن كان شريفاً في ذاته كاملاً في نفسه لا يفتنى سائر العلوم بل لا يحصل إلا بمقدمات كثيرة، وتلك المقدمات لا تنتظم إلا من علوم شتى مثل علم السموات والافلاك وعلم جميع المصنوعات، ويتولد عن علم التوحيد علوم آخر كما سنذكر أقسامها في مواضعها *

فاعلم أن العلم شريف بذاته من غير نظر إلى جهة المعلوم حتى أن علم السحر شريف بذاته وإن كان باطلاً * وذلك أن العلم ضد الجهل والجهل من لوازم الظلمة، والظلمة من حيز السكون، والسكون قريب من العدم ويقع الباطل والفضالة في هذا القسم * فاذا الجهل حكمه حكم العدم، والعلم حكمه حكم الوجود * والوجود خير من العدم * والهداية والحق والنور كلها في سلك الوجود * فاذا كان الوجود أعلى من العدم فالعلم أشرف من الجهل فإن الجهل مثل العمى والظلمة * والعلم مثل البصر والنور * وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور * وصرح سبحانه بهذه الاشارات فقال (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فاذا كان العلم خيراً من الجهل والجهل من لوازم الجسم، والعلم من صفات النفس، والنفس أشرف من الجسم * وللعلم أقسام كثيرة نخصيها في فصل آخر * وللعالم في طلب العلم طرق عديدة نذكرها في فصل آخر . والآن لا يتعين عليك بعد معرفة فضل العلم إلا معرفة النفس التي هي لوح العلوم ومقرها ومحلها، وذلك أن الجسم

ليس بمحل للعلم لان الاجسام متناهية ، ولا تسع كثرة العلوم بل لا
تحتمل إلا النقوش والرقوم * والنفس قابلة لجميع العلوم من غير ممانعة
ولا مزاحمة وملال وزوال * ونحن نتكلم في شرح النفس على سبيل
الاختصار *

﴿ فصل في شرح النفس والروح الانساني ﴾

اعلم أن الله تعالى خلق الانسان من شيئين مختلفين (أحدهما) الجسم
المظلم الكئيف الداخل تحت الكون والفساد المركب المؤلف الترابي
الذي لا يتم أمره إلا بغيره (والآخر) هو النفس الجوهرى المفرد
المنير المدرك الفاعل المحرك المتمم للاسالات والاجسام * والله تعالى
ركب الجسد من أجزاء الغذاء ورباه بأجزاء الرماد. ومهد قاعدته وسوى
أركانه وعين أطرافه وأظهر جوهر النفس من أمره الواحد الكامل
المكمل المفيد . ولا أعنى بالنفس القوة الطالبة للغذاء، ولا القوة المحركة
للشهوة والغضب، ولا القوة الساكنة في القلب المولدة للحياة والمبرزة
للحس والحركة من القلب إلى جميع الاعضاء فان هذه القوة تسمى روحا
حيوانيا * والحس والحركة والشهوة والغضب من جنده : وتلك القوة
الطالبة للغذاء الساكنة في الكبد بالتصرف يقال لها روح طبيعى *
والهضم والدفع من صفاتها ، والقوة المصورة والمولدة والنامية وباقى
القوى المنطبعة كلها خدام للجسد ، والجسد خادم الروح الحيوانى
لأنه يقبل القوى عنه ويعمل بحسب تحريكه * وانما أعنى بالنفس ذلك
الجوهر الكامل الفرد الذى ليس من شأنه إلا التذكر والتحفظ
والتفكر والتمييز والروية * ويقبل جميع العلوم ولا يمل من قبول
الصور المجردة المعراة عن المواد * وهذا الجوهر رئيس الأرواح
وأمر القوى * والكل يخدمونه ويمثلون أمره * وللنفس الناطقة أعنى
هذا الجوهر عند كل قوم اسم خاص * فالحكاء يسمون هذا الجوهر
النفس الناطقة * والقرآن يسميه النفس المطمئنة والروح الأمري ،

والمتصوفة تسميه القلب . والخلاف في الاسامى والمعنى واحد لاخلاف
 فيه * فالقلب والروح عندنا ، والمطمئنة كلها اسامى النفس الناطقة *
 والنفس الناطقة هى الجوهر الحى الفعال المدرك * وحيثما تقول الروح
 المطلق أو القلب فانما نعنى به هذا الجوهر * والمتصوفة يسمون الروح
 الحيوانى نفسا * والشرع ورد بذلك * فقال (أعدى عدوك نفسك)
 وأطلق الشارع اسم النفس بل أكدها بالاضافة * فقال نفسك التى بين
 جنبيك * وإنما أشار بهذه اللفظة إلى القوة الشهوانية والغضبية فلهما
 ينبعثان عن القلب الواقف بين الجنين * فاذا عرفت فرق الاسامى فاعلم
 أن الباحثين يعبرون عن هذا الجوهر النفيس بعبارات مختلفة ، ويرون
 فيه آراء متفاوتة * والمتكلمون المعروفون بعلم الجدل يعدون النفس
 جسما ، ويقولون إنه جسم لطيف بأزاء هذا الجسم الكثيف . ولا
 يرون الفرق بين الروح والجسد إلا باللطافة والكثافة * وبعضهم يعد
 الروح عرضا * وبعض اطباء يميل إلى هذا القول * وبعضهم يرى الدم
 روحا - وكلهم قنعوا بقصور نظرهم على تخيلهم ، وماطلبوا القسم الثالث *
 واعلم أن الأقسام ثلاثة الجسم والعرض والجوهر الفرد * فالروح
 الحيوانى جسم لطيف كأنه سراج مشتمل موضوع فى زجاجة القلب
 أعنى ذلك الشكل الصنوبرى المعلق فى الصدر * والحياة ضوء السراج
 والدم دهنه والحس والحركة نوره . والشهوة حرارته . والغضب دخانه *
 والقوة الطالبة للغذاء الكائنة فى الكبد خادمه وحارسه ووكيله -
 وهذا الروح يوجد عند جميع الحيوانات * والانسان هو جسم وآناره
 أعراض * وهذا الروح لا يهتدى إلى العلم ولايعرف طريق المصنوع
 ولاحق الصانع * وإنما هو خادم أسير يموت بموت البدن * لو يزيد
 الدم ينطفى ذلك السراج بزيادة الحرارة : ولو ينقص ينطفى بزيادة البرودة
 وانطفأؤه سبب موت البدن ، وليس خطاب البارى سبحانه ولا
 تكليف الشارع لهذا الروح لان البهائم وسائر الحيوانات غير مكلفين

ولا مخاطبين بأحكام الشرع * والانسان إنما يكلف ويخاطب لأجل معنى آخر وجد عنده زائداً خاصاً به * وذلك المعنى هو النفس الناطقة والروح المطمئنة ، وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض لانه من أمر الله تعالى كما قال « قل الروح من أمر ربي » وقال « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية » وأمر البارئ تعالى ليس بجسم ولا عرض بل قوة الهية مثل العقل الأول واللوح والقلم ، وهي الجواهر المفردة المفارقة للمواد بل هي أضواء مجردة معقولة غير محسوسة * والروح والقلب بلساننا من قبل تلك الجواهر ، ولا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت بل يفارق البدن وينتظر العود اليه في يوم القيامة كما ورد في الشرع : وقد صح في العلوم الحكيمية بالبراهين القاطعة والدلائل الواضحة أن الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد : ونحن نستغنى عن تكرير البرهان وتعدد الدلائل لأنها مقررة مذكورة . فمن أراد تصحيحها فليرجع إلى الكتب اللاتمة بذلك الفن . فأما في طريقنا فلا يتأتى بالبرهان بل نعول على العيان ونعتمد على رؤية الايمان - ولما أضاف الله تعالى الروح إلى أمره وتارة إلى عزته فقال « فنفخت فيه من روحي » وقال « قل الروح من أمر ربي » وقال « ونفخنا فيه من روحنا » والله تعالى أجل من أن يضيف إلى نفسه جسماً أو عرضاً خلستهما وتغيرها وسرعة زوالها وفسادها * والشارع صلى الله عليه وسلم قال « الارواح جنود مجنودة » وقال « ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر » والعرض لا يبقى بعد فناء الجوهر لأنه لا يقوم بذاته : والجسم يقبل التحليل كما قبل التركيب من المادة والصورة كما هو مذکور في الكتب * فلما وجدنا هذه الآيات والأخبار والبراهين العقلية علمنا أن الروح جوهر فرد كامل حتى بذاته يتولد منه صلاح الدين وفساده * والروح الطبيعي والحيواني وجميع القوى البدنية كلها من جنوده . وأن هذا الجوهر

يقبل صور المعلومات وحقائق الموجودات من غير اشتغال بأعيانها
 وأشخاصها فان النفس قادرة على أن تعلم حقيقة الانسانية من غير أن
 ترى انسانا كما أنها علمت الملائكة والشياطين ، وما احتاجت إلى رؤية
 أشخاصها إذ لا يناهما حواس أكثر الناس * وقال قوم من المتصوفة
 إن القلب عينا كما للجسد فيرى الظواهر بالعين الظاهرة ، ويرى
 الحقائق بعين العقل * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد
 إلا ولقلبه عينان » وهما عينان يدرك بهما الغيب فإذا أراد الله تعالى
 بعبد خيرا فتح عيني قلبه ليرى ما هو غائب عن بصره * وهذا الروح
 لا يموت بموت البدن لأن الله تعالى يدعو به إلى بابه فيقول « ارجعي
 إلى ربك » وإنما هو يفارق ويعرض عن البدن ، فمن إعراضه تتعطل
 أحوال القوى الحيوانية والطبيعة فيسكن المتحرك فيقال لذلك السكون
 موت ، وأهل الطريقة أعنى الصوفية يعتمدون على الروح والقلب أكثر
 اعتماداً منهم على الشخص * وإذا كان الروح من أمر البارئ تعالى
 فيكون في البدن كالغريب ، ويكون وجهه إلى أصله ومرجه . فينال
 القوائد من جانب الاصل أكثر مما ينال من جهة الشخص إذا قوى ولم
 يدنس بادناس الطبيعة * وإذا علمت أن الروح جوهر فرد وعلمت أن
 الجسد لا بد له من المكان . والعرض لا يبقى إلا بالجواهر * فاعلم أن
 هذا الجوهر لا يحل في محل ولا يسكن في مكان وليس البدن مكان الروح
 ولا محل القلب بل البدن آلة الروح وأداة القلب ومركب النفس *
 والروح ذاته غير متصل باجزاء البدن ولا منفصل عنه بل هو مقبل على
 البدن مفيد له مفيض عليه * وأول ما يظهر نوره على الدماغ لأن الدماغ
 مظهره الخاص اتخذ من مقدمه حارسا ، ومن وسطه وزيراً ومدبراً
 ومن آخره خزانة وخازنا . ومن جميع الاجزاء رجالا وركبانا * ومن
 الروح الحيوانى خادما ، ومن الطبيعي وكيللا . ومن البدن مركبا . ومن
 الدنيا ميدانا . ومن الحياة بضاعة ومالا . ومن الحركة تجارة . ومن

العلم ربحاً . ومن الآخرة مقصداً ومرجعاً ، ومن الشرع طريقة ومنهجاً ، ومن النفس الأمانة حارساً ونقيباً . ومن اللوامة منها * ومن الحواس جواسيس وأعوانا . ومن الدين درعا . ومن العقل استاذاً ، ومن الحس تلميذاً . والرب سبحانه من وراء هذه كلها بالمرصاد * والنفس بهذه الصفة مع هذه الآلة ما أقبلت على هذا الشخص الكثيف ، وما اتصلت بذاته بل تنيله الافادة ، ووجهها إلى بارئها وأمر بارئها بالاستفادة إلى أجل مسمى * فالروح لا يشتغل في مدة هذا السفر إلا بطلب العلم لأن العلم يكون حليته في دار الآخرة لأن حلية المال والبنين زينة حياة الدنيا . فكما أن العين مشغولة برؤية المنظورات . والسمع مواظب على استماع الأصوات . واللسان مستعد لتكوين الأقوال . والروح الحيواني مريد للذات الغضبية . والروح الطبيعي محب للذات الأكل والشرب كذلك الروح المطمئنة أعنى القلب لا يريد إلا العلم ولا يرضى إلا به ويتعلم طول عمره ويتحلى بالعلم جميع أيامه إلى وقت مفارقتة . ولو قبل أمراً آخر دون العلم فانما يقبل عليه لمصلحة البدن لا لمراد ذاته ومحبة أصله * فاذا علمت أحوال الروح ودوام بقائه وعشقه للعلم وشغفه به . فيجب عليك أن تعلم أصناف العلم فانها كثيرة ونحن نخصها بالاختصار *

﴿ فصل في أصناف العلم وأقسامه ﴾

اعلم أن العلم على قسمين (أحدهما) شرعي (والآخر) عقلي * وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها * وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »
« أما القسم الأول » وهو العلم الشرعي فينقسم إلى نوعين « أحدهما » في الاصول وهو علم التوحيد * وهذا العلم ينظر في ذات الله تعالى وصفاته القديمة ، وصفاته الفعلية ، وصفاته الذاتية المتعددة بالاسامي على الوجه المذكور * وينظر أيضاً في أحوال الانبياء والائمة

من بعدهم والصحابة . وينظر في أحوال الموت والحياة وفي أحوال
 القيامة والبعث والحشر والحساب ، ورؤية الله تعالى : وأهل النظر في
 هذا العلم يتمسكون أولا بآيات الله تعالى من القرآن . ثم بأخبار الرسول
 صلى الله عليه وسلم . ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية * وأخذوا
 مقدمات القياس الجدى والعنادى ولو احقهما من أصحاب المنطق
 الفلسفى * ووضعوا أكثر الألفاظ فى غير مواضعها . ويعبرون فى
 عباراتهم بالجواهر والعرض والدليل والنظر والاستدلال والحجة .
 ويختلف معنى كل لفظة من هذه الألفاظ عند كل قوم حتى إن الحكماء
 يعنون بالجواهر شيئا * والصوفية يعنون شيئا آخر * والمتكلمون
 شيئا ، وعلى هذا المثال * وليس المراد فى هذه الرسالة تحقيق معانى
 الألفاظ حسب آراء القوم . فلانشرع فيها * وهؤلاء القوم مخصوصون
 بالكلام فى الأصول وعلم التوحيد ولقبهم المتكلمون فان اسم الكلام
 اشتهر على علم التوحيد . ومن علم الأصول التفسير فان القرآن من أعظم
 الاشياء وأبينها وأجلها وأعزها * وفيه من المشكلات الكثيرة مالا
 يحيط بها كل عقل إلا من أعطاه الله تعالى فهما فى كتابه * قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « مامن آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن
 ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن » وفى رواية إلى تسعة : وقال صلى الله عليه
 وسلم « لكل حرف من حروف القرآن حد ولكل حد مطلع » والله
 تعالى أخبر فى القرآن عن جميع العلوم وجلى الموجودات وخفيها
 وصغيرها وكبيرها ومحسوسها ومعقولها * وإلى هذا الإشارة بقوله
 تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقال تعالى (ليدبروا
 آياته وليتذكر أولوا الألباب) وإذا كان أمر القرآن أعظم الامور فإى
 مفسر أدى حقه * وأى عالم خرج عن عهده * نعم كل واحد من
 المفسرين شرع فى شرحه بمقدار طاقته . وخاض فى بيانه بحسب قوة
 عقله . وقدر كنه علمه * فكلمهم قالوا - وبالْحَقِيقَةُ ما قالوا : وعلم القرآن

يدل على علم الاصول والفروع والشرعي والعقلي * ويجب على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة . ومن وجه الأستعارة . ومن وجه تركيب اللفظ . ومن وجه مراتب النحو . ومن وجه عادة العرب . ومن وجه أمور الحكماء . ومن وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق * ولو يقتصر على وجه واحد ويقنع في البيان بفن واحد لم يخرج عن عهدة البيان * ويتوجه عليه حجة الايمان واقامة البرهان * ومن علم الاصول أيضا علم الاخبار . فان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب والعجم . وكان معلما يوحى اليه من قبل الله تعالى * وكان عقله محيطا بجميع العلويات والسفليات * فكل كلمة من كلماته بل لفظه من ألفاظه يوجد تحتها بحار الاسرار وكنوز الرموز . فعلم أخباره ومعرفة أحاديثه أمر عظيم . وخطب جليل . لا يقدر أحد أن يحيط بعلم الكلام النبوي إلا أن يهذب نفسه بمتابعة الشارع . ويزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم شرع النبي صلى الله عليه وسلم * ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويل الأخبار ويصيب في كلامه . فيجب عليه أولا تحصيل علم اللغة والتبحر في فن النحو . والرسوخ في ميدان الاعراب . والتصرف في أصناف التصريف فان علم اللغة سلم ومرقاة إلى جميع العلوم . ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم . فان من أراد أن يصعد سطحا عليه تمهيد المرقاة أولا ثم بعد ذلك يصعد * وعلم اللغة وسيلة عظيمة . ومرقاة كبيرة . فلا يستغنى طالب العلم عن إحكام اللغة : فعلم اللغة أصل الاصول : وأول علم اللغة معرفة الادوات وهي بمنزلة الكلمات المفردة . وبعدها معرفة الافعال مثل الثلاثي والرابعي وغيرها * ويجب على اللغوي أن ينظر في أشعار العرب * وأولها وأتقنها أشعار الجاهلية . فان فيها تنقيحا للخاطر . وترويحاً للنفس * وبعده ذلك الشعر والادوات والاسامي يجب تحصيل علم النحو فانه لعلم اللغة بمنزلة ميزان القبان للذهب والفضة . والمنطق لعلم الحكمة . والعروض للشعر

والذراع للأثواب . والمكيال للحبوب * وكل شيء لا يوزن بميزان لا يتبين فيه حقيقة الزيادة والنقصان * فعلم اللغة سبيل إلى علم التفسير والاعخبار * وعلم القرآن والأخبار دليل على علم التوحيد * وعلم التوحيد هو الذي لا تنتجو نفوس العباد إلا به ، ولا تتخلص من خوف المعاد إلا به * فهذا تفصيل علم الاصول *

﴿ النوع الثاني ﴾ من العلم الشرعي هو علم الفروع وذلك أن العلم إما أن يكون علمياً . وإما أن يكون عملياً . وعلم الاصول هو العلمى ، وعلم الفروع هو العملى * وهذا العلم العملى يشتمل على ثلاثة حقوق (أولها) حق الله تعالى وهو أركان العبادات مثل الطهارة والصلاة والزكاة والحج والجهاد والاذكار والاعياد والجمعة وزواؤها من النوافل والقرائن (وثانيها) حق العباد وهو أبواب العادات . ويجرى في وجهين « أحدهما المعاملة » مثل البيع والشركة والهبة والقرض والدين والقصاص وجميع أبواب الديات « والوجه الثاني المعاقدة » مثل النكاح والطلاق والعتق والرق والقرائن ولو احقها . ويطلق اسم الفقه على هذين الحقلين . وعلم الفقه علم شريف مفيد عام ضرورى لا يستغنى الناس عنه لعموم الضرورة اليه « وثالثها حق النفس » وهو علم الاخلاق . والاخلاق إما مذمومة . ويجب رفضها وقطعها . وإما محمودة ويجب تحصيلها وتحلية النفوس بها . والاخلاق المذمومة والاصناف المحمودة مشهورة في كتاب الله تعالى وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم : من تخلق بواحد منها دخل الجنة *

﴿ وأما القسم الثاني ﴾ من العلم فهو العلم العقلى وهو علم معضل مشكل يقع فيه خطأ وصواب . وهو موضوع فى ثلاثة مراتب « المرتبة الأولى » وهو أول المراتب العلم الرياضى والمنطقى . أما الرياضى فنه الحساب وينظر فى العدد والهندسة وهى علم المقادير والاشكال والهيئة أعنى علم الافلاك والنجوم وأقاليم الارض وما يتصل بها . وينتفع عنه

علم النجوم وأحكام المواليد والطوالع . ومنه علم الموسيقى الناظر في نسب الاوتار - وأما المنطقي فينظر في طريق الحد والرسم في الاشياء التي تدرك بالتصور . وينظر من طريق القياس والبرهان في العلوم التي تنال بالتصديق . ويدور علم المنطق على هذه القاعدة . يبتدىء بالمفردات ثم بالمرکبات . ثم بالقضايا . ثم بالقياس . ثم باقسام القياس . ثم مطلب البرهان . وهو نهاية علم المنطق « والمرتبة الثانية » وهو أوسطها العلم الطبيعي . وصاحبه ينظر في الجسم المطلق . وأركان العالم وفي الجواهر والاعراض . وفي الحركة والسكون . وفي أحوال السموات والاشياء الفعلية والانفعالية . ويتولد من هذا العلم النظر في أحوال مراتب الموجودات وأقسام النفوس والامزجة، وكمية الحواس، وكيفية ادراكها لمحسوساتها . ثم يؤدي إلى النظر في علم الطب وهو علم الأبدان والعلل والادوية والمعالجات وما يتعلق بها : ومن فروع علم الآثار العلووية . وعلم المعادن . ومعرفة خواص الاشياء : وينتهي إلى علم صنعة الكيمياء وهي معالجة الاجساد المريضة في أجواف المعادن « والمرتبة الثالثة » وهي العليا هي النظر في الموجود . ثم تقسيمه إلى الواجب والممكن . ثم النظر في الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله وأمره وحكمه وقضائه وترتب ظهور الموجودات عنه : ثم النظر في العلويات والجواهر المفردة والعقول المجردة . والنفوس الكاملة : ثم النظر في أحوال الملائكة والشياطين، وينتهي إلى علم النبوات وأمر المعجزات وأحوال الكرامات والنظر في أحوال النفوس المقدسة وحال النوم واليقظة ، ومقامات الرؤيا ومن فروع علم الطلسمات والزيجات وما يتعلق بها . ولهذه العلوم تفاصيل وأعراض ومراتب . تحتاج إلى شرح جلي ببرهان هي ولكن الاقتصار أولى *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن العلم العقلي مفرد بذاته ويتولد منه علم مركب يوجد فيه جميع

أحوال العلمين المفردين . وذلك العلم المركب علم الصوفية . وطريقة
أحوالهم . فإن لهم علماً خاصاً بطريقة واضحة مجموعة من العلمين . وعلمهم
يشتمل على الحال . والوقت والسماع . والوجد والشوق . والسكر .
والصحو والأثبات والمحو . والفقر والفناء . والولاية والأرادة ،
والشيخ والمريد وما يتعلق بأحوالهم مع الزوائد والاصناف والمقامات :
ونحن نتكلم في هذه العلوم الثلاثة في كتاب خاص إن شاء الله تعالى .
والآن ليس قصدنا إلا تعديد العلوم وأصنافها في هذه الرسالة . وقد
اختصرناها وعددناها على طريق الاختصار والايجاز . ومن أراد
الزيادة وشرح هذه العلوم فليرجع إلى مطالعة الكتب : ولما انتهى
الكلام في بيان تعديد أصناف العلوم - فاعلم أنت يقيناً أن كل فن من
هذه الفنون . وكل علم من هذه العلوم . يستدعي عدة شرائط لينتقش
في نفوس الطالبين . فبعد تعديد العلوم يجب عليك أن تعرف طرق
التحصيل فإن لتحصيل العلم طرقاً معينة نحن تفصلها (إن شاء الله) *

❖ فصل في بيان طرق التحصيل للعلوم ❖

اعلم أن العلم الانساني يحصل من طريقتين « أحدهما » التعلم الانساني
« والثاني » التعلم الرباني *

(أما الطريق الاول) فطريق معهود ومسلك محسوس . يقر به جميع
العقلاء - وأما التعلم الرباني فيكون على وجهين « أحدهما » من خارج
وهو التحصيل بالتعلم « والآخر » من داخل وهو الاشتغال بالتفكير
والتفكير من الباطن بمنزلة التعلم في الظاهر . فإن التعلم استفادة الشخص
من الشخص الجزئي . والتفكير استفادة النفس من النفس الكلي ،
والنفس الكلي أشد تأثيراً وأقوى تعليماً من جميع العلماء والعقلاء
والعلوم مركوزة في أصل النفوس بالقوة كالبذر في الارض . والجوهر
في قعر البحر . أو في قلب المعدن . والتعلم هو طلب خروج ذلك الشيء
من القوة إلى الفعل . والتعليم هو اخراجه من القوة إلى الفعل . فنفس

المتعلم تشببه بنفس المعلم وتتقرب اليه بالنسبة فالعالم بالافادة كالزارع *
 والمتعلم بالاستفادة كالارض . والعلم الذى هو بالقوة كالبذر . والذى
 بالفعل كالنبات * فاذا كملت نفس المتعلم تكون كالشجرة المثمرة أو
 كالجوهر الخارج من قعر البحر * واذا غلبت القوى البدنية على النفس
 يحتاج المتعلم إلى زيادة التعلم وطول المدة . وتحمل المشقة والتعب وطلب
 الفائدة * واذا غلب نور العقل على اوصاف الحس يستغنى الطالب بقليل
 التفكير عن كثرة التعلم فان نفس القابل تجرد من القوائد بتفكير ساعة مالا
 تجرد نفس الجامد بتعلم سنة * فاذن بعض الناس يحصلون العلوم بالتعلم
 وبعضهم بالتفكير ، والتعلم يحتاج إلى التفكير . فان الانسان لا يقدر أن
 يتعلم جميع الاشياء الجزئية والكليات وجميع المعلومات . بل يتعلم
 شيئاً ويستخرج بالتفكير من العلوم شيئاً * وأكثر العلوم النظرية
 والصنائع العملية استخراجها تفوس الحكماء بصفاء ذهنهم وقوة فكرهم
 وحدة حدسهم من غير زيادة تعلم وتحصيل * ولولا أن الانسان يستخرج
 بالتفكير شيئاً من معلومه الاول لكان يطول الامر على الناس ولما
 كانت تزول ظلمة الجهل عن القلوب لان النفس لا تقدر أن تتعلم جميع
 مهماتها الجزئية والكليات بالتعلم بل بعضها بالتحصيل وبعضها بالنظر كما
 نرى عادات الناس . وبعضها يستخرج من ضميره بصفاء فكره * وعلى
 هذا جرت عادة العلماء وتمهدت قواعد العلوم . حتى ان المهندس لا يتعلم
 جميع ما يحتاج اليه في طول عمره بل يتعلم كليات علمه وموضوعاته * ثم
 بعد ذلك يستخرج ويقيس - وكذلك الطبيب لا يقدر ان يتعلم جزئيات
 ادواء الاشخاص وادويتهم بل يتفكر في معلوماته الكلية . ويعالج كل
 شخص بحسب مزاجه - وكذلك المنجم يتعلم كليات النجوم ثم يتفكر
 ويحكم بالاحكام المختلفة - وكذلك الفقيه والاديب - وهكذا إلى بدائع
 الصنائع . فواحد وضع آلة الضرب وهو العود بتفكيره . وآخر
 استخراج من تلك الآلة آلة أخرى - وكذلك جميع الصنائع البدنية

والنفسانية أوائلها محصلة من التعلم والبواق مستخرجة من التفكير *
 وإذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكير وكيفية
 الرجوع بالحدس الى المطلوب فيشرح قلبه وتفتح بصيرته فيخرج
 ما في نفسه من القوة الى الفعل من غير زيادة طلب وطول تعب *
 ﴿ الطريق الثاني ﴾ وهو التعليم الرباني على وجهين (الاول) القاء
 الوحي وهو أن النفس اذا كملت ذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن
 الحرص والامل . وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا . وينقطع نسبتها
 عن الاماني الفانية . وتقبل بوجهها على بارئها ومنشأها . وتمسك بمجود
 مبدعها . وتعتمد على افادته وفيض نوره * والله تعالى بحسن عنايته
 يقبل على تلك النفس اقبالا كلياً . وينظر اليها نظرا الياً . ويتخذ منها
 لوحاً . ومن النفس السكلى قلما تنقش فيها جميع علومه . ويصير العقل
 السكلى كالمعلم . والنفس القدسية كالمتعلم فيحصل جميع العلوم لتلك
 النفس وينقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكير . ومصداق هذا
 قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (وعلمك ما لم تكن تعلم) الآية .
 فعلم الانبياء اشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق لان محصوله عن الله
 تعالى بلا واسطة ووسيلة * وبيان هذا يوجد في قصة آدم عليه السلام
 والملائكة . فانهم تعلموا طول عمرهم . وحصلوا بفنون الطرق كثيراً
 من العلوم حتى صاروا أعلم المخوقات وأعرف الموجودات ، وآدم عليه
 السلام ما كان عالماً لانه ما تعلم وما رأى معلماً فتفاخرت الملائكة
 وتجبروا وتكبروا فقالوا « نحن نسبح بحمدك ونقدس لك » وتعلم
 حقائق الاشياء . فرجع آدم عليه السلام الى باب خالقه ، وأخرج قلبه
 عن جملة المكنونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلمه جميع
 الاسماء « ثم عرضهم على الملائكة » فقال (انبئوني باسماء هؤلاء إن
 كنتم صادقين) فصغر حالهم عند آدم . وقل علمهم وانكسرت سفينة
 جبروتهم فغرقوا في بحر العجز (وقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا) فقال

تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) فأنبأهم آدم عليه السلام عدة مكنونات العلم ومستترات الأمر . فتقرر الأمر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة ، وصار علم الوحي ارث الانبياء وحق الرسل ، وأغلق الله باب الوحي من عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين * وكان أعلم الناس وأفصح العرب والعجم . وكان يقول (أدبى ربي فأحسن تأديبي) وقال لقومه (أنا أعلمكم وأخشاكم من الله تعالى) وإنما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لأنه حصل عن التعلم الرباني ، وما اشتغل قط بالتعلم والتعليم الانساني * قال تعالى (علمه شديد القوى)

﴿ الوجه الثاني ﴾ هو الالهام * والالهام تفيبه النفس السكلية للنفس الجزئية الانسانية على قدر صفاؤها وقبولها وقوة استعدادها، والالهام أثر الوحي فان الوحي هو تصريح الامر الغيبي ، والالهام هو تعريضه ، والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علما نبويا ، والذي يحصل عن الالهام يسمى علما لدنيا * والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري ، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف وذلك ان للعلوم كلها حاصلة ومعلومة في جوهر النفس السكلية الاولى الذي هو في الجواهر المجردة الاولى المحضة بالنسبة إلى العقل الاول كنسبة حيوان الى آدم عليه السلام * وقد بين أن العقل السكلي أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى الباري تعالى من النفس السكلية * والنفس السكلية أعز وألطف وأشرف من سائر المخلوقات ، فمن إفاضة العقل السكلي يتولد الالهام . فالوحي حلية الانبياء ، والالهام زينة الاولياء * فأما علم الوحي فكما أن النفس دون العقل فالولى دون النبي - فكذلك الالهام دون الوحي فهو ضعيف بنسبة الوحي ، قوى بإضافة الرؤيا * والعلم علم الانبياء والاولياء * فأما علم الوحي نفخاص

بالرسل موقوف عليهم كما كان لا آدم وموسى و ابراهيم ومحمد عليهم
الصلوة والسلام وغيرهم من الرسل * وفرق بين الرسالة والنبوة
* فالنبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات ، والمعقولات عن
جوهر العقل الاول ، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات
الى المستفيدين والقابلين . وربما يتفق القبول لنفس من النفوس ولا
يتأتى لها التبليغ لعذر من الاعذار وسبب من الاسباب * والعلم اللدني
يكون لاهل النبوة والولاية كما كان للخضر عليه السلام حيث أخبر
الله تعالى عنه * فقال * وعلمناه من لدنا علما * وقال أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب كرم الله وجهه * أدخلت لساني في فمي فانفتح في قلبي
الف باب من العلم مع كل باب الف باب * وقال * لو وضعت لى وسادة
وجلست عليها لحسكت لاهل التوراة بتوارثهم ولا لاهل الانجيل بانجيلهم
ولا لاهل القرآن بقرآتهم * وهذه مرتبة لا تنال بمجرد التعلم الانساني ،
بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدني ، وقال أيضا رضى الله عنه
يحكى عن عهد موسى عليه السلام أن شرح كتابه أربعون جملا فلو
يأذن الله لى فى شرح معانى الفاتحة لأشعر فيها حتى تبلغ مثل ذلك
يعنى أربعين وقرا - وهذه الكثرة والسعة والافتتاح فى العلم لا يكون
الا لدنيا اهيا سماويا * فاذا أراد الله تعالى بعباد خيرا رفع الحجاب بين
نفسه وبين النفس التى هى اللوح . فيظهر فيها أسرار بعض المكونات
وينتقش فيها معانى تلك المكونات فتعبر النفس عنها كما تشاء لمن
يشاء من عباده * وحقيقة الحكمة انثال من العلم اللدني ، ومالم يبلغ
الانسان هذه المرتبة لا يكون حكيماً لان الحكمة من مواهب الله تعالى
* يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً
وما يذكر الا اولو الالباب * وذلك لان الواصلين الى مرتبة العلم اللدني
مستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم . فيتعلمون قليلا ، ويعلمون
كثيرا ، ويتعبون يسيرا ، ويستريحون طويلا *

واعلم أن الوحي اذا انقطع ، وباب الرسالة اذا انسدت استغنى الناس عن الرسل ، واطهار الدعوة بعد تصحيح الحجية ، وتكميل الدين ، كما قال تعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ وليس من الحكمة اظهار زيادة الفائدة من غير حاجة - فاما باب الالهام فلا ينسد ؛ ومدد نور النفس السكينة لا ينقطع لدوام ضرورة النفوس وحاجتها إلى تأكيد وتجديد وتذكير - وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة واحتاجوا الى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في هذه الوسوس وانهما كهم في هذه الشهوات . فالله تعالى أغلق باب الوحي وهو آية العباد وفتح باب الالهام رحمة ، وهياً الامور ورتب المراتب ليعلموا أن الله لطيف بعباده يرزق من يشاء بغير حساب *

﴿ فصل في مراتب النفوس في تحصيل العلوم ﴾

اعلم أن العلوم مركوزة في جميع النفوس الانسانية وكلها قابلة لجميع العلوم، وانما يفوت نفسا من النفوس حظها منه بسبب طارىء ، وعارض يطرأ عليها من خارج - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ خلق الناس حنفاء فاختالهم الشياطين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ﴾ الحديث * فالنفس الناطقة الانسانية أهل لاشراق النفس السكينة عليها ومستعدة لقبول الصور المعقولة عنها بقوة طهارتها الاصلية وصفائها الاول ولكن يمرض بعضها في هذه الدنيا ويمتنع عن ادراك الحقائق بامراض مختلفة واعراض شتى ، ويبقى بعضها على الصحة الاصلية بلا مرض وفساد ، ويقبل ابدأ مادامت حية * والنفوس الصحيحة هي النفوس النبوية القابلة للوحي والتأييد ، القادرة على اظهار المعجزة والتصرف في عالم الكون والفساد ، فان تلك النفوس باقية على الصحة الاصلية ، وما تغيرت امرجتها بفساد الامراض وعلل الاعراض فصار الانبياء اطباء النفوس ودعاة الخلق إلى صحة الفطرة *

وأما النفوس المريضة في هذه الدنيا الدنيئة فصارت على مراتب

بعضهم تأثر بمرض المنزل تأثراً ضعيفاً . ودق غمام النسيان في خواطرهم
 فيشتغلون بالتعلم . ويطلبون الصحة الاصلية . فيزول مرضهم بأدنى
 معالجة ، وينتشف غمام نسيانهم بأقل تذكّر * وبعضهم يتعلمون طول عمرهم
 ويشتغلون بالتعلم ويطلبون الصحة الاصلية فلا يزول مرضهم بأدنى
 معالجة ، ولا ينتشف غمام نسيانهم بأقل تذكّر * وبعضهم يتعلمون طول
 عمرهم ويشتغلون بالتحصيل والتصحيح جميع أيامهم ، ولا يفهمون شيئاً
 لفساد أمرجتهم لان المزاج اذا فسد لا يقبل العلاج * وبعضهم يتذكرون
 وينسون ويرتاضون ويدلون أنفسهم . ويجدون نورا قليلا واشراقا
 ضعيفا ، وهذا التفاوت انما ظهر من اقبال النفوس على الدنيا
 واستغراقها بحسب قوتها وضعفها كالصحيح اذا مرض ، والمريض اذا
 صح * وهذه العقدة اذا انحلت تفر النفوس بوجود العلم اللدني وتعلم
 أنها كانت عالمة في أول الفطرة وصافية في ابتداء الاختراع * وانما
 جهلت لانها مرضت بصحبة هذا الجسد الكثيف ، والاقامة في هذا
 المنزل الكدر والمحل المظلم وانها لا تطلب بالتعلم ايجاد العلم المعلوم ،
 ولا ابداع العقل المفقود - بل اعادتها العلم الاصلى الغريزي وازالة طريان
 المرض باقبالها على رينة الجسد وتمهيد قاعدته ونظم اساسه * والاب
 المحب المشفق على ولده اذا أقبل على رعاية الولد ، واشتغل بمهمات ينسى
 جميع الامور ، ويكتفى بامر واحد وهو أمر الولد * فالنفس لشدة شغفها
 وشفقتها أقبلت على هذا الهيكل واشتغلت بعمارته ورعايته والاهتمام
 بمصالحه * واستغرقت في بحر الطبيعة بسبب ضعفها وجزئيتها فاحتاجت
 في أثناء العمر إلى التعلم طلبا لتذكّر ما قد نسيت ، وطمعا في وجدان
 ما قد فقدت وليس التعلم الا رجوع النفس إلى جوهرها واخراج ما في
 ضميرها إلى الفعل طلبا لتسكيل ذاتها ونيل سعادتها * واذا كانت
 النفوس ضعيفة لا تهتدي إلى حقيقة جوهريتها متمسكاً وتعتم على معلم
 مشفق عالم وتسغيث به ليعينها على طلب مرادها ومأمولها كالمريض

الذي يكون جاهلا بمعالجته ويعلم أن الصحة الشريفة محمودة مطلوبة ،
فيرجع إلى طبيب مشفق، ويعرض حاله عليه. ويأوى إليه ليعالجه ، ويزيل
عنه مرضه * وقد رأينا عالما يمرض بمرض خاص كالرأس والصدر فتعرض
نفسه عن جميع العلوم ، وينسى معلوماته وتلبس عليه ويستتر في حافظته
وذا كرته جميع ما حصل في سابق عمره وماضى أيامه * فإذا صح وعاد
الشفاء إليه يزول النسيان عنه وترجع النفس إلى معلوماتها . فتتذكر
ما قد نسبت في أيام المرض * فعلمنا أن العلوم ما فنيت وإنما نسيت وفرق
بين المحو والنسيان * فإن المحو فناء النقوش والرسوم * والنسيان التباس
النقوش فيكون كالغمام أو السحاب السائر لنور الشمس عن إحصار
الناظرين لا كالتعروب الذي هو انتقال الشمس من فوق الأرض إلى
أسفل : فاشتغال النفس بالتعلم هو إزالة المرض العارض عن جوهر النفس
لتعود إلى ما علمت في أول الفطرة وعرفت في بدء الطهارة . فإذا عرفت
السبب والمراد من التعلم وحقيقة النفس وجوهرها - فاعلم أن النفس
المريضة تحتاج إلى التعلم واتفاق العمر في تحصيل العلوم * فأما النفس
التي يخف مرضها وتكون علتها ضعيفة وشرها دقيقا وغمامها رقيقا
ومزاجها صحيحا فلا تحتاج إلى زيادة تعلم وطول تعب . بل يكفيها أدنى
نظر وتفكير لأنها ترجع به إلى أصلها، وتقبل على بدايتها وحقيقتها، وتطلع
على مخفياتها فيخرج ما فيها من القوة إلى الفعل ويصير ما هو مركز
فيها حلية لها فيتم أمرها ويكمل شأنها وتعلم أكثر الأشياء في أقل الأيام
وتعبر عن المعلومات بحسن النظام ، وتصير عالمة كاملة متكلمة تستضيء
بأقبال على النفس الكلية ، وتفيض باستقبال على النفس الجزئية
وتتشبه من طريق العشق بالأصل . وتقطع عرق الحسد وأصل
الحقد . وتعرض عن فضول الدنيا وزخارفها - وإذا
وصلت إلى هذه المرتبة فقد علمت ونجت وفازت
* فهذا هو المطلوب لجميع الناس *

﴿ فصل في حقيقة العلم اللدني وأسباب حصوله ﴾

اعلم أن العلم اللدني وهو سريان نور الالهام يكون بعد التسوية كما قال الله تعالى (وتنفس وما سواها) وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الاوفر من أكثرها ﴿ والثاني ﴾ الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة فان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى هذه الحقيقة ﴿ فقال (من عمل بما علم أورثه الله العلم بما لم يعلم » وقال صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » (والثالث) التفكير فان النفس اذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تفكرت في معلوماتها بشروط التفكير يفتح عليها باب الغيب كالتاجر الذي يتصرف في ماله بشرط التصرف يفتح عليه أبواب الربح * واذا سلك طريق الخطأ يقع في مهالك الخسران * فالمتفكر اذا سلك سبيل الصواب يصير من ذوى الالباب * ويفتح روزته من عالم الغيب في قلبه فيصير عالماً كاملاً عاقلاً ملهماً مؤيداً كما قال صلى الله عليه وسلم

« تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » وشرائط التفكير

نخصيها في رسالة أخرى اذ بيان التفكير وكيفية وحقيقته

أمر مهم يحتاج الى زيادة شرح وتيسير بعون الله تعالى

والآن نختتم هذه الرسالة . فان في هذه الكلمات

كفاية لأهلها « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من

نور » والله ولى المؤمنين وعليه التكلان *

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* وحسبنا الله ونعم الوكيل * ولا حول

ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وبه

ثقتى فى كل آن وحين . والحمد

لله رب العالمين *

(تمت الرسالة اللدنية - وتليها رسالة - الادب فى الدين)

﴿ الرسالة الثالثة ﴾

الادب في الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلقنا فاكمل خلقنا * وأدبنا فأحسن تأديبنا * وشرفنا
 بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأحسن تشريفنا * ثم أقول وبالله التوفيق
 إن أكمل الاخلاق وأعلاها * وأحسن الافعال وأبهاها * هو الادب
 في الدين وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين * وأخلاق
 النبيين والمرسلين * وقد أدبنا الله تعالى في القرآن بما أرانا فيه من
 البيان * وأدبنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في السنة بما أوجب علينا .
 فيه المنة - وكذلك بالصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من
 المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم - وذلك جليل خطره . كثير
 عدده : نذكر بعضه لتلا يطول شرحه فيعسر فهمه *

﴿ آداب ﴾

« أدب المؤمن بين يدي الله تعالى » إطراق الطرف . وجمع الهم
 ودوام الصمت . وسكون الجوارح . ومبادرة امتثال الأوامر ، واجتناب
 المناهي ، وقلة الاعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ، وتنزيه
 الفكر ، وتقييد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم الرب ، وقلة
 الغضب ، وكتمان الحب ، ودوام الاخلاص ، وترك النظر الى الاشخاص
 وإيثار الحق ، واليأس من جميع الخلق ، واخلاص العمل ، وصدق القول ،
 وتنزيه الاطلاع ، واحياء القربات ، وقلة الاشارة ، وكتمان الفائدة ،
 والغيرة على تبديل الاسم ، والغضب عند انتهاك المحارم ، ودوام الهيبة ،

واستشعار الحياء ، واستعمال الخوف والسكون ثقة بالضمان ، والتوكل معرفة بحسن الاختيار ، واسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وارتعاش القلب خوف فوت الفرض ، ودوام التوبة خوف الاصرار * ودوام التصديق بما غاب * ووجل القلب عند الذكر ، وزيادة الانوار عند الوعظ ، واستشعار التوكل عند الفاقة ، واخراج الصدقة من غير بخل مع الامكان *

« آداب العالم » لزوم العلم والعمل به ودوام الوقار ، ومنع التكبر ، وترك الدعاء به ، والرفق بالمتعلم والتأني بالمتعرجف ، واصلاح المسألة للبليد ، وترك الانفة من قول لا ادري * وتكون همته عند السؤال خلاصه من السائل لاختلاص السائل ، وترك التكلف ، واستماع الحجة والقبول لها وان كانت من الخصم *

« آداب المتعلم مع العالم » يبدؤه بالسلام ويقل بين يديه الكلام ويقوم له اذا قام ولا يقول له قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يسأل جلسيه في مجلسه * ولا يبتسم عند مخاطبته ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه ، ولا يأخذ بثوبه اذا قام ، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى يبلغ الى منزله ، ولا يكثر عليه عند مله *

« آداب المقرئ » يجلس جلسة الخشية ، واستماع الامر ، وانصات الفهم ، وانتظار الرحمة ، والاصغاء الى المتشابه ، واشارة الوقف ، وتعريف الابتداء ، وبيان الهمزة ، وتعليم العدد ، وتجويد الحرف ، وقائدة الخاتم والرفق بالبادي ، والسؤال عن المتعلم اذا غاب ، والحث له اذا حضر ، وترك الحديث . ويبدأ بالمتلقن يلقنه ما يصلح لنفسه او اذا احتاج الى أن يؤم غيره *

« آداب القارئ » يجلس بين يديه جلسة التواضع ، وجمع الفهم وخفض الرأس ، والاستئذان قبل القراءة * ثم الاستعاذة والتسمية والدعاء عند الفراغ *

« آداب معلم الصبيان » يبدأ بصلاح نفسه فان أعينهم اليه ناظرة
 وآذانهم اليه مصغية . فما استحسنه فهو عندهم الحسن * وما استقبحه
 فهو عندهم القبيح * ويلزم الصمت في جلسته والشز في نظره ، ويكون
 معظم تأديبه بالهبة . ولا يكثر الضرب والتعذيب ، ولا يجادلهم فيجترئون
 عليه ، ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه ، ولا يمازح بين أيديهم
 أحداً . ويتزهد عما يعطونه ويتورع عما بين يديه يطر حونه ، ويمنعهم
 من التحريش ، ويكفهم من التفتيش ، ويقبح عندهم الغيبة ، ويوحش
 عندهم الكذب والنميمة * ولا يسألهم عن أمر بيوتهم فيستملوه *
 ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه ، ويعلمهم الطهارة والصلاة ، ويعرفهم
 ما يلحقهم من النجاسة *

(آداب المحدث) يقصد الصدق ، ويجتنب الكذب ، ويحدث
 بالمشهور ، ويروى عن الثقات ، ويترك المناكير ، ولا يذكر ما جرى
 بين السلف ، ويعرف الزمان ، ويتحفظ من الزلل والتصحيف واللعن
 والتحريف ، ويدع المداعبة ، ويقبل المشاغبة ، ويشكر النعمة اذ جعل
 في مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويلزم التواضع ، ويكون معظم
 ما يحدث به ما ينتفع به المسلمون من فرائضهم وسننهم وآدابهم من
 معاني كتاب ربهم عز وجل ، ولا يحمل علمه الى الوزراء ، ولا يغشى
 أبواب الامراء فان ذلك يزرى بالعلماء ، ويذهب بهاء علمهم اذا حملوه
 الى ملوكهم ومياسيرهم * ولا يحدث بما لا يعلمه في أصله ، ولا يقرأ
 عليهم ما لا يراه في كتابه ، ولا يتحدث اذا قرئ عليه * ويحذر أن
 يدخل حديثاً في حديث *

« آداب طالب الحديث » يكتب المشهور ، ولا يكتب الغريب ،
 ولا يكتب المناكير ، ويكتب عن الثقات ، ولا تغلبه شهرة الحديث
 على قرينه * ولا يشغله طلبه عن مروءته وصلاته * يجتنب الغيبة وينصت
 للسمع ، ويلزم الصمت بين يدي محدثه ، ويكثر التلفت عند اصلاح

نسخته * ولا يقول سمعت وهو ما سمع * ولا ينشره لطلب العلو
فيكتب من غير ثقة ، ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين ولا
يكتب عن لا يعرف الحديث من الصالحين *

« آداب الكاتب » حسن الخط ، وجودة البرى ، واعراب اللفظ
ومعرفة الحساب ، وسداد الرأي ، وحسن اللباس ، وطيب الرائحة ،
والمعرفة باخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين ، والتخوف من
المصادرات ، والعلم بامر الخراج ، والمساحة والخبرة فى السوادات ،
وترك الانحرام ، والتنزه عن الحرام ، واستعمال المروءة ، وحسن
العشرة والتحفظ عن الذلة ، وترك الرفث فى المجالس ، ونفى المداعبة
والمحادثة والمداراة للحاشية *

(آداب الواعظ) ترك التكبر ، ودوام الحياء من سيده ، واظهار
الفاقة إلى خالقه ، وشهوة المنفعة لمستعمه ، والازراء على نفسه لمعرفة
عيبه ، والنظر إلى المستمعين اليه بعين السلامة ، وحسن الظن بهم بباطن
الديانة ، والاياس منهم طلباً للصيانة ، والرفق بالتأديب ، والعطف على
المبتدىء ، واعتقاد فعل ما يقول لينتفع الناس بما يقول *

(آداب المستمع) اظهار الخشوع ، ودوام الخضوع ، وسلامة
الصدر ، وحسن الظن ، واعتقاد القول ، ودوام السكوت ، وقلة التقلب
وجمع الهم ، وترك التهمة *

(آداب الناسك) يكون وقته معلوما ، وورده مفهوما ، وكلامه
مقسوما ، ودمعه مسجوما * دائماً خشوعه . لازماً خضوعه . فاضاً لظرفه
فاقاً لقلبه * مفكراً فى دينه . مراقباً لوقته . مداوما لصومه . ساهراً
فى ليله . متورطاً فى مسكنه . متقللاً فى مطعمه ومشربه . متوقفاً لنزول
أجله مجانباً لقرنائه * تاركاً لشهواته : محافظاً على صلواته . عالماً بزيادة
حاله ونقصانه * لا يحتاج إلى علم غيره مع علمه بحاله *

(آداب اعترال الناس) * يكون فقيهاً فى دينه . عارفاً بامر صلته

وصيامه وزكاته وحجه * يعتقد في اعتزالهم دفع شره عنهم ، ويحضر
الجمع والجماعات ، ويشهد الجنائز ويعود المرضى ، ولا يخوض في حديثهم
ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ، ولا يطعم نفسه في نائلهم حتى
لا يكون له حاجة إلى جيرانه * تكون أوقاته ثلاثة إما أن يصلي ويدرس
فيغتم * أو ينظر في كتبه فيتعلم - أو ينام فيسلم * يذم الذكر ، ويكثر
الشكر حتى يتم له الأمر * فإن كان له أهل يتحدث معهم ، ويجتهد في
خلوته حتى يرى ميزان عزلته *

﴿ آداب الصوفي ﴾ قلة الإشارة ، وترك الشطح في العبارة ، والتمسك
بعلم الشريعة ودوام الكد ، واستعمال الجد والاستيعاش من الناس ،
وترك الشهرة في اللباس ، وإظهار التجمل واستشعار التوكل ، واختيار
الفقر ودوام الذكر ، وكتمان المحبة ، وحسن العشرة في الصحبة والغض
عن المردان ، وترك مؤاخاة النسوان ، ودوام درس القرآن *

﴿ آداب الشريف ﴾ يصون شرفه ولا يأكل بنفسه ، ولا يتعدى
بحسبه * همته التواضع لربه والخوف من سيده ، ويأخذ بالفضل على من
دونه ، ولا يساوى من هو مثله * يعرف الفضل لأهل العلم وإن كان
مثلهم في العلم أو أعلم ، يلازم أهل الدين من أهل الفقه والقرآن *
ويهدب أخلاقه ، ويتحفظ في الفاظه عند غضبه وخطابه : يكرم جلساءه
ويواصل أخوانه ويصون أقاربه ، ويعين جيرانه ، ويزين بنفسه إخوانه *
﴿ آداب النوم ﴾ يتطهر قبل النوم ، وينام على يمينه ، ويذكر الله
عز وجل حتى يأخذه النوم ، ويدعو إذا استيقظ ، ويحمد الله تعالى *
﴿ آداب التهجد ﴾ تقليل الغذاء ، وتقصان الماء ، وإصلاح النهار
باجتناب الغيبة والكذب واللغو ، وترك النظر إلى المحرمات * والقيام
من النوم بفرع وخوف ، وإسباغ الوضوء والنظر في ملكوت السموات
والدعاء والحضور في الصلاة لفهم التلاوة *
﴿ آداب الخلاء ﴾ التسمية ثم الاستعاذ قبل الدخول وكشف الثوب

يرفق بعد قربه من الارض * ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء مع
 الغسل ، والاستنار قبل الخروج والحمد والشكر بعد الخروج *
 ﴿ آداب الحمام ﴾ * ستر العورة ، وغض البصر عن العورات ، وطلب
 الخلو ، وترك التكلم ، وقلة التلفت ومنع السلام * وقلة الجلوس وغسل
 الجنبات من قبل الدخول ، وغسل القدمين اذا خرج بالماء البارد فانه
 يذهب الصداع *

﴿ آداب الوضوء ﴾ السواك ، ودوام الذكر مع الغسل ، واستشعار
 الهيبة ممن يقصد ، والتوبة بما كان ، والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل
 في الصلاة ، والطهارة في أثر الطهارة ، وأخذ الشارب وترف الابط
 وحلق العانة وتقليم الاظافر والاختتان * وغسل البراجم وتعاهد الانف
 ونظافة الثوب والبدن *

﴿ آداب دخول المسجد ﴾ يبدأ باليمين ، ويزيل ما في نعله من الاذى
 ويذكر اسم الله عز وجل ، ويسلم على من حضر : فان كان خالياً سلم على
 نفسه ، ويسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته ، ويجلس في مواجهة
 القبلة * ويلزم المراقبة ، ويقبل مخاطبة . ويترك الملاعبة * ولا يرفع
 فيه صوته ، ولا يشهر فيه سيفه . ويمسك بنصال نبله . ولا يصنع صنعة
 ولا ينشد ضالة . ولا يبايع ولا يشارى ولا يمانع * فاذا انصرف بدأ
 باليسرى . وسأل الله تعالى من فضله ما يعطى *

﴿ آداب الاعتكاف ﴾ دوام الذكر وجمع الهم وترك الحديث ولزوم
 الموضوع * وترك التنقلات ، وحبس النفس عن مرادها ، ومنعها من محابها
 وجبرها على طاعة الله عز وجل *

﴿ آداب الأذان ﴾ يكون المؤذن عارفاً بوقته في الصيف وفي الشتاء
 غاضاً لطرفه عند صعود المنارة ، ويلتفت في أذانه عند النداء بالصلاة
 والقلاح * ويرتل الاذان وينحدر في الاقامة *

« آداب الامام » يكون عارفاً بالصلاة وفرأضها وسننها . فقيها

بما يحدث له في صلاته وما يفسدها : لا يؤم قوما وهم له كارهون . يجعل
 من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف * ويشير اليهم بلطف *
 ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا * ولا يطيل التسبيح فيملوا * ولا
 يخفف بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة على قدر قوة ضعفهم *
 ويتفرق في ركوعه وسجوده حتى يطمئنا * ويسكت سكتة قبل الحمد
 وبعد الحمد - وإذا فرغ من السورة * وينتظر في ركوعه من أحسن به
 ما لم يحجف بمن وراءه ، وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه ما لم
 يخف فوت وقته * ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة * وإذا فرغ
 نظر الى ستر الله عليه ومنته ، وازداد شكرا لسيدته ، وأدام له في كل
 حالاته الذكر *

« آداب الصلاة » خفض الجناح و لزوم الخشوع و اظهار التذلل
 وحضور القلب و نفي الوسواس ، و ترك التقلب ظاهرا و باطنا ، و هدو
 الجوارح و اطراق الطرف و وضع اليمين على الشمال ، و التفكير في التلاوة
 و التكبير بالهيبة و الركوع بالخضوع ، و السجود بالخشوع ، و التسبيح
 بالتعظيم و التشهد بالمشاهدة و التسليم بالاشفاق ، و الانصراف بالخوف
 و السعي بطلب الرضا *

« آداب القراءة » مداومة الوقار و الحياء ، و مجانبة العبث و الخناء ،
 و لزوم التواضع و البكاء *

« آداب الدعاء » خشوع القلب و جمع الهم و اظهار الذل و حسن النظر
 و خفض الجناح و سؤال الفاقة و لجأ الغريق و معرفته بقدر نفسه و عظيم
 حرمة المستول و بسط الكف عند الرغبة ، و اليقين بالاجابة ، و الخوف
 من الخيبة و انتظار الفرج و ترك العدوان ، و صحة القصد و اللجأ ، و مسح
 الوجه بباطن الكف بعد الدعاء *

« آداب الجمعة » التأهب للوقت قبل دخوله و الطهارة عند حضوره
 و البكور ، و غسل الجسد و نظافة الثوب و طيب الرائحة و ترك التخبطي

وقلة الكلام ، ودوام الذكر والقرب من الامام والانصات للخطيب والانتشار لطلب العلم والمشى بالسكينة والوقار . وترك تشبيك الاصابع ويقارب الخطى * ودوام الاطراق . وكثرة الشكر للرازق ودخول المسجد بالخشوع ورد السلام . وترك الصلاة بعد جلوس الخطيب على المنبر * ورد السلام عليه بعد اشارته . وترك الكلام واعتقاد القبول للموعظة وترك الالتفات عند اقباله ومخاطبته . وترك القيام الى الصلاة حتى ينزل من المنبر ، ويفرغ المؤذن من الاقامة *

﴿ آداب الخطيب ﴾ يأتي المسجد وعليه السكينة والوقار * ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة : ويمتنع من التخاطب ويفتظر الوقت * ثم يخطو الى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما يقول على الجبار ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخضوع * ويرتقي بالذكر ويلتفت الى مستمعه باجتماع الفكر * ثم يشير اليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام ثم يجلس للأذان فزعا من الديان : ثم يخطب بالتواضع ولا يشير بالاصابع ويعتقد ما يقوله لينتفع به : ثم يشير اليهم بالدعاء ، وينزل اذا أخذ المؤذن في الاقامة ولا يكبر حتى يسكتوا ثم يفتح الصلاة ويرتل ما يقرأ *

﴿ آداب العيد ﴾ احياء ليلته والاغتسال في صبيحة يومه ونظافة البدن وطيب الرائحة وادامة التكبير وكثرة الذكر واستعمال الخشوع والتسبيح والحمد بين تضاعيف التكبير والانصات للخطبة بعد الصلاة وأكل اليسير قبل الخروج ان كان فطراً . والذهاب في طريق والرجوع في أخرى والانصراف بالاشفاق خوف الغيبة *

﴿ آداب الحسوف ﴾ دوام الفرع واطهار الجزع ومبادرة التوبة وترك الملل . وسرعة القيام الى الصلاة وطول القيام فيها واستشعار الحذر * (آداب الاستسقاء) الصيام قبله وتقديم التوبة ورد المظالم وبذل الهمة وترك المفخرة والاغتسال قبل الخروج ودوام الصمت

ورؤية الحالة التي أوجبت المنع . والاعتراف بالذنب الذي نزلت به العقوبة ، واعتقاد ترك العود والانصات للخطبة والتسبيح بين التكبير وكثرة الاستغفار وتحويل الازار مع الدعاء * **سجد** !

* **آداب المريض** * الاكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة ودوام الحمد والثناء لله واستعمال التضرع والدعاء و اظهار العجز والفاقة والتداوى مع الاستعانة بخالق الدواء و اظهار الشكر عند القوة * وقلة الشكوى و اكرام الجلوس و ترك المصافحة *

* **آداب المعزى** * خفض الجناح و اظهار الحزن وقلة الحديث و ترك التبسم فانه يورث الحقد *

* **آداب المشى مع الجنابة** . دوام الخشوع و غص البصر و ترك الحديث و ملاحظة الميت بالاعتبار ، والتفكير فيما يجيب به من السؤال والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة ، و خوف حسرة القوت عند هجوم الموت *

* **آداب المتصدق** * ينبغي له اداؤها قبل المسألة ، و اخفاء الصدقة عند العطاء ، و كتمانها بعد العطاء ، و الرفق بالسائل ولا يبدوه برد الجواب ، و يرد عليه في الوسوسة . و يمنع نفسه البخل ، و يعطيه ما سأل أو يرده رداً جميلاً * فان عارضه العدو ابليس لعنه الله أن السائل ليس يستحق فلا يرجع بما أنعم الله به عليه بل هو مستحق لها *

* **آداب السائل** * يبدي الفاقة بصدق الحقيقة و يظهر السؤال بلطافة القول ، و يأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وإن قل و حسن الدعاء . فان رد عليه رجوع بحميل قبول العذر و ترك المعاودة و الالحاح *

* **آداب الغنى** * لزوم التواضع و نفي التكبر و دوام الشكر و التوصل الى أعمال البر و البشاشة بالفقير و الاقبال عليه و رد السلام على كل أحد و اظهار الكفاية و لطافة الكلمة و طيب المؤانسة و المساعدة على الخيرات .

« آداب الفقير » لزوم القناعة وكتمان الفاقة وترك البذالة والتضعف والقاء الطمع وإيثار الصيانة وإظهار الكفاية لأهل المروعة من أهل الديانة واجلال الاغنياء مع قلة الاستبشار لهم * وإظهار الكفاية لهم مع الايلاس منهم ، وترك الكبر عليهم - مع نفي التذلل وحفظ القلب عند رؤيتهم والتمسك بالدين عند مشاهدتهم *

« آداب المهدي » رؤية الفضل للمهدي اليه وإظهار السرور بالقبول لها * والشكر عند رؤية المهدي اليه ، والاستقلال لها وإن كثرت * « آداب المهدي اليه » إظهار السرور بها وإن قلت والدعاء لصاحبها إذا غاب والبشاشة إذا حضر والمكافأة إذا قدر والثناء عليه إذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ من ذهاب الدين معه ونفي الطمع ثانيا * « آداب اصطناع المعروف » البداية قبل السؤال والمبادرة به عند الوعد ، والتوقير له عند العطاء ، والستر له بعد الأخذ ، وترك المنة بعد القبول والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه * « آداب الصيام » طيب الغذاء ، وترك المرء ، ومجانبة الغيبة ، ورفض الكذب ، وترك الاذى ، وصون الجوارح عن القبائح *

﴿ آداب الحج ﴾

« آداب الطريق » طيب النفقة والاحسان إلى المكارى ومعاونة الرقصة ، والرفق بالمنقطع ، وبذل الزاد وحسن الخلق وطيب الكلمة والمزاح من غير معصية واختيار التعديل والاستبشار به عند رؤيته والاصغاء عند محادثته ، وقلة المماراة له عند ضجره ، والتعافل عن زلته والشكر له عند خدمته ، والتوصل إلى إيثاره ومساعدته * « آداب الاحرام » غسل الجسد ونظافة الازارين ، وطيب الرائحة وتعاهد الجياع والتلبية بالهيبة ورفع الصوت بحلاوة الاجابة والطواف بتعظيم الحرمة ، والسعى بطلب الرضاء ، والوقوف بمشاهدة القيامة *

وشهود المشعر برؤية الرحمة ، والحلق برؤية العتق ، والذبح برؤية الكفارة والرمي برؤية الطاعة ، وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد والرد بحقيقة الاسف والانصراف بمحبة الرجوع *

« آداب دخول مكة » دخول الحرم بالتعظيم ، والنظر إلى مكة بالتحسر ، ورؤية المسجد بالتفضيل ، ونظر البيت بالتكبير والتهليل ودوام الطواف ومواصلة العمرة ، ودخول البيت بتعظيم الحرمه ودوام التوبة بعد دخوله *

« آداب دخول المدينة » يدخلها بالوقار مع السكينة والمشاهدة لما كان فيها من الشريعة ، والنظر اليها بالعين الرفيعة : ثم يأتي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته * ثم يأتي قبره وكأنه ناظر إلى شخصه الكريم ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرتة كأنه معاين لجلسته : فيبدوّه بالسلام : ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتهما له ، ومشيته بينهما ، واقباله عليهما * واذا ودع القبر فلا يوليه الظهر *

« آداب التاجر » لا يجلس في طريق المسلمين فيضيق عليهم ، ويستعمل غلاما كيسا لا يبخس في كيله ، ولا ينقص في وزنه : يأمره بالرجحان وترك العجلة في الميزان : يكون ميزان دراهمه في حذته كالطيّار ، ومن اعتداله كالمعيار : طويلة خيوطه : دقيقة ذوائبه . معبرة صنجاته . معتدلة حياتة : يتبدىء كل يوم بمسح ميزانه ، ويتعاهد تقص ارجاله وصنجاته : يأمر غلامه بالتوقف في كيله الا دهان - واذا وقف عليه شريف أكرمه أو جار فضله أو ضعيف رحمه أو غير هؤلاء النصفه * يبيع على قدر أسعاره ان تقص سعره زاد زبونه - كما انه ان زاد سعره تقص زبونه ، وتكون همته في جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم والغلمان : يشتري عرضه باليسير من سفيه يقف عليه . لا يرد السائل ولا يمنع البشر من النائل فان كان هو المتولى لامره كان ما يلزم غلامه هو

اولى به * ويشترى الارطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات،
ويترك المدح للسلمة عند البيع، والذم لها عند الشراء، ويلزم الصدق
عند الاخبار ويحذر الفحش عند المزايدة، والكذب عند المحادثة، ويقل
الخلوض مع أهل الاسواق ومداعبة الاحداث ويقصر في الخصومات *
« آداب الصيرفي » يعتقد الصحة ويؤدي الامانة ويحذر الربا ويقرب
النسيئة ولا ينفق الرديئة ويوفي الوزن ولا يعتقد الغش والغبن متفقداً
لمعياره خائفاً من نقصان صنجاته ومثاقيله *

« آداب الصائغ » استعمال النصيحة والاجتهاد في الجودة، وقلة
المطل ووفاء الوعد وترك التعدي في الاجرة *

« آداب الاكل » غسل اليدين قبل الطعام وبعده والتسمية، والاكل
باليمين وبما يلبسه، ويصغر القمة وإجادة المضغ وقلة النظر إلى وجوه
الحاضرين، ولا يأكل متكئاً ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع
ويعتذر اذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجة، وأكل من
جوانب القصة ولا يأكل من ذروتها، ويلصق الاصابع بعد الفراغ
ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينغص على الحاضرين *

« آداب الشرب » ينظر في انائه قبل شربه، ويسمى الله تعالى قبله
ويحمده بعده، ويمصه مصاً، ولا يعبه عباً، ويتنفس في شربه ثلاثاً
يتبعه بالتحميد، ويرد بالتسمية ولا يشرب قائماً، ويناول من كان على
يمينه إن كان معه غيره *

« آداب الرجل اذا أراد النكاح » يطلب الدين : ثم بعده الجمال
والمال إن أراد . ولا يشارط على ما ياتيه، ولا يضمره ولا يخطف على خطبة
أخيه، ولا يأذن في املاكه وعرضه بما يباعده من ربه ويزريه ولا
يجلس في خلواته حيث يرى غيره حرمة، ولا يقبلها بين أهله وأهلها،
ويبدوها اذا خلا في سؤاله، ولا يكون سفيره كذاباً، ولا الخبر له تماماً
بل من خاصتها، ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها

لصيامها، وعن حياؤها ونظافتها وحسن الفاظها وقبحها ولزوم عقرب بيتها وبرها
 بوالديها، ويتلطف قبل العقد في النظر اليها، وبعده بما يبلغها بالكلام
 الجميل، ويبحث عن خصال والدها ودينه وجماله والتهاد ودينها وأعمالها
 « آداب المرأة اذا خطبها الرجل » تأمر من تأمن به من أهلها إن
 كان صدوقاً - أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته
 في نفسه وصدقه في وعده، وتنظر من قرباؤه ومن يغشاه في بيته وعن
 مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته في تجارته وصنعتة، ويكون
 ورغبته في دينه دون ماله أو في سيرته دون شهرته: تعزم معه على القناعة
 وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للالفة وأثبت للعودة *

« آداب الجماع » طيب الرائحة ولطافة الكلمة واظهار المودة وتقبييل
 الشهوة والتزام المحبة * ثم التسمية وترك النظر إلى الفرج فانه يورث
 الععي، والستر تحت الازار وترك استقبال القبلة *

« آداب الرجل مع الزوجة » حسن العشرة ولطافة الكلمة واظهار
 المودة والبسط في الخلوة والتغافل عن الزلة، وإقالة العثرة وصيانة عرضها
 وقلة مجادلتها وبذل المؤنة بلا بخل لها وإكرام أهلها ودوام الوعد
 الجميل وشددة الغيرة عليها *

« آداب المرأة مع زوجها » دوام الحياء منه وقلة المماراة له ولزوم
 الطاعة لأمره والسكون عند كلامه والحفظ له في غيبته وترك الخيانة في
 ماله وطيب الرائحة، وتعهد التهم ونظافة الثوب واظهار القناعة واستعمال
 الشفقة ودوام الزينة وإكرام أهله وقرباته، ورؤية حاله بالفضل وقبول
 فعله بالشكر، واظهار الحب له عند القرب منه، واظهار السرور
 عند الرؤية له *

« آداب الرجل في نفسه » لزوم الجمعة والجماعة، ونظافة الملابس
 وإدامة السواك: ولا يلبس المشهور ولا المحقور، ولا يطيل ثيابه تكبراً
 ولا يقصرها تمسكناً، ولا يكثر التلفت في مشيته، ولا ينظر إلى غير

حرمته ولا يبصق في حال محادثته ، ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه ولا يكثر لاخوانه الحديث عن زوجته وما في بيته *
 ﴿ آداب المرأة في نفسها ﴾ لازمة لمنزلها . قاعدة في قعر بيتها لا تكثر

صعودها ولا اطلاعها الكلام لجيرانها ، ولا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول : تسربلها في نظره ، وتحفظه في غيبته ولا تخرج من بيته وان خرجت فمنخبئة تطلب المواضع الخالية مصونة في حاجتها بل تتناكر ممن يعرفها : همتها اصلاح نفسها وتديير بيتها مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة في عيها متفكرة في دينها دائمة صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائعة لبعلها تحته على طلبه الحلال ، ولا تطلب منه الكثير من النوال ظاهرة الحياء قليلة الخناء صبور شكور مؤثرة في نفسها مواسية من حالها وقوتها - واذا استأذن ببابها صديق لبعلها وليس لبعلها حاضراً لم تستفهمه ، ولا في الكلام تعاوده غيره منها على نفسها وبعلها منه *
 ﴿ آداب الاستئذان ﴾ المشى بجانب الجدار ولا يقابل الباب والتسبيح والتحميد قبل الدق والسلام بعده ، وترك السمع إلى من في المنزل واستئذان بعد السلام فان أذن له والارجع ولم يقف ولا يقول أنا بل يقول فلان اذا استفهم *

﴿ آداب الجلوس على الطريق ﴾ غض البصر ونصر المظلوم واغانة الملهوف وإعانة الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل وترك التلفت والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق والتلف فان أصر فبالرهبة والعنف ، ولا يصغى إلى الساعى إلى بيينة ولا يتجسس ولا يظن بالناس الاخيراً *

﴿ آداب المعاشرة ﴾ اذا دخل مجلساً أو جماعة سلم وجلس حيث المتسع ، وترك التخطف ، وخص بالسلام من قرب منه اذا جلس وان بلى بمجالسة العامة ترك الخوض معهم ولا يصغى إلى أراجيفهم ويتعافل عما يجرى من سوء الفاظهم ، ويقل اللقاء لهم الا عند الحاجة ، ولا يستصغر

أحداً من الناس فيهلك ولا يدرى لعله خير منه وأطوع لله منه * ولا ينظر اليهم بعين التعظيم في دنياهم لأن الدنيا صغيرة عند الله صغيرة ما فيها ولا يعظم قدر الدنيا في نفسه فيعظم أهلها لاجلها فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال من دنياهم فيصغر في أعينهم ولا يعاديهم فمظهر لهم العداوة ولا يطبق ذلك ولا يصبر عليه إلا أن تكون معادة في الله عز وجل : فيعادي أفعالهم القبيحة ، وينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة ، ولا يشكر اليهم في مودتهم له واكرامهم إياه وحسن بشاشتهم في وجهه وثناهم عليه فانه من طلب حقيقة ذلك لم يجده إلا في الاقل ، وإن سكن اليهم وكله الحق اليهم فهلك ، ولا يطمع أن يكونوا له في الغيب كما هم له في العلانية فانه لا يجرد ذلك أبداً ولا يطمع فيما في أيديهم فيذل لهم ويذهب دينه معهم ولا يتكبر عليهم * وإذا سأل أحداً منهم حاجة فقضها فهو أخ مستفاد وإن لم يقضها فلا يذمه فيكتسب عداوته ولا يعظ أحداً منهم الا أن يرى فيه أثر القبول وإلا عاداه ولم يسمع منه * وإذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو نداء فليرجع بذلك إلى الله عز وجل ويحمده ويسأله أنه لا يكله اليهم * وإذا رأى منهم شراً أو كلاماً قبيحاً أو غيبة أو شيئاً يكرهه فليكل الأمر إلى الله تعالى ويستعيذ به من شره ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فانه لا يجرد عندهم للعتاب موضعاً ويصيرون له أعداء ولا يشقى غيظه بل يتوب إلى الله تعالى من الذنب الذي به سلطهم عليه ، ويستغفر الله منه - وليكن سميعاً لحقهم أصم عن باطلهم *

« آداب الولد مع والديه » يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل لأمرهما ويلبي دعوتهما ، ويخفف لهما جناح الذل من الرحمة ولا يبرهما بالألحاح ولا يمين عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يعصى لهما أمراً *

« آداب الوالد مع أولاده » يعينهم على بره ولا يكلفهم من البر فوق

طاقتهم ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم ، ولا يمنعهم من طاعة ربه ، ولا يمن عليهم بتربيته *

« آداب الاخوان » الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشجيع عند القيام والانصات عند الكلام ، وتكره المجادلة في المقال وحسن القول للحكايات وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الاسماء *

« آداب الجار » ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في مرضه ويعزبه عند مصيبته ويهنئه في فرجه ويتلطف لولده وعبيده في الكلام ويصفح عن زلته ومعاتبته برفق عند هفوته ويغض عن حرمة ويعينه عند صرخته ولا يديم النظر إلى خادمته *

« آداب السيد مع عبده » لا يكلفه مالا يطيق من خدمته ويرفق به عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سبه فيجراً عليه ويصفح عن زلته ويقبل معذرتة وإذا أصلح له طعاماً أجلسه معه على مائدته أو أعطاه لقماً من طعامه *

« آداب العبد مع سيده » يأتمر لأمره وينصحه في غيبته ويبذل له خدمته ويحفظه في حرمة ويرق على ولده ولا يخونه في ماله *

« آداب السلطان مع الرعية » استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر قبل الامر ، وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم ، والتودد إلى العامة مع مزج الرهبة لهم ، والتطلع على أمور الحاشية واستعمال المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الاصحاب والاقارب ، والرفق في الجناية ودوام الحماية *

« آداب الرعية مع السلطان » قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة به إلا لشيء يلزم أمره ، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق ، وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين ، وقلة السؤال وإن كان مجيباً ، والدعاء له إذا ظهر وترك الكلام فيه والانشاد إذا غاب *

« آداب القاضي » ادمان السكوت واستعمال الوقار وهدو الجوارح
 ومنع الحاشية من الفساد والطغيان ، والرفق بالارامل والاحتياط لليتيم
 والتوقف في الجواب والرفق بالخصوم ، ومنع الميل إلى أحد الخصمين
 والموعظة للمخالف ودوام اللجأ إلى الله في صواب القضاء *
 « آداب الشاهد » استشعار الامانة وإظهار الصيانة واستعمال الديانة
 وترك الخيانة والتثبت في الشهادة والتحفظ من النسيان وقلة المجادلة
 للسلطان *

« آداب الجهاد » صدق النية والغيرة لله تعالى وبذل المجهود والسخاء
 بالمهجة ونفي شهوة الرجوع والتقص في أن تكون كلمة الله هي العليا
 وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند القتال
 وفي كل حال *

« آداب الاسير » لا يؤمل فرجا من غير الله تعالى ، ولا يذل نفسه
 في معصية الله تعالى ، ولا ييأس من روح الله تعالى ويجمع همه بين يدي
 الله تعالى ويعلم أنه بعين الله ولا ينبسط في مال العدو بما لا يبيحه الله
 ولا يفرغ إلى غير الله تعالى *

* آداب جامع *

قال بعض الحكماء من الادب : ألق صديقك وعدوك بوجه الرضاء
 من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقر من غير كبر : وكن في جميع
 أمورك في أوساطها ، ولا تنظر في عطفك ولا تكثر الالتفات ولا تقف
 على الجماعات ، وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك والعبث
 بخاتمك وتحليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وطرد الذباب عن وجهك
 وكثرة التملط والتناؤب : وليكن مجلسك هادئاً وكلامك مقسوماً واصغ
 إلى الكلام الحسن ممن يحادثك بغير اظهار عجب منك ولا مسكنة ولا
 إعادة وغض من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك
 ولا جاريتك ولا تتصنع كما تتصنع المرأة * ولا تتبذل كما يتبذل العبد *

وكن معتدلاً في جميع أمورك ، وتوق كثرة الكحل والاسراف في
 الدهن ولا تلح في الحكايات ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم
 عن مالك فانهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ
 إلى رضاهم وأجبههم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف واذا خاصمت
 فتوقر * وتفكر في حججك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تجث
 على ركبتيك * وإذا هدأ غضبك فتكلم وإن بليت بصحبة السلطان
 فكن منه على حذر * ولا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك
 بالصبي وكله بما يشاء * وإياك أن تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه
 ولو كان مستمعاً لذلك * وإياك وصديق العافية فانه احد الاعداء لك
 ولا تجعل مالك اكرم عليك من عرضك * وإياك وكثرة البصاق بين
 الناس فان صاحبه ينسب إلى التأنيث * ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك
 فانه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة * ولا تمازح لبيباً فيحقد
 عليك * ولا سفياً فيجتريء عليك لان المزاح يحرق الهيبة ويسقط
 المنزلة وبذهب ماء الوجه ويعقب الحزن ويزيل حلاوة الود * يثير فقه
 الفقيه ويجريء السفية ويميت القلب ويباعد من الرب * ويعقب الذم ،
 ويفسخ العزم * ويظلم السرائر * ويميت الحواطر * ويكثر الذنوب *
 ويبين العيوب * نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى * ويعافينا
 فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى * ويبارك لنا فيما أعطى * ويقينا شر
 ما قضى * فانه لا اراد لما قضى * ولا يعز من عادي * ولا يذل من والى *
 تبارك ربنا وتعالى * نستغفره ونتوب اليه * ونسأله أن يصلى بأفضل
 الصلوات كلها على عبده المصطفى ، وعلى آله وأصحابه
 أعلام الهدى ، وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله
 رب العالمين * وصلى الله على سيدنا
 محمد النبي الامين آمين *

﴿ تمت رسالة الأدب في الدين - وتليها رسالة أيها الولد ﴾

﴿ الرسالة الرابعة ﴾

رسالة أيتها الولد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * والعاقة للمتقين * والصلاة والسلام على
نبيه محمد وآله أجمعين *

«اعلم» أن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام
زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه
واشغلت بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم ،
واستكمل من فضائل النفس * ثم انه فكر يوماً في حال نفسه ، وخطر
على باله فقال - إني قرأت أنواعاً من العلوم ، وصرفت ريعان عمري على
تعلمها وجمعها : فالآن ينبغي أن أعلم أي نوعها ينفعني غداً ويؤانسني
في قبري وأبها لا ينفعني حتى أتركه * فقد قال رسول الله صلى الله وسلم
« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع » فاستمرت له هذه الفكرة حتى
كتب إلى حضرة الشيخ حجة الاسلام محمد الغزالي رحمه الله عليه
استفتاء : وسأله مسائل والمس منه نصيحة ودعاء * قال وإن كان
مصنفات الشيخ كالأحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلي لكن
مقصودي أن يكتب الشيخ حاجتي في ورقات تكون معي مدة حياتي ،
وأعمل بما فيها مدة عمري إن شاء الله تعالى * فكتب الشيخ هذه
الرسالة إليه في جوابه والله أعلم *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(اعلم) أيها الولد المحب العزيز أطل الله بقالك بطاعته * وسلك بك سبيل أحبائه أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه السلام إن كان قد بلغك منه نصيحة فأى حاجة لك في نصيحتي ، وإن لم يبلغك فقل لي ماذا حصلت في هذه السنين الماضية *

« أيها الولد » من جملة مانصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله (علامة اعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له جدير أن تطول عليه حسرتة * ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليستجهز إلى النار) ففي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم *

« أيها الولد » النصيحة سهلة والمشكل قبولها لأنها في مذاق متبعي الهوى مرة إذ المناهى محبوبة في قلوبهم وعلى الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي ومشتغلا في فضل النفس ومناقب الدنيا فانه يحسب أن العلم المجرد له ستكون نجاته وخلاصه فيه ، وأنه مستغن عن العمل - وهذا اعتقاد الفلاسفة : سبحانه الله العظيم لا يعلم هذا المغرور أنه حين حصل العلم إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه) وروى أن الجنيد قدس الله سره رؤى في المنام بعد موته فقيل له ما الخبر يا أبا القاسم : قال طاحت تلك العبارات، وفنيت تلك الاشارات وما نفعنا إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل *

« أيها الولد » لا تكن من الاعمال مفلسا ، ولا من الاحوال خاليا وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ اليد : مثاله لو كان على رجل في برية عشرة

أسياف هندية مع أسلحة أخرى ، وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب
 خمل عليه أسد عظيم مهيب فما ظنك هل تدفع الاسلحة شره عنه بلا
 استعمالها وضربها — فمن المعلوم انها لا تدفع الا بالتحريك والضرب *
 فكذا لو قرأ رجل مائة الف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده
 الا بالعمل * ومثله أيضاً لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوي يكون
 علاجه بالسكنكبين والكشكباب فلا يحصل البرء الا باستعمالها (شعر)
 كرمي دوهزار رطل همي بنجاني تامي نخوري نباشدت شيداني (١)
 ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لا تكون مستعداً
 لرحمة الله تعالى الا بالعمل (وأن ليس للانسان الا ماسعى) * فمن كان
 يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً * جزاء بما كانوا يكسبون * ان
 الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها
 لا يبغون عنها حولا * الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً * وما نقول
 في هذا الحديث * بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن
 محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت
 من استطاع اليه سبيلاً * والايمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل
 بالاركان * ودليل الاعمال اكثر من أن يحصى وإن كان العبد يبلغ
 الجنة بفضل الله تعالى وكرمه لكن بعد ان يستعد بطاعته وعبادته لان
 رحمة الله قريب من المحسنين * ولو قيل ايضاً يبلغ بمجرد الايمان * قلنا
 نعم لكن متى يبلغ ؟ وكم من عقبه كؤودة يقطعها الى ان يصل * فأول
 تلك العقبات عقبه الايمان وانه هل يسلم من سلب الايمان أم لا — واذا
 وصل هل يكون خائباً مفلساً ؟ وقال الحسن البصري يقول الله تعالى
 لعباده يوم القيامة: ادخلوا يا عبادي الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم

(١) نعم ما ترجم به هذا البيت حفرة الاستاذ الجليل مرشد السالكين الشيخ

محمد أمين الكردي النقشبندی عليه الرحمة فقال :

(لو كنت ألقى رطل خمر لم تكن * لتصير نشواناً اذا لم تشرب)

« أيها الولد » ما لم تعمل لم تجد الأجر - حكى ان رجلا من بني اسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله اليه ملكا يخبره انه مع تلك العبادة لا يليق به دخول الجنة فلما بلغه قال العابد: نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده . فلما رجع الملك قال إلهي أنت أعلم بما قال * فقال الله تعالى اذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه * اشهدوا ياملائكتي أني قد غفرت له * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا * وقال على رضى الله عنه * من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن * ومن ظن انه يبذل الجهد يصل فهو مستغن * وقال الحسن رحمه الله تعالى * طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب * وقال علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاسحق من اتبع هواه وتمنى على الله تعالى الاماني *

« أيها الولد » كم من ليال أحييتها بشكر العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم * لا أعلم ما كان الباعث فيه ان كان نيل عرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الأقران والامثال فويل لك ثم ويل لك : وان كان قصدك فيه احياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الامارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك * ولقد صدق من قال شعراً *

(سهر العيون لغير وجهك ضائع * وبكاؤهن لغير فتدك باطل)

« أيها الولد » عش ماشئت فانك ميت ، وأحب من شئت فانك

مفارقة ، واعمل ماشئت فانك مجزى به *

« أيها الولد » أى شىء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف والطب والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف

غير تضيق العمر بخلاف ذى الجلال * إني رأيت في أنجيل عيسى عليه الصلاة والسلام قال : من ساعة أن يوضع الميت على الجنازة إلى أن يوضع على شفير القبر يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالاً * أوله يقول عبدى طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظرى ساعة : وكل يوم ينظر في قلبك يقول : ما تصنع لغيرى وأنت محفوف بخيرى أما أنت أصم لا تسمع *

« أيها الولد » العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون *
« واعلم » أن العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصى ولا يحملك على الطاعة ولن يبعدك غداً عن نار جهنم ، وإذا لم تعمل اليوم ولم تدارك الايام الماضية تقول غداً يوم القيامة : فأرجعنا لعمل صالحاً - فيقال يا أحمق أنت من هناك تجيء *

« أيها الولد » اجعل الهمة في الروح والهزيمة في النفس والموت في البدن لان متلك القبر ، وأهل المقابر ينتظرونك في كل لحظة متى تصل اليهم : إياك إياك أن تصل اليهم بلا زاد * وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذه الاجساد قفص الطيور واصطبل الدواب : فتفكر في نفسك من أيهما أنت - إن كنت من الطيور العلوية فحين تسمع طنين طبل ارجعي إلى ربك تطير صاعداً إلى أن تقعد في أعلى بروج الجنان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اهتر عرش الرحمن من موت سعد ابن معاذ » والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال الله تعالى ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار الى هاوية النار * وروى ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى أعطى شربة ماء بارد فأخذ القدح وغشى عليه وسقط من يده فلما أفاق قيل له مالك يا أبا سعيد : قال ذكرت أمنية اهل النار حين يقولون لاهل الجنة - أفيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله *

« أيها الولد » لو كان العلم المجرد كافياً لك ولا تحتاج الى عمل سواه

لكان نداء - هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب ضائعاً بلا
 فائدة * وروى أن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجتمعين ذكروا
 عبد الله بن عمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نعم الرجل هو
 لو كان يصلى بالليل * وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه «يا فلان
 لا تنكث النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة»
 «أيها الولد» ومن الليل فتهجد به أمر، وبالاسحار هم يستغفرون
 شكر، والمستغفرون بالاسحار ذكر * قال عليه السلام «ثلاثة أصوات
 يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت
 المستغفرين بالاسحار» قال سفيان الثوري رحمة الله تعالى عليه إن الله
 تبارك وتعالى خلق ريحاً تهب بالاسحار تحمل الاذكار والاستغفار إلى
 الملك الجبار * وقال أيضاً إذا كان أول الليل ينادى مناد من تحت العرش
 ألا ليقيم العابدين فيقومون ويصلون ماشاء الله * ثم ينادى مناد في شطر
 الليل ألا ليقيم القانتون فيقومون ويصلون إلى السحر: فإذا كان السحر
 نادى مناد ألا ليقيم المستغفرون فيقومون ويستغفرون: فإذا طلع
 الفجر نادى مناد ألا ليقيم الغافلون فيقومون من فروشهم كالموتى
 نشروا من قبورهم *

«أيها الولد» روى في وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال يا بني لا
 يكونن الديك أكييس منك ينادى بالاسحار وأنت نائم ولقد أحسن
 من قال شعراً:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة * على فنن وهنا واني لنائم
 كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحائم
 وأزعم انى هائم ذو صبابة * لربى فلا أبكى وتبكى البهائم
 «أيها الولد» خلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة ماهي *

«اعلم» أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الاوامر والنواهي
 بالقول والفعل: يعنى كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشرع

كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصياً أو صليت في ثوب
مغصوب وان كانت صورة عبادة تأثم *

« أيها الولد » ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع
اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة ، وينبغي لك أن لا تغتر
بالشطح وطامات الصوفية لان سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة
وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة لا بالطامات والترهات
﴿واعلم﴾ أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة
علامة الشقاوة حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهدة لن يحيا قلبك بأنوار
المعرفة ﴿واعلم﴾ بان بعض مسائلك التي سألتني عنها لا يستقيم جوابها
بالكتابة والقول إن تبلغ تلك الحالة تعرف ماهي والا فعلها من
المستحيلات لانها ذوقية ، وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول
كحلاوة الخلو ومرارة المر لا يعرف الا بالذوق كما حكى . إن عيننا
كتب الى صاحب له أن عرفني لذة الجامعة كيف تكون فكتب له في
جوابه : يا فلان اني كنت حسبتك عيننا فقط - الآن عرفت أنك عين
واحمق - لان هذه اللذة ذوقية إن تصل اليها تعرف والا لا يستقيم
وصفها بالقول والكتابة *

﴿أيها الولد﴾ بعض مسائلك من هذا القبيل - وأما البعض الذي
يستقيم له الجواب فقد ذكرناه في احياء العلوم وغيره : ونذكر ههنا
نبذاً منه ونشير اليه فنقول : قد وجب على السالك أربعة أمور
« الامر الاول » اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة (والثاني) توبة نصوح
لا يرجع بعدها الى الزلة (والثالث) استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد
عليك حق (الرابع) تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى
ثم من علوم الآخرة ما تكون به النجاة * حكى ان الشبلي رحمه الله
خدم اربعمائة أستاذ ، وقال قرأت أربعة آلاف حديث : ثم اخترت منها
حديثاً واحداً وعملت به وخليت ماسواه لاني تأملته فوجدت خلاصي

ونجاتي فيه : وكان علم الاولين والآخرين كله مندرجاً فيه فاكتميت به وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه * **اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك اليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها** *

« أيها الولد » اذا علمت هذا الحديث لاجابة الى العلم الكثير وتأمل في حكايات أخرى - وذلك ان حاتم الأصم كان من أصحاب الشقيق البلخي رحمة الله تعالى عليهما . فسأله يوماً قال صاحبتي منذ ثلاثين سنة ما حصلت فيها * قال حصلت ثمانى فوائد من العلم وهي تكفيني منه لاني أرجو خلاصى ونجاتي فيها : فقال شقيق ماهى : قال حاتم الأصم « الفائدة الاولى » انى نظرت الى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه وبعض ذلك المحبوب يصاحبه الى مرض الموت وبعضه الى شفير القبر * ثم يرجع كله ويتركه فريداً وحيداً ولا يدخل معه فى قبره منهم أحد : ففكرت وقلت افضل محبوب المرء ما يدخل فى قبره ويؤانسه فيه فما وجدته غير الاعمال الصالحة فاخذتها محبوباً لى لتكون سر اجالى فى قبرى ، وتؤانسنى فيه ولا تتركنى فريداً « الفائدة الثانية » انى رأيت الخلق يقتدون بأهوائهم ويبادرون الى مرادات أنفسهم فتأملت قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وتيقنت ان القرآن حق صادق فبادرت الى خلاف نفسى وتشمرت بمجاهدتها ومامتعتها بهواها حتى رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى واتقادت «الفائدة الثالثة» انى رأيت كل واحد من الناس يسعى فى جمع حطام الدنيا ثم يمسكها قابضاً يده عليه فتأملت فى قوله تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فبذلت محصولى من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لى عند الله تعالى «الفائدة الرابعة» انى رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه فى كثرة الاقوام والمشارر فاغتر بهم وزعم آخرون انه فى ثروة الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا بها

وحسب بعضهم الشرف والعز في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك
 دماهم * واعتقدت طائفة انه في اتلاف المال واسرافه وتبذيره وتأملت
 في قوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فاخترت التقوى واعتقدت
 ان القرآن حق صادق وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل « والفائدة الخامسة »
 اني رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويعتاب بعضهم بعضاً فوجدت ذلك
 من الحسد في المال والجاه والعلم فتأملت في قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم
 معيشتهم في الحياة الدنيا) فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى في
 الأزل فما حسدت أحداً ورضيت بقسمة الله تعالى (الفائدة السادسة)
 اني رأيت الناس يعادى بعضهم بعضاً لغرض وسبب فتأملت قوله تعالى
 (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) فعلمت أنه لا تجوز عداوة أحد
 غير الشيطان (والفائدة السابعة) اني رأيت كل أحد يسعى بجد ويجتهد
 بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع به في شبهة وحرام ، ويذل
 نفسه ، وينقص قدره فتأملت في قوله تعالى (وما من دابة في الارض
 الا على الله رزقها) فعلمت أن رزقي على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت
 بعبادته وقطعت طمعي عن سواه (الفائدة الثامنة) اني رأيت كل
 واحد معتمداً على شيء مخلوق بعضهم إلى الدينار والدرهم وبعضهم إلى المال
 والملك وبعضهم إلى الحرفة والصناعة ، وبعضهم إلى مخلوق مثله فتأملت
 في قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل
 الله لكل شيء قدراً) فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل :
 فقال شقيق وفقك الله تعالى اني قد نظرت التوراة والانجيل والزبور
 والفرقان فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه التوائد الثمانية .
 فمن حمل بها كان عاملاً بهذه الكتب الاربعة *
 (أيها الولد) قد علمت من هاتين الحكايتين أنك لا تحتاج إلى
 تكثير العلم . والآن أبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق (فاعلم)
 أنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرابي ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته

ويجعل مكانها خلقا حسنا : ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع
 الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل
 ريعه : ولا بد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى لان
 الله أرسل للعباد رسولا للارشاد الى سبيله . فاذا ارتحل صلى الله عليه
 وسلم فقد خلف الخلفاء في مكانه حتى يرشدوا الى الله تعالى * وشرط
 الشيخ الذي يصلح أن يكون نائبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه
 أن يكون عالما - ولكن لا كل عالم يصلح للخلافة * وانى أبين لك
 بعض علاماته على سبيل الاجمال حتى لا يدعى كل أحد أنه مرشد فنقول .
 من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قد تابع لشخص بصير
 يتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وكان محسنا رياضته
 نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم .
 وكان متابعته الشيخ البصير جاعلا محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة
 والشكر والتوكل واليقين والقناعة وطمأنينة النفس ، والحلم والتواضع
 والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها فهو
 اذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم يصلح للاقتداء به ، ولكن
 وجود مثله نادر أعز من الكبريت الاحمر . ومن ساعدته السعادة فوجد
 شيئا كما ذكرنا وقبله الشيخ ينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطناً * أما احترام
 الظاهر فهو أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة وان
 علم خطأه . ولا يلتقي بين يديه سجادته الا وقت أداء الصلاة فاذا فرغ
 رفعها . ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته . ويعمل ما يأمره الشيخ من
 العمل بقدر وسعه وطاقته * وأما احترام الباطن فهو أن كل ما يسمع
 ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا فعلا ولا قولاً لئلا يتسم
 بالتناقض * وان لم يستطع يترك صحبته الى أن يوافق باطنه ظاهره * ويحترز
 عن مجالسة صاحب السوء ليقصر ولاية شياطين الجن والانس من صحن
 قلبه فيصني عن لوث الشيطنة * وعلى كل حال يختار الفقر على الغنى (ثم اعلم)

أن التصوف له خصلتان الاستقامة والسكون عن الخلق . فمن استقام
 وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو صوفي . والاستقامة أن يفدى
 حظ نفسه لنفسه * وحسن الخلق مع الناس أن لا تحمل الناس على مراد
 نفسك بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم يخالفوا الشرع * ثم انك سألتني
 عن العبودية وهي ثلاثة أشياء « أحدها » محافظة أمر الشرع « وثانيها »
 الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى « وثالثها » ترك رضاء نفسك
 في طلب رضاء الله تعالى * وسألتني عن التوكل هو أن تستحکم اعتقادك
 بالله تعالى فيما وعد يعنى تعتقد أن ما قدر لك سيصل اليك لا محالة وان
 اجتهد كل من في العالم على صرفه عنك . وما لم يكتب لن يصل اليك وان
 صاعدك جميع العالم * وسألتني عن الاخلاص وهو أن تكون أعمالك
 كلها لله تعالى ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا تبالى بمذمتهم (واعلم)
 أن الرياء يقول من تعظيم الخلق . وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت
 القدرة وتحسبهم كالجادات في عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة لتخلص
 من مرآتهم * ومتى تحسبهم ذو قدرة وإرادة لن يبعد عنك الرياء *
 « أيها الولد » والباقي من مسائلك بعضها مسطور في مصنفاتي فاطلبه
 نمة . وكتابة بعضها حرام إعمل أنت بما تعلم لينكشف لك ما لم تعلم *
 « أيها الولد » بعد اليوم لا تسألني ما أشكل عليك إلا بلسان
 الجنان قوله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم)
 واقبل نصيحة الخضر عليه السلام حين قال (فلا تسألني عن شيء حتى
 أحدث لك منه ذكراً) ولا تستعجل حتى تبلغ أو انه يكشف لك وتراه
 (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) فلا تسألني قبل الوقت : وتيقن أنك
 لا تصل إلا بالسير لقوله تعالى (أولم يسيرا في الارض فينظروا) *
 « أيها الولد » بالله إن تسر ترى العجائب في كل منزل . وابدل
 وروحك فان رأس هذا الامر بذل الروح كما قال ذو النون المصري رحمه
 الله تعالى لاحد من تلامذته . إن قدرت على بذل الروح فتعال وإلا

فلا تشغل بترهات الصوفية *

« أيها الولد » إنى أنصحك بثمانية أشياء إقبلها منى لئلا يكون علمك خصماً عليك يوم القامة . تعمل منها أربعة ، وتدع منها أربعة * أما اللواتى تدع « أحدها » أن لا تناظر أحداً فى مسألة ما استعطت لان فيها آفات كثيرة فاعلمها أكبر من نفعها إذ هى منبع كل خلق ذمىم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها * نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم وكانت ارادتك فيها أن تظهر الحق ولا يضيع جاز البحث لكن لتلك الارادة علامتان « أحدهما » أن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك « والثانية » أن يكون البحث فى الخلاء أحب اليك من أن يكون فى الملاء - واسمع إنى أذكر لك ههنا فائدة « واعلم » أن السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب إلى الطبيب والجواب له سعى لاصلاح مرضه « واعلم » أن الجاهلين المرضى قلوبهم والعلماء الاطباء والعالم الناقص لا يحسن المعالجة . والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح : وإذا كانت العلة مزمنة أو عتقيا لا تقبل العلاج فخذاقة الطبيب فيه أن يقول هذا لا يقبل العلاج فلا تشغل فيه بمداواته لان فيه تضييع العمر « ثم اعلم » أن مرض الجهل على أربعة أنواع « أحدها » يقبل العلاج والباقي لا يقبل - أما الذى لا يقبل « أحدها » من كان سؤاله واعراضه عن حسده وبغضه فكما تحببته باحسن الجواب وأفضحه وأوضحه فلا يزيد له ذلك إلا بغضا وعداوة وحسداً . فالطريق أن لا تشغل بجوابه فقد قيل *

كل العداوة قد ترجى ازالتها إلا عداوة من عاداك عن حسد فينبغى أن تعرض عنه وتتركه مع مرضه * قال الله تعالى « فأعرض ممن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا » والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار فى زرع علمه * الحسد يأتى كل الحسنات كما تاتى كل

النار الحطب « والثاني » أن تكون علته من الحماقة وهو أيضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام إني ما عجزت عن احياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الاحمق - وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمنا قليلا ويتعلم شيئا من العلوم العقلية والشرعية فيسأل ويعترض من حماقته على العالم الكبير الذي مضى عمره في العلوم العقلية والشرعية وهذا الاحمق لا يعلم ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير . فاذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة * فينبغي أن لا يشتغل بجوابه « والثالث » أن يكون مسترشداً وكل ما لا يفهم من كلام الاكابر يحمل على قصور فهمه وكان سؤاله للاستفادة لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق فلا ينبغي الاشتغال بجوابه أيضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » وأما المرض الذي يقبل العلاج فهو أن يكون مسترشداً عاقلاً فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال . ويكون طالب طريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنّت وامتحان - وهذا يقبل العلاج فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك اجابته * والثاني مما تدع وهو أن تحذر من أن تكون واعظا ومذكراً لأن فيه آفة كثيرة الا أن تعمل بما تقول أولاً ثم تعظ به الناس فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام . يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي ربك وإن ابتليت بهذا العمل فاحترز عن خصلتين « الاولى » عن التكلف في الكلام بالعبارات والاشارات والطامات والايات والاشعار لان الله تعالى يبغض المتكلمين ، والمتكلف المتجاوز عن الحديدل على خراب الباطن وغفلة القلب * ومعنى التذكير أن يذكر العبد نار الآخرة وتقصير نفسه في خدمة الخالق . ويتفكر في عمره الماضي الذي افناه فيما لا يعنيه ، ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الايمان في الخاتمة وكيفية حاله في

قبض ملك الموت ، وهل يقدر على جواب منكر ونكير . ويهتم بحاله في القيامة ومواقفها ، وهل يعبر عن الصراط سالماً أم يقع في الهاوية . ويستمر ذكر هذه الأشياء في قلبه فيرتجبه عن قراره . فغليان هذه النيران ونوحه هذه المصائب يسمى تذكيراً وإعلام الخلق واطلاعهم على هذه الاشياء وتنبههم على تقصيرهم وتفریطهم وتبصيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران أهل المجلس وتحجزهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة ويتحسروا على الايام الخالية في غير طاعة الله تعالى * هذه الجملة على هذا الطريق يسمى وعظاً كما لو رأيت أن السيل قد هجم على دار أحد وكان هو وأهله فيها فتقول الحذر الحذر فروا من السيل وهل يشتهي قلبك في هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات والنكت والاشارات فلا تشتهي البتة فكذلك حال الواعظ فينبغي أن يجتنبها *

« والخصلة الثانية » أن لا تكون همتك في وعظك أن ينفر الخلق في مجالسك أو يظهرها الوجد ويشقوا الثياب ليقال نعم المجلس هذا لان كله ميل للدنيا وهو يتولد من الغفلة بل ينبغى ان يكون عزمك وهمتك ان تدعو الناس من الدنيا الى الآخرة ، ومن المعصية الى الطاعة ، ومن الحرص الى الزهد ، ومن البخل الى السخاء ، ومن الغرور الى التقوى . وتحجب اليهم الآخرة وتبغض اليهم الدنيا ، وتعلمهم علم العبادة والزهد لان الغالب في طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعى فيما لا يرضى الله تعالى به والاستعمار بالاخلاق الرديّة فالق في قلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف ، ولعل صفات باطنهم تتغير ومعاملة ظاهرهم تتبدل ، ويتظهروا الحرص والرغبة في الطاعة ، والرجوع عن المعصية - وهذا طريق الوعظ والنصيحة : وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع بل قيل إنه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم : فيجب عليهم أن يفروا منه لان ما يفيد هذا

القائل من دينهم لا يستطيع بمثله الشيطان . ومن كانت له يد وقدره
يجب عليه أن ينزله عن منابر المواعظ ويمنعه عما باشر فانه من جملة الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر « والثالث » مما تدع انه لا تخالط الامراء
والسلطين ولا تراهم لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة ،
ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم لان الله تعالى يفضب اذا مدح
الفاسق والظالم . ومن دعا لطول بقائهم فقد أحب أن يعصى الله في أرضه
« والرابع » مما تدع أن لا تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم وإن
علمت أنها من الحلال لان الطمع منهم يفسد الدين لانه يتولد منه المداهنة
ومراعاة جانبهم والموافقة في ظلمهم - وهذا كله فساد في الدين وأقل
مضرته انك اذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنياهم أحببتهم ومن أحب
أحدا يجب طول عمره وبقائه بالضرورة ، وفي محبة بقاء الظالم ارادة في
الظلم على عباد الله تعالى وارادة خراب العالم . فأى شئ يكون أضر من
هذا الدين والعاقبه . وإياك وإياك أن يخذلك استهواء الشياطين أو قول
بعض الناس لك بأن الافضل والاولى أن تأخذ الدينار والدرهم منهم
وتفرقها بين الفقراء والمساكين فانهم ينفقون في الفسق والمعصية وانفاقك
على ضعفاء الناس خير من اتقاقهم فان العين قد قطع أعتاق كثير من
الناس بهذه الوسوسة : وقد ذكرناه في احياء العلوم فاطلبه ثمة * وأما
الاربعة التي ينبغي لك أن تفعلها « الاول » أن تجعل معاملتك مع الله
تعالى بحيث لو عامل معك بهاعبدك ترضى بهامنه ولا يضييق خاطر ك عليه
ولا تغضب والذي لا ترضى لنفسك من عبدك المجازى فلا ترضى أيضا
لله تعالى وهو سيدك الحقيقي « والثاني » كما عملت بالناس اجعله كما ترضى
لنفسك منهم لانه لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه
« والثالث » اذا قرأت العلم أو طالعته ينبغي أن يكون علمك يصلح
قلبك، ويزكي نفسك كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع فبالضرورة
لا تشتغل فيها بعلم الفقه والاخلاق والاصول والكلام وأمثالها لأنك

تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك بل تشتغل بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس ، والاعراض عن علائق الدنيا ، وتزكي نفسك عن الاخلاق الذميمة ، وتشتغل بحمبة الله تعالى وعبادته ، والاتصاف بالاصناف الحسنة ، ولا يمر على عبد يوم وليلة الا ويمكن أن يكون موته فيه *
 « أيها الولد » اسمع مني كلاماً آخر وتفكر فيه حتى تجد خلاصاً *
 لو انك أخبرت أن السلطان بعد أسبوع يختارك وزيراً « اعلم » أنك في تلك المدة لا تشتغل الا باصلاح ما علمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفراش وغيرها والا أن تفكر الى ما أشرت به فانك فهم ، والكلام الفرد يكفي * أليس قال رسول الله عليه السلام (ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم) وان اردت علم احوال القلب فانظر الى الاحياء وغيره من مصنفاتي - وهذا العلم فرض عين وغيره فرض كفاية إلا مقدار ما يؤدي به فرائض الله تعالى وهو يوفقك حتى تحصله « والرابع » أن لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة كما كان رسول الله عليه السلام يعد ذلك لبعض حجراته وقال (اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً) ولم يكن يعد ذلك لسلك حجراته بل كان يعده لمن علم أن في قلبها ضعفاً - وأما من كانت صاحبة يقين ما كان يعدها أكثر من قوت يوم ونصف *

« أيها الولد » اني كتبت في هذا الفصل ملتزماتك فينبغي لك أن تعمل بها ولا تنساني فيه من أن تذكرني في صالح دعائك - وأما الدعاء الذي سألت مني فاطلبه من دعوات الصحاح واقرا هذا الدعاء في اوقاتك خصوصاً أعقاب صلواتك * اللهم اني أسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمة شموها ، ومن العافية حصولها ، ومن العيش ارغده ، ومن العمر اسعده ، ومن الاحسان أمه ، ومن الانعام أمه ، ومن الفضل أعذبه ، ومن اللطف أقربه * اللهم كن لنا ولا تنكن علينا اللهم احتم بالسعادة آجالنا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واقرن بالعافية

غدونا وأصالنا ، واجعل الى رحمتك مغيرنا وما لنا ، واصبب سجال
 عفوك على ذنوبنا ، ومن علينا باصلاح عيوبنا ، واجعل التقوى زادنا ،
 وفي دينك اجتهادنا ، وعليك توكلنا واعتمادنا * اللهم ثبتنا على نهج
 الاستقامة ، وأعدنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة ، وخفف
 عنا ثقل الاوزار ، وارزقنا عيشة الابرار ، واكفنا واصرف عنا شر
 الاشرار ، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا واخواننا وأخواتنا من
 النار برحمتك يا عزيز ياغفار يا كريم يا ستار يا علم يا جبار يا الله يا الله
 برحمتك يا أرحم الراحمين * يا أول الاولين * يا آخر الآخرين *
 وياذا القوة المتسين * ويا راحم المساكين * ويا أرحم
 الراحمين * لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من
 الظالمين * وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
 أجمعين والحمد لله رب العالمين *

﴿ تمت رسالة أيها الولد ويلها فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ﴾

﴿ الرسالة الخامسة ﴾

فِيضُّلُ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدُقَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الامام العالم العامل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة
 الله عليه : احمد الله تعالى استسلاما لعزته . واستقاما لنعمة . واستغناما
 لتوفيقه ومعونته وطاعته . واستعصاما من خذلانه ومعصيته .

واستدرا رأ لسوابغ نعمته . وأصلى على محمد عبده ورسوله وخير
خليقته . اتقياداً لنبوته . واستجلاباً لشفاعته . وقضاء لحق رسالته .
واعتصاماً بيمن سريرته وبقيبته . وعلى آله وأصحابه وعترته *

﴿ أما بعد ﴾ فإني رأيتك أيها الأخ المشفق . والصديق المتعصب
موغراً الصدر . منقسم الفسك لما قرع سمعك من طعن طائفة من
الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين . وزعمهم أن
فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين . المشايخ المتكلمين . وأن
العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ومباينة ولو في
شيء نزر ضلال وخسر . فهون أيها الأخ المشفق المتعصب على نفسك .
لا يضيق به صدرك . وقل من غربك قليلاً . واصبر على ما يقولون
واجرهم هجرأ جميلاً ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر
من بالكفر أو الضلال لا يعرف . فأى داع أكل وأعقل من سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وقد قالوا إنه مجنون من المجانين . وأى
كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين . وقد قالوا إنه أساطير
الاولين . وإياك أن تشتغل بخصامهم وتطمع في إخماسهم . فتطمع في
غير مطعم . وتصوت في غير مسمع - أما سمعت ما قيل *

كل العداوة قد ترجى سلامتها إلا عداوة من عاداك عن حسد
، ولو كان فيه مطعم لأحد من الناس . لما تلى على أجهل رتبة آيات
الْيَاس . أو ما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبير عليك إعراضهم فإن
استطعت أن تبغى نفقا في الارض أو سما في السماء فمتأتهم باية ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقوله تعالى
(ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس فامسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)
وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم

كل شيء قبل ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون
واعلم أن حقيقة الكفر والايان وحدهما ، والحق والضلال وسرها .
لا ينجلي للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمالي وجهما . بل انما ينكشف
ذلك لقلوب طهرت عن وسخ أو ضار الدنيا أولا . ثم صقلت بالرياضة
الكاملة ثانيا . ثم نورت بالذكر الصافي ثالثا . ثم غذيت بالفكر الصائب
رابعا . ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا . حتى فاض عليها النور
من مشكاة النبوة . وصارت كأنها مرآة مجلوة . وصار مصباح الايمان
في زجاجة قلبه مشرق الانوار . يكاد زيتيه يضيء ولو لم تمسه
نار * وأنى تتجلى أسرار الملكوت لقوم الهتهم هواهم . ومعبودهم
سلاطينهم . وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم . وشريعتهم رعوتهم .
وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم . وذكرهم
وساوسهم . وكفرهم وسواسهم . وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه
حشمتهم * فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان .
أباهام الهوى ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها أم بكمال
علمي ، وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وأمثالها *
هيئات هيئات هذا المطلب أنفس وأعز من أن يدرك بالمتى . أو ينال
بأهونا . فاشتغل أنت بشأنك ولا تضع فيهم بقية زمانك (فأعرض
عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان
ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى)

❖ فصل ❖

فأما أنت ان أردت أن تنتزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدرك من
هو في حالك . بمن لا تحركه غواية الحسود . ولا تقيدته عماية التقليد بل
تعطشه الى الاستبصار لحزاة اشكال أثارها فكر . وهيجهما نظر *
نخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بجد الكفر فان زعم ان حد الكفر
ما يخالف مذهب الاشعري أو مذهب المعتزلي أو مذهب الجنبلي أو غيرهم

فاعلم أنه غر بليد . قد قيده التقليد فهو أعمى من العميان * فلا تضيع
 باصلاحه الزمان * وناهيك حجة في اخفامه . مقابلة دعواه بدعوى
 خصومه . إذ لا يجدين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفضلا:
 ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري . ويزعم أن
 مخالفته في كل ورد وصدر ك كفر من الكفر الجلى . فأسأله من أين ثبت
 له أن يكون الحق وفقا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة
 البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زئداً على الذات ولم صار
 الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته
 الباقلاني . ولم صار الحق وفقاً على أحدهما دون الثاني * أ كان ذلك لأجل
 السبق في الزمان فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق
 عليه . أم لأجل التفاوت في الفضل والعلم . فبأى ميزان ومكيال قدر
 درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده
 فان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على غيره . وما الفرق بين
 الباقلاني والكرابيسي والقلاسي وغيرهم . ومادرك التخصيص بهذه
 الرخصة، وإن زعم أن خلاف الباقلاني يرجع إلى لفظ لا تحقيق وراءه كما
 تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعماً أنهما جميعاً متوافقان على دوام
 الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع إلى الذات أو إلى وصف زائد عليه
 خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه
 الصفات وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على
 جميع الممكنات ، وإنما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر بالذات أو بصفة
 زائدة فما الفرق بين الخلافين ، وأي مطلب أجل وأخطر من صفات
 الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها واثباتها فان قال إنما كفر
 المعتزلي لأنه يزعم أن الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة
 والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة، والحقائق المختلفة يستحيل
 أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد

من الاشعري قوله إن الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحداً هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهى وخبر واستخبار - وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحده الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك إلى الامر والنهي فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان تحبط في جواب هذا أو عجز عن كشف الغطاء فيه : فاعلم أنه ليس من أهل النظر وإنما هو مقلد ، وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ، ولو كان أهلاله كان مستتبعا لا تابعا ، وإماما لا مأموما . فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد - وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر - ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب - أما الكفر فلا أنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان إلا بموافقته ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته - وأما التناقض فهو إن كل واحد من النظار يوجب النظر وأن لا ترى في نظرك إلا ما رأيت وكل ما رأيت حجة وأى فرق بين من يقول قلدى في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدى في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا إلا التناقض *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهي أن تعرف حد الكفر بعد أن تتناقض عليك حدود أصناف المقلدين : فاعلم أن شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني أعطيك علامة صحيحة فتطردھا وتعيكسھا لتتخذھا مطمح نظرك وترعوى بسببھا عن تكفير الفرق ، وتطويل اللسان في أهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ماداموا متمسكين بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به : والايان تصديقه في جميع ما جاء به : فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما للرسول عليه الصلاة والسلام: والبرهمي كافر بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين : والدهري كافر بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل - وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص : وقد وردت النصوص في اليهودي والنصراني ، والتحق بهم بالطريق الاولى البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول فكل كافر مكذب للرسول ، وكل مكذب فهو كافر - فهذه هي العلامة المظردة المنعكسه *

* فصل *

اعلم أن الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور لأن كل فرقة تكفر مخالفاً وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام: فالحنبلي يكفر الاشعري زاعماً أنه كذب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش : والاشعري يكفره زاعماً انه مشبه وكذب الرسول في أنه ليس كمثل شيء : والاشعري يكفر المعتزلي زاعماً أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له : والمعتزلي يكفر الاشعري زاعماً أن اثبات الصفات تكفير للقديماء وتكذيب للرسول في التوحيد : ولا ينجيك من هذه الورطة الا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحققتهما فيه فينكشف لك غنو هذه الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضاً *
 فاقول : التصديق انما يتطرق الى الخير بل الى الخير ، وحقيقته الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده الا أن للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفاً الى

التكذيب فان الوجود ذاتى وحسى وخيالى وعقلى وشبهى : فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق : فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها فى التأويلات *

أما الوجود الذاتى فهو الوجود الحقيقى الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فىسمى أخذه ادراكا وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل هو المعروف الذى لا يعرف الاكثر من الوجود معنى سواه *

وأما الوجود الحسى فهو ما يتمثل فى القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فىكون موجوداً فى الحس ويختص به الحاس ، ولا يشاركه غيره - وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ إذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد تتمثل للانبياء والاولياء فى اليقظة والصحة صورة جميلة محكية لجواهر الملائكة ، ويفتهى اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب فى اليقظة ما يتلقاه غيرهم فى النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشراً سوياً) وكما انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام كثيراً ولكن مارآه فى صورته الامرتين وكان يراه فى صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقد قال « من رأى فى النوم فقد رأى حقاً فان الشيطان لا يتمثل بى » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النائم بل هى على سبيل وجود صورته فى حس النائم فقط ، وسبب ذلك وسره طويل ، وقد شرحناه فى بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبساً من نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطاً من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار

والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لافي الخارج عن حسك لان الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال ، وانما تصير خطا في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجوداً في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة *

وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضاً عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لافي الخارج *

وأما الوجود العقلي فهو أن يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته في خيال أو حس أو خارج كاليد مثلاً فان لها صورة محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش ، والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقروناً بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية *

وأما الوجود الشهى فهو أن لا يكون نفس الشيء موجوداً بالبصورتها ولا بحقيقته لافي الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصية من خواصه وصفة من صفاته ، وستفهم هذا اذا ذكرت لك مثاله في التأويلات - فهذه مراتب وجود الاشياء *

﴿ فصل ﴾

اسمع الآن أمثلة هذه الدرجات في التأويلات * أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسماوات السبع فانه يجري على ظاهره ولا يتأول

إذ هذه أجسام موجودة في أنفسها أدركت بالحس والخيال أو لم تدرك*
وأما الوجود الحسي فأمثلته في التأويلات كثيرة واقنع منها بمثالين
« أحدهما » قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم
القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار » فإن من قام عنده
البرهان على أن الموت عرض أو عدم عرض ، وأن قلب العرض جسماً
مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك
ويعتقدون أنه الموت ويكون ذلك موجوداً في حسهم لا في الخارج
ويكون سبباً لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك إذ المذبح
مبؤس منه : ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد أن نفس الموت
ينقلب كبشاً في ذاته ويذبح *

(المثال الثاني) قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على
الجنة في عرض هذا الحائط » فمن قام عنده البرهان على أن الاجسام
لا تتداخل وأن الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على أن نفس الجنة
لم تنتقل إلى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه
يشاهدها ولا يمتنع أن يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما تشاهد
السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك إبصاراً مفارقاً لمجرد تخيل صورة
الجنة إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة وبين أن
تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخييل *

وأما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم « كأنني أنظر إلى
يونس بن متى عليه عباءتان قطوا نيتان يلبي وتجيبه الجبال والله تعالى
يقول له لبيك يا يونس » والظاهر أن هذا انباء عن تمثيل الصورة في
خياله إذ كان وجود هذه الحالة سابقاً على وجود رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجوداً في الحال ، ولا يبعد أن
يقال أيضاً ، تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم
الصور ولكن قوله كأنني أنظر يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر ،

والغرض التفهيم للمثال لا عين هذه الصورة ، وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل *

وأما الوجود العقلي فأمثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين (أحدهما) قوله صلى الله عليه وسلم « آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا » فإن ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسى والخيالى: ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء أيضاً من الدنيا ، وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول المراد به تفاوت معنوى عقلى لا حسى ولا خيالى كما يقال مثلاً هذه الجوهرة اضعاف الفرس أى في روح المالبية ، ومعناها المدرك عقلاً دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل *

(المثال الثانى) قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً » فقد أثبت لله تعالى يداً ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هى جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يداً روحانية عقلية أعنى أنه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها * ان روح اليد ومعناها ما به يبسط ويفعل ويعطى ويمنع والله تعالى يعطى ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه الصلاة والسلام « أول ما خلق الله العقل فقال بك أعطى وبك أمنع » ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرضاً كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلاً من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم ، وربما يسمى قلماً باعتبار انه تنقش به حقائق العلوم في الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيواها ما فانه قد ورد في حديث آخر (ان أول ما خلق الله تعالى القلم) فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض

الحديثان، ويجوز ان يكون لشيء واحد أسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلاً باعتبار ذاته وملكاً باعتبار نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق، وقلماً باعتبار اضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل روحاً باعتبار ذاته وأميناً باعتبار ما اودع من الاسرار، وذا مرة باعتبار قدرته، وشديد القوى باعتبار كمال قوته، ومكيناً عند ذى العرش باعتبار قرب منزلته، ومطاعاً باعتبار كونه متبوعاً في حق بعض الملائكة، وهذا القائل يكون قد أثبت قلماً ويداً عقلياً لاحسباً وخيالياً - وكذلك من ذهب الى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون *

وأما الوجود الشبهى فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان الغضب مثلاً حقيقته انه غليان دم القلب لا رادة التشفى - وهذا لا ينفك عن نقصان وألم : فن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتاً ذاتياً وحسبياً وخيالياً وعقلياً نزه على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كإرادة العقاب، والإرادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام - فهذه درجات التأويلات *

* فصل *

إعلم أن كل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وإنما التكذيب أن ينفي جميع هذه المعاني، ويزعم أن ما قاله لا معنى له وإنما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقه، ولا يلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير اليه، وكيف يلزم الكفر بالتأويل، وممن فريق من أهل الاسلام الا هو مضطر اليه : فابعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل رحمه الله عليه : وابعده

التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازاً أو استعارة وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي ، والحنبلي مضطر اليه وقائل به فقد سمعت الثقة من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون إن أحمد بن حنبل رحمه الله صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط (أحدها) قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمينا الله في الارض » (والثاني) قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (والثالث) قوله صلى الله عليه وسلم « انى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين » فانظر الآن كيف أول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل في العادة تقرباً الى صاحبها ، والحجر الاسود يقبل أيضاً تقرباً الى الله تعالى فهو مثل اليمين لافى ذاته ولا فى صفات ذاته ولكن فى عارض من عوارضه فسمى لذلك يمينا - وهذا الوجود هو الذى سميناه الوجود الشبهي وهو أبعد وجوه التأويل : فانظر كيف اضطر اليه أبعد الناس عن التأويل - وكذلك لما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه أصبعين فنأوله على روح الاصبعين وهى الاصبع العقلية الروحانية أعنى أن روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء ، وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقرب الله تعالى القلوب فكفى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر أحمد بن حنبل رضى الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا فى هذا القدر لانه لم يكن ممعنا فى النظر العقلي ولو أمعن لظهر له ذلك فى الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله * والاشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة * وأقرب الناس الى الحنابلة فى أمور الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها أكثر الظواهر الا يسيراً * والمعتزلة أشد منهم توغلا فى التأويلات وهم مع هذا - أعنى الاشعرية يضطرون أيضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله إنه يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح وكما ورد فى وزن الاعمال بالميزان فان

الاشعري أول وزن الاعمال فقال وزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها
أوزانا بقدر درجات الاعمال - وهذا رد الى الوجود الشبهى البعيد فان
الصحائف أجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على أعمال هي أعراض
فليس الموزون اذا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل :
والمعتزلى تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل
واحد مقدار عمله وهو أبعد عن التعسف فى التأويل بوزن الصحائف
وليس الغرض تصحيح أحد التأويلين بل تعلم أن كل فريق وإن بالغ فى
ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا أن يجاوز الحد فى الغباوة
والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا . والموت وإن كان عرضا
يستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب . والاعمال وإن كانت أعراضا
وقد عدت فتنقل الى الميزان ويكون فيها أعراض هي الثقل ، ومن
يفتهى الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربة العقل *

﴿ فصل ﴾

فاسمع الآن قانون التأويل : فقد علمت اتفاق الفرق على هذه الدرجات
الخنس فى التأويل وإن شيئا من ذلك ليس من حيز التكذيب : واتفقوا
أيضا على أن جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر ،
والظاهر الاول هو الوجود الذاتى فانه اذا ثبت تضمن الجميع . فان تعذر
فالوجود الحسى فانه ان ثبت تضمن ما بعده . فان تعذر فالوجود الخيالى أو
العقلى . وإن تعذر فالوجود الشبهى المجازى ولا رخصة للعدول عن درجة
الى مادونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى
البراهين : اذ يقول الخنبلى لبرهان على استحالة اختصاص البارى بجهة
فوق : ويقول الاشعري لبرهان على استحالة الرؤية . وكان كل واحد
لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا . وكيف ما كان فلا ينبغى
أن يكفر كل فريق خصمه بأن يراه غلطاً فى البرهان : نعم يجوز أن
يسميه ضالا او مبتدعا : أما ضالا فن حيث انه ضل عن الطريق عنده :

وأما مبتدعاً فمن حيث أنه ابتدع قولاً لم يعهد من السلف الصالح التصريح به اذ المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى يرى : فقول القائل لا يرى بدعة ، وتصريحه بتأويل الرؤية بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم يذكره لكن عند هذا يقول الحنبلي اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم أن خالق العالم ليس متصلاً بالعالم ولا منفصلاً ولا داخلاً ولا خارجاً وان الجهات الست خالية عنه وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت . فهذا قول بدع اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف ، وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين (أحدهما) مقام عوام الخلق . والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً ، والخذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض في الكلام والبحث ، واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة كما روى عن عمر رضى الله عنه انه سأل سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدره ، وكما روى عن مالك رحمه الله انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة *

(المقام الثاني) بين النظائر الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة ، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ، ولا ينبغي أن يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالطاً فيما يعتقده برهاناً فان ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك ، وليسكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن ، وقد ذكرنا الموازين الخمسة في كتاب (القسطاس المستقيم) وهي التي لا يتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلاً بل يعترف كل من فهمها بانها مدارك اليقين قطعاً والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الانصاف والاتصاف وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ولكن

لا يستحيل منهم الاختلاف أيضاً إما لقصور بعضهم عن إدراك تمام شروطه : وإما في رجوعهم في النظر الى محض القرينة والطبع دون الوزن بالميزان كالذي يرجع بعد تمام تعلم العروض في الشعر الى الذوق لاستثقاله عرض كل شعر على العروض فلا يبعد أن يغلط . وإما لاختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم التي هي أصول البراهين تجريبية وتواترية وغيرها ، والناس يختلفون في التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد ما لا يتواتر عند غيره ، وقد يتولى تجربة ما لا يتولاه غيره . وإما لا لتباس قضايا الوهم بقضايا العقل . وإما لا لتباس الكلمات المشهورة المحموده بالضروريات والاوليات كما فصلنا ذلك في كتاب (محك النظر) ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر *

﴿ فصل ﴾

من الناس من يبادر الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي أن يبادر أيضا الى كفره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تأويله في أمر لا يتعلق باصول العقائد ومهماتهما فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية إن المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هي جواهر نورانية ملكية ونورانية عقلية لاحسية وهادرجات في الكمال . وانسبة ما بينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ، ويستدل عليه بأن الخليل عليه السلام أجل من أن يعتقد في جسم انه اله حتى يحتاج الى أن يشاهد أقوله أفترى انه لو لم يأفل أ كان يتخذه الها ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرآ . واستدل بأنه كيف يمكن أن يكون أول ما رآه الكوكب والشمس هي الاظهر وهي أول ما يرى . واستدل بأن الله تعالى قال أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكى هذا القول فكيف يمكن أن يتوهم ذلك

بعد كشف الملكوت له - وهذه دلالات ظنية وليست براهين *
 أما قوله هو أجل من ذلك فقد قيل إنه كان صبيا لما جرى له ذلك
 ولا يبعد أن يخطر لمن سيكون نبيا في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه
 على قرب ولا يبعد أن تكون دلالة الاقوال على الحدوث عنده أظهر
 من دلالة التقدير والجسمية *

وأما رؤية الكوكب أولا فقد روى أنه كان محبوسا في صباه في
 غار وإنما خرج بالليل *

وأما قوله تعالى أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
 والارض) فيجوز أن يكون الله تعالى قد ذكر حال نهايته ثم رجع
 إلى ذكر بدايته - فهذه وأمثالها ظنون يظنها براهين من لا يعرف حقيقة
 البرهان وشرطه - فهذا جنس تأويلهم : وقد تأولوا العصا والنعلين في
 في قوله تعالى « اخلع نعليك » وقوله « وألق ما في يمينك » ولعل الظن
 في مثل هذه الامور التي لا تتعلق باصول الاعتقاد يجري مجرى البرهان
 في أصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع : نعم إن كان فتح هذا
 الباب يؤدي إلى تشويش قلوب العوام فيبدع به خاصة صاحبه في كل
 ما لم يؤثر عن السلف ذكره : ويقرب منه قول بعض الباطنية أن عجل
 السامري مأول إذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل يعلم أن المتخذ من
 الذهب لا يكون الها وهذا أيضا ظن إذ لا يستحيل ان تنتهي طائفة
 من الناس اليه كعبدة الاصنام ، وكونه نادرا لا يورث يقينا *

وأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب تكفير
 من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر
 العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير
 برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا إذ لا برهان على استحالة رد الارواح
 إلى الاجساد ، وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير كل من
 تعلق به وهو مذهب أكثر الفلاسفة : وكذلك يجب تكفير من قال

منهم إن الله تعالى لا يعلم إلا نفسه أو لا يعلم إلا الكليات : فأما
 الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب
 لرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها
 في التأويل إذ أدلة القرآن والاخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهيم
 تعلق علم الله تعالى بتفصيل كل ما يجري على الاشخاص مجاوز حداً
 لا يقبل التأويل وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل - ولكن قالوا
 لما كان صلاح الخلق في أن يعتقدوا حشر الأجساد لتصور عقولهم
 عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في أن يعتقدوا أن الله تعالى عالم
 بما يجري عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز
 لرسول عليه السلام أن يفهمهم ذلك وليس بكاذب من أصلح غيره فقال
 مافيه صلاحه وإن لم يكن كما قاله وهذا القول باطل قطعاً لانه تصريح
 بالتكذيب : ثم طلب عذراً في أنه لم يكذب : ويجب اجلال منصب
 النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن
 الكذب وهذه أول درجات الزندقة ، وهي رتبة بين الاعتزال وبين
 الزندقة المطلقة فان المعتزلة يقرب منهاجهم من مناهج الفلاسفة إلا في
 هذا الامر الواحد ، وهو أن المعتزلي لا يجوز الكذب على الرسول
 عليه السلام بمثل هذا العذر بل يأول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان
 خلافه : والفلسفي لا يقتصر على مجاوزته للظاهر على ما يقبل التأويل
 على قرب أو على بعد *

وأما الزندقة المطلقة فهو أن تنكر أصل المعاد عقلياً وحسياً
 وتنكر الصانع للعالم أصلاً ورأساً *

وأما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية
 واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل العلوم فهي زندقة مقسدة بنوع
 اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظني - والعلم عند الله - أن هؤلاء هم
 المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام « ستفترق أمتي بضعا وسبعين

فرقة كلهم في الجنة إلا الزنادقة وهي فرقة « هذا لفظ الحديث في بعض الروايات وظاهر الحديث يدل على أنه أراد به الزنادقة من أمته إذ قال سنفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون أن الموت عدم محض ، وأن العالم لم يزل كذلك موجوداً بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر - وينسبون الانبياء إلى التلبيس فلا يمكن نسبتهم إلى الامة فاذا لامعنى لزندقة هذه الامة إلا ما ذكرناه *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعي تفصيلاً طويلاً يفتقر إلى ذكر كل المقالات والمذاهب ، وذكر شبهة كل واحد ، ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله وذلك لا تحويه مجلدات ولا تتسع لشرح ذلك أوقاتي فاقنع الآن بوصية وقانون *
أما الوصية فإن تسكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها . والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدر أو غير عذر فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه *

وأما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد : وقسم يتعلق بالفروع . وأصول الايمان ثلاثة - الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع : واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً إلا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلاً دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات . وفي بعضها تبديع كالتخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة *
واعلم أن الخطأ في أصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيئاً منه تكفيراً : فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت إلى قوم يعظمون أمر الامامة

ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان بالله ورسوله ولا إلى خصومهم
المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الامامة فكل ذلك إسراف إذ ليس
في واحد من القولين تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم أصلاً ،
ومهما وجد التكذيب وجب التكفير وإن كان في الفروع : فلو قال
قائل مثلاً البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي أمر الله بحجها فهذا كفر
اذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه ، ولو أنكر
شهادة الرسول لذلك البيت بأنه الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعاً
أنه معاند في انكاره إلا أن يكون قريب عهد بالاسلام ، ولم يتواتر
عنده ذلك - وكذلك من نسب عائشة رضي الله عنها إلى الفاحشة ، وقد
نزل القرآن ببراءتها فهو كافر لان هذا وأمثاله لا يمكن إلا بتكذيب
الرسول أو أنكار التواتر ، والتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه
أن يجبهه بقلبه : نعم لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد فلا يلزمه به
الكفر - ولو أنكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لأن معرفة كون
الاجماع حجة قاطعة فيه فموضوع يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه :
وانكر النظام كون الاجماع حجة أصلاً فصار كون الاجماع حجة مختلفاً
فيه فهذا حكم الفروع *

وأما الاصول الثلاثة وكل ما لم يحتمل التأويل في نفسه وتواتر نقله
ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فخالفته تكذيب محض . ومثاله
ما ذكرناه من حشر الاجساد والجنة والنار واحاطة علم الله تعالى بتفاصيل
الامور وما يتطرق اليه احتمال التأويل ولو بالجواز البعيد فننظر فيه إلى
البرهان فان كان قطعاً وجب القول به **﴿﴾** ولكن إن كان في اظهاره مع
العوام ضرر لتصور فهمهم فإظهاره بدعة وإن لم يكن البرهان قطعياً
لكن يفيد ظناً غالباً ، وكان مع ذلك لا يعلم ضرره **﴿﴾** في الدين كنفى
المعتزلي الرؤية عن الله تعالى - فهذه بدعة وليس بكفر *
وأما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل أن يكفر

ويحتمل ان لا يكفر. ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعى التصوف
أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى اسقطت عنه الصلاة وحل له شرب
الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان - فهذا ممن لاشك في وجوب قتله
وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر، وقتل مثل هذا افضل من قتل
مائة كافر اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسد:
وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمنع عن الاصغاء
اليه لظهور كفره * وأما هذا فانه يهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم
يرتكب فيه الاتخصيص عموم اذ خصص عموم التكاليفات بمن ليس
له مثل درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس ويقارف المعاصي بظاهره
وهو بباطنه برى عنها. ويتداعى هذا الى ان يدعى كل فاسق مثل حاله
وينحل به عصام الدين * ولا ينبغي أن يظن ان التكفير وتقيه ينبغي ان
يدرك قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال
وسفك الدم والحكم بالخلود في النار. فأخذه كما أخذ سائر الاحكام
الشرعية. فتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب. وتارة يتردد فيه،
ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير اولى، والمبادرة الى التكفير
انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل: ولا بد من التنبيه على قاعدة
اخرى وهي ان المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم انه مأول ولكن
ذكر تأويله لا انقذاح له اصلا في اللسان لا على بعد ولا على قرب فذلك
كفر. وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه يأول: مثاله ما رأيت في كلام
بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطى الوحدة ويخلقها. وعالم
بمعنى انه يعطى العلم لغيره ويخلقها. وموجود بمعنى انه يوجد غيره:
وأما أن يكون واحداً في نفسه وموجوداً وعالمياً على معنى اتصافه
فلا - وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من
التأويل في شيء ولا تحتمله لغة العرب اصلا، ولو كان خالق الوحدة
يسمى واحداً لخلقها لخلقها لسمى ثلاثاً واربعاً لانه خلق الاعداد

أيضاً . فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات *

* فصل *

قد فهمت من هذه التكفيرات ان النظر في التكفير يتعلق بأمور (أحدها) ان النص الشرعي الذي عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل أم لا . فان احتمل فهل هو قريب أم بعيد . ومعرفة ما يقبل التأويل ومالا يقبل التأويل ليس بالهين بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة العارف باصولها : ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها ونحوزاتها ومنهاجها في ضروب الامثال *

(الثاني) في النص المتروك انه ثبت تواتراً أو آحاداً أو بالاجماع المجرد فان ثبت تواتراً فهو على شرط التواتر ام لا اذ ربما يظن المستفيض تواتراً : وحدث التواتر مالا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في الاعصار كلها عصاراً بعد عصر الى زمان النبوة فهل يتصور أن يكون قد نقص عدد التواتر في عصر من الاعصار : وشرط التواتر أن لا يحتمل ذلك كما في القرآن أما في غير القرآن فيغمض مدرك ذلك جداً ولا يستقل بادراكه إلا الباحثون عن كتب التواريخ وأحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث وأحوال الرجال وأغراضهم في نقل المقالات إذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به العلم إذ كان يتصور أن يكون للجمع الكثير رابطة في التوافق لاسيما بعد وقوع التعصب بين أرباب المذاهب ولذلك ترى الروافض يدعون النص على علي بن أبي طالب رضى الله عنه في الامامة بتواتره عندهم ، وتواتر عند خصومهم في أشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق الروافض على إقامة أكاذيبهم واتباعها *

وأما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من أغمض الاشياء إذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد في صعيد واحد فيتفقوا على امر واحد اتفاقاً بلفظ صريح : ثم يستمروا عليه مرة عند قوم والى تمام انقراض العصر

عند قوم أو يكاتبهم إمام في أقطار الارض فيأخذ فتاويهم في زمان واحد بحيث تتفق أقوالهم إتفاقا صريحاً حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده : ثم النظر في أن من خالف بعده هل يكفر لأن من الناس من قال إذا جاز في ذلك الوقت أن يختلفوا فيحمل توافقهم على اتفاق ولا يمتنع على واحد منهم إن رجع بعد ذلك - وهذا غامض أيضاً (الثالث) النظر في أن صاحب المقال هل تواتر عنده الخبر أو هل بلغه الاجماع إذ كل من يولد لا تكون الامور عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف وإنما يدرك ذلك شيئاً فشيئاً، وإنما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به . وقد صنف أبو بكر الفارسي رحمه الله كتابا في مسائل الاجماع ، وأنكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل فأذا من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطيء وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره . والاستقلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس بيسير (الرابع) النظر في دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط البرهان أم لا ومعرفة شرط البرهان لا يمكن شرحها الا في مجلدات . وما ذكرنا في كتاب (القسطاس المستقيم) وكتاب (محك النظر) امودج منه . وتكمل قريحة أكثر فقهاء الزمان عن قص شروط البرهان على الاستيفاء ولا بد من معرفة ذلك . فان البرهان اذا كان قاطعا رخص في التأويل وان كان بعيداً . فاذا لم يكن قاطعاً لم يرخص الا في تأويل قريب سابق الى الفهم (الخامس) النظر في أن ذكر تلك المقالة هل يعظم ضررها في الدين أم لا فان مالا يعظم ضرره في الدين فالامر فيه أسهل وان كان القول شنيعاً وظاهر البطلان كقول الامامية المنتظرة ان الامام مختلف في سرداب فانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر البطلان شنيع جداً ، ولكن لا ضرر فيه على الدين انما الضرر على الاحق المعتقد لذلك اذ يخرج كل

يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع الى بيته خاسئاً وهذا
مثال : والمقصود أنه لا ينبغي أن يكفر بسكل هذيان وان كان ظاهر
البطلان. فاذا فهمت أن النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات
التي لا يستقل بأحاديها المبرزون علمت أن المبادر إلى تكفير من يخالف
الاشعري أو غيره جاهل مجازف ، وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا
الخطب العظيم وفي أي ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم فاذا
رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل
فأعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدى في العلوم غريزة
في الطبع لا يصبر عنه الجهال ولا جله كثير الخلاف بين الناس ولو ينكث
من الايدي من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق *

﴿ فصل ﴾

من أشد الناس غلواً وأسرافاً طائفة من المتكلمين كفتروا عوام
المسلمين ، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد
الشرعية بأدلتنا التي حررناها فهو كافر - فهؤلاء ضيقوا رحمة الله
الواسعة على عباده أولاً وجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من
المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانياً إذ ظهر لهم في عصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضى الله عنهم حكمهم بإسلام
طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بعلم
الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن أن مدرك الايمان الكلام
والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد ابدع جسد الابداع بل الايمان
نور يقذفه الله في قلوب عباده عطية وهدية من عنده : تارة ببينة من
الباطن لا يمكنه التعبير عنها . وتارة بسبب رؤيا في المنام ، وتارة بمشاهدة
حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبتته ومجالسته ، وتارة بقرينة
حال : فقد جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم جاحداً به منكراً
فلما وقع بصره على طلعتة البهية زادها الله شرفاً وكرامة فرآها يتلألاً

منها أنوار النبوة قال والله ما هذا بوجه كذاب : وسأله أن يعرض عليه الاسلام فأسلم : وجاء آخر اليه عليه الصلاة والسلام وقال أنشدك الله الله بعثك نبيا فقال عليه الصلاة والسلام اى - والله : الله بعثني نبيا . فصدقه بيمينه وأسلم - وهذا وأمثاله أكثر من أن يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعليم الأدلة بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرآن في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت شعري متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضى الله عنهم احضار اعرابى أسلم وقوله له الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن الحوادث حادث وأن الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرته زائدة عن الذات لاهى هو ولا هى غيره إلى غير ذلك من رسوم المتكلمين *

ولست أقول لم تجر هذه الالفاظ ولم يجز أيضا ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تتكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يسمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسمون واحداً واحداً بعد طول الزمان أو على القرب وكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها . نعم لست أنكر انه يجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان فى حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصود عليه وهو أيضاً نادر بل الاتقع الكلام الجارى فى معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن - فأما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فإنه يشعر تقوس المستمعين بأن فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامى لا لكونه حقاً فى نفسه ، وربما يكون ذلك سبباً لرسوخ العناد فى قلبه ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ولا عن مذهب الشافعى الى مذهب أبى حنيفة ولا على العكس . وتجربى هذه الانتقالات باسباب آخر حتى فى القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة

السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض في الكلام ويشغل بالبحث والسؤال، وإذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه إلا لأحد شخصين : رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريب وعظي ولا بخبر نقلى عن رسول الله فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامي دافعاً شبهته ودواء له في مرضه فيستعمل معه ذلك ويجرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض فإنه يوشك أن يحرك في نفسه إشكالا ويشير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح (والثاني) شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بانوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً اذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعاً اذا نبغ وليجرس به معتقده اذا قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات وتعلم قدر ما يزيل به الشك ويدراً الشبهة في حل المشكل فرض عين اذا لم يمكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه . والحق الصريح ان كل من اعتقد ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واشتمل عليه القرآن اعتقاداً جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لا يمكن التعبير عنها وتام تا كده بلزومه العبادة والذكر فان من تبادت به العبادة الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائماً تجلت له انوار المعرفة وصارت الامور التي كان قد أخذها تقليداً عنده كالمعاينة والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التي لا تحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشرح الصدر بنور الله تعالى : فمن يرد الله أن يهديه ويشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى

شرح الصدر فقال « نور يقذف في قلب المؤمن » ف قيل وما علامته
قال « التجافي عن دار الغرور والابابة الى دار الخلود » فهذا يعلم ان
المتكلم المقبل على الدنيا المتهاك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو
أدركها لتجافي عن دار الغرور قطعاً *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول أنت تأخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية.
والشارع صلوات الله عليه هو الذي ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم
اذ قال عليه السلام « يقول الله تعالى لا آدم عليه السلام يوم القيامة يا آدم
ابعث من ذريتك بعث النار : فيقول يارب من كم : فيقول من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعين » . وقال عليه الصلاة والسلام « ستفترق أمتي
على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة »

الجواب: ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى به انهم كفار
مخلدون بل انهم يدخلون النار ويعرضون عليها ويتركون فيها بقدر
معاصيهم ، والمعصوم من المعاصي لا يكون في الالف الا واحداً -
وكذلك قال الله تعالى (وان منكم الا واردها) ثم بعث النار عبارة عن
استوجب النار بذنوبه ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما
وردت به الاخبار: وتشهد له الاخبار الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله
تعالى وهي أكثر من أن تحصى * فنها ما روى عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فاذا هو في
مشربة يصلي فرأيت على رأسه أنواراً ثلاثة فلما قضى صلاته قال مهمم من
هذه قلت أنا عائشة يا رسول الله . قال رأيت الانوار الثلاثة . قلت نعم
يا رسول الله قال إن آتياً أتاني من ربي فبشرني أن الله تعالى يدخل الجنة
من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب : ثم أتاني في النور الثاني
أت من ربي فبشرني أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتي مكان كل واحد
من السبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب : ثم أتاني في النور

الثالث آت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمي مكان كل واحد من السبعين ألفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب : فقلت يارسول الله لا تبلغ امتك هذا . قال يكفون لكم من الاعراب ممن لا يصوم ولا يصلي - فهذا وأمثاله من الاخبار الدالة على سعة رحمة الله تعالى كثير - فهذا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة . وأنا أقول إن الرحمة تشمل كثيراً من الامم السالفة وإن كان أكثرهم يعرضون على النار إما عرضة خفيفة حتى في لحظة أو في ساعة، وإما في مدة حتى يطلق عليهم اسم بعث النار - بل أقول إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فانهم ثلاثة أصناف : صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلافهم معذورون . وصنف بلغهم اسمه وفعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون . وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعتهم وصفته بل سمعوا أيضاً منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقنع بعثه الله تحدى بالنبوة كاذبا فهو لاء عندي في معنى الصنف الاول فانهم مع أنهم لم يسمعوا اسمه سمعوا ضد أوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب *

وأما الحديث الآخر وهو قوله الناجية منها واحدة فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالكه منها واحدة ولكن الاشهر تلك الرواية ، ومعنى الناجية هي التي لا تعرض على النار ، ولا تحتاج الى الشفاعة بل الذي تتعلق به الربانية لتجره الى النار فليس بناج على الاطلاق وان اتزع بالشفاعة من مخالبيهم : وفي رواية كلها في الجنة إلا الزنادقة وهي فرقة : ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكه واحدة وهي التي تخلد في النار ، ويكون الهالكه عبارة عن وقع اليأس عن صلاحه

لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير وتكون الناجية واحدة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقس الحساب فقد عذب فليس بناج اذا ومن عرض للشفاعة فقد عرض للشدلة فليس بناج أيضا على الاطلاق وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره .
وباقى الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين : فمنهم من يعذب بالحساب فقط : ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة : ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقابهم وبدعتهم وعلى كثرة معاصيهم وقتلها . فاما الهالك المخلدة في النار من هذه الامة فهي فرقة واحدة وهي التي كذبت وجوزت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلحة *

وأما من سائر الامم . فمن كذبه بعد ما قرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسييح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لكونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر : وان انبعثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه أن يفتر عن الطلب بعد ظهور الخيال بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة : فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية *

واعلم أن الآخرة قريب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة فكأن أكثر أهل الدنيا في نعمة وسلامة أو في حالة يغبها إذ لو خير بينها وبين الاماتة والاعدام مثلا لاختارها وإنما المعذب الذي يتمنى الموت نادر فكذلك المخلدون في النار بالاضافة إلى الناجين والمخرجين منها في الآخرة نادر فان صفة الرحمة لا تتغير باختلاف أحوالنا، وإنما الدنيا والآخرة عبارتان عن اختلاف أحوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه الصلاة والسلام معنى حيث قال « أول ما خط الله في الكتاب الاول أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فله الجنة » .

واعلم أن أهل البصائر قد انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها بأسباب ومكاشفات سوى ما عندهم من الأخبار والآثار ولكن ذكر ذلك يطول. فابشر برحمة الله وبالنجاة المطلقة إن جمعت بين الايمان والعمل الصالح، وبالهلاك المطلق ان خلوت عنهما جميعا: وان كنت صاحب يقين في أصل التصديق وصاحب خطأ في بعض التأويل أو صاحب شك فيهما أو صاحب خلط في الأفعال فلا تطمع في النجاة المطلقة *

واعلم أنك بين أن تعذب مدة ثم تخلى وبين أن يشفع فيك من تيقنت صدقه في جميع ما جاء به أو غيره فاجتهد أن يغنيك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر في ذلك مخظر *

* فصل *

قد ظن بعض الناس أن مأخذ التكفير من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف به مؤمن فيقال له الحكم باباحة الدم والخلود في النار حكم شرعي لا معنى له قبل ورود الشرع وان أراد به أن المفهوم من الشارع أن الجاهل بالله هو الكافر - فهذا لا يمكن حصره فيه لأن الجاهل بالرسول وبالأخرة أيضا كافر: ثم إن خصص

ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجمد وجوده أو وحدانيته ولم يطرده في الصفات فربما سوعد عليه : وإن جعل المخطئ في الصفات أيضاً جاهلاً أو كافراً لزمه تكفير من نفي صفة البقاء وصفة القدم ، ومن نفي الكلام وصفاً زائداً على العلم ، ومن نفي السمع والبصر زائداً على العلم ، ومن نفي جواز الرؤية ، ومن أثبت الجهة وأثبت ارادة حادثة لافي ذاته ولا في محل وتكفير المخالفين فيه * وبالجملة يلزمه التكفير في كل مسألة تتعلق بصفات الله تعالى وذلك حكم لا مستند له ، وإن خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد لذلك فصلاً ومرداً ، ولا وجه له إلا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب بالرسول وبالمعاد ، ويخرج منه المأول : ثم لا يبعد أن يقع الشك والنظر في بعض المسائل من جملة التأويل أو التكذيب حتى يكون التأويل بعيداً ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت أن هذه مسألة اجتهاد *

* فصل *

من الناس من قال إنما كفر من يكفرني من الفرق ومن لا يكفرني فلا . وهذا لا مأخذ له : فان قال قائل على رضى الله عنه أولى بالامامة إذا لم يكن كفراً فبأن يخطئ صاحبه ويظن أن المخالف فيه كافر لا يصير كافراً ، وإنما هو خطأ في مسألة شرعية - وكذلك الحنبلي إذا لم يكفر بأثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط أو يظن أن نافي الجهة مكذب وليس بمأول - وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » معناه أن يكفره مع معرفته بحاله فمن عرف من غيره أنه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكفره فيكون المكفر كافراً فأما إن كفره لظنه إنه كذب الرسول فهذا غلط منه في حال شخص واحد إذ قد يظن به أنه كافر مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كفراً . فقد أفدناك بهذه الترييدات التنبيه على أعظم الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذى ينبغى أن يتبع فيه فاقنع به والسلام *

* تمت رسالة فيصل التفرقة - وتليها رسالة القواعد العشرة *

﴿ الرسالة السادسة ﴾

القبول عند العشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموفق الذي وفق قلوب الاحباب * لموافقة مراسيم السنة
 وأحكام الكتاب * الفتح الذي فتح بصرأر أبصارهم فأبصروا مواقع
 نبال الارتباب في مقاتل اهل الحجاب * الملمم الذي أهمهم الحجة
 البيضاء . بالحجة الخضراء . فاصابو أبقار الصواب نادام بلسان شأن
 المحبة من جنان المودة كيف ينام المحب عن مشاهدة الأحاب *
 فأكحلوا نواظرهم بأمد السهاد * وجفوا من مضاجعهم أطيب الرقاد
 وجدوا في أثر الاطلاب مع الطلاب ، وجعلوا نهارهم ليلا وأفراحهم
 ويلا * وأرخوا لعز مولاهم ذيلا * وتدلوا على الاعتاب : فأقامهم في
 الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيته * فياسعادتهم بتوفيقهم
 لوقوفهم على الأبواب * وكشف لهم الحجاب عن جماله * وكشط
 الضباب عن محاسن أبواب مقاله * فردوا حيارى بمحاسن الاتراب
 أجروا مدامهم جريان الانهار وأبدوا لجائهم عن زمن تولى من جر
 الازار على الاوزار * وطرقوا الباب فاتاهم الجواب : يا عبادى أنا
 التواب على من أفلح عن الحوبة والى أناب * روق لهم في دار الوصال
 شراب الاتصال : فناهيك به من شراب * فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن
 حضورهم في حضراته * وغداكل بعقله مصاب فاين المهاجر فى الهواجر ،

ومن أكحل المحاجر بالحناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب *
 قد كشف المولى منيع الحجاب * وأسمع الاحباب طيب الخطاب
 واحضروا حضرة أنس بها * غابوا فعاشوا بعد موت العقاب
 وفي مقام القرب أدناهم * لما سقاهم في المقام الشراب
 وانحفوا من فضله بالوفا * محضاً من الامن أجل الكتاب
 لهم الملوك الشم من خلقه * ضنائق الحق لعز الحجاب
 قد تبعوا نهج سبيل الهدى * واتبعوا حكم نصوص الكتاب
 واستمسكوا بسنة خير الوري * وحاسبوا من قبل يوم الحساب
 وناقشوا أنفسهم خيفة * من غضب الحق وهول العقاب
 اذا أتى الليل تراهم به * فرحا لجمع الفرق تحت النقاب
 يحيونه بالذكر كي يحيمهم * بذكره في جمع أهل الثواب
 يراهم الحق يباهي بهم * بهم عن الخلق يزول العذاب
 عليهم منى سلام سما * ما لمع البرق وهل السحاب
 * احمده * حمداً استوجب به الثواب * وأشكره شكراً تزيد به
 زيادات أولى الالباب * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له *
 شهادة تنزهه عن الحلول والانحياز * والظهور والبطون والابتداء
 والانتها والاشتهار والاحتجاب * وتقدست ذاته المقدسة عن مقالات
 أولى الجهالات * من الكم والكيف والايين والمكان والزمان
 والاياب والذهاب * وأمجده بما أبرزه بحكمته من الاكوان عن التفكير
 والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب : وأعظمه
 عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتكريب
 والارتكاب * وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف محبوب
 وأعظم الاشراف وأخص الاحباب * أرسله بفضل الكتاب وفصل
 الخطاب * وأيده بأفضل كتاب وأجمل خطاب * أفصح فصحاء
 الاعراب بالاعراب * والاختصار والاسهاب * وأعجز بلغاء الاحزاب *

ببدائع النفي والايجاب * وأضربهم مما يعبدونه مما ينتمونه ما أتى به
 من الاضراب فانقذ الاحباب * من مهاوى الارتياب * ومغاوى
 الاعراب واعقب الاعراب بالعقاب على الاعقاب * وكشف عن وجه
 نور الاسلام مكفريات ظلمات الاشرار والضباب * صلى الله عليه وعلى
 آله وأصحابه والاحباب * وعلى الخلفاء الراشدين الاقطاب أبى بكر وأبى
 حفص وأبى عمرو وأبى تراب * صلاة تحملنا دار النعيم * وتخرجنا عن
 دار العذاب *

﴿ أما بعد ﴾ نفخنا الله واياك بنسائم قربه * وسقانا واياك من
 من كاسات حبه * فان بيان كيفية طريقنا * وبرهان أصل تحقيقنا *
 مبني على عشرة قواعد توظف النائم وتقيم القاعد *

﴿ القاعدة الاولى ﴾ النية الصادقة الواقعة من غير التواء « لقوله
 عليه الصلاة والسلام « وإنما لكل امرئ ما نوى » والمراد بالنية
 عزم القلب * وبالصادقة انهاؤها للفعل والترك للرب * وبالواقعة
 استمرارها على هذه الخلة الاثيرة لان للتكرار تأثيراً ليس لغيره
 وعلامتها عدم تغيير جزمه بأعراض فانية وباقيته في عزمه فان العمل
 للحق ولا بد من الحق * فلا يترك ما عزم عليه لاخلق *

﴿ القاعدة الثانية ﴾ العمل لله من غير شريك ولا اشتراك لقوله عليه
 السلام ﴿ اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ وعلامته
 أن لا يرضى بغير الحق ، ويرى ما سواه قاطعاً * فيجتنب الخلق لقول
 النبي المختار ﴿ تعس عبد الدينار ﴾ وليترك الله سبحانه وتعالى جميع
 أمانيه - لقوله عليه السلام ﴿ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ﴾
 وآكدها الشبهات فاحذرهما أن تصيبك لقوله عليه السلام ﴿ دع ما يريبك
 الى ما لا يريبك ﴾ فاذا صححت هذه الاصول الثلاثة أممرت أغصانها لك
 القربى * فتكون بالصورة في الدنيا وبالمعنى في العقبى * وعلى قدر همك
 وثباتك على الفعل والترك تحظى من الحديث المشهور ﴿ كن في الدنيا

كأنك غريب أو طار سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور * وعلامة
 القناعة الاء كنفاء بما يذهب الحر والبرد والسغبة لقوله عليه الصلاة
 والسلام * حسب ابن آدم لقيات يقمن بها صلبه * فلا يميل الى صاحب
 القمح صاحب الشعير * والى النقرة صاحب النقيير * والمستغنى بالحلال
 لا يقصد المباح * ولا يخفض الى الشبهة الجناح * وعلامة الغريب الخجل
 الخفيف وعدم الائتلاف بالثقل * وترك السؤال فانه يؤوى الى ظل
 الدخيل * وعلامة طار السبيل اسراع الاجابة * ورضاه بما سيق اليه
 واستطابه * وعلامة الميت ايثار مهمات دينه * والمسألة في غوالب حينه *
 * القاعدة الثالثة * موافقة الحق بالاتفاق والوافق * ومخالفة النفس
 بالصبر على الفراق والمشاق * وترك الهوى * وجفاء الملاذ والمكان
 والخلاف * ومن تعودده خرج عن الحجاب ، ودخل في الانكشاف *
 فعاد نومه سهراً * واختلاطه عزلة * وشبعه جوعاً * وعزته ذلة * ومكلمته
 صمتاً * وكثرته قلة *

* القاعدة الرابعة * العمل بالاتباع لا الابتداع * لثلاثيكون صاحب
 هوى * ولا يزهو برأيه زهوا * فانه لا يفلح من اتخذ لنفسه في فعله
 وليا بقوله عليه السلام * عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشياً *
 * القاعدة الخامسة * الهمة العلية المجردة عن تسويق نفسك *
 فقد جاء لا اترك صملاً يومك لغدك * لأن بعض الاعمال من بعضها
 والا فمن رضى بالأذنى حرم الأعلی * والسكامل المتبع هو السنى لا
 المتشيع والمعتزل والمبتدع لقوله عليه السلام * يا أجباني عليكم بالسواد
 الاعظم * قالوا يا رسول الله وما السواد الاعظم : قال * ما أنا عليه
 وأصحابي *

* القاعدة السادسة * العجز والذلة لا بمعنى الكسل في الطاعات
 وترك الاجتهاد * بل عجزك عن كل فعل إلا بقدره الحق الجواد * وأن
 ترى الخلق بعين التوقير والاحترام * فان بعضهم وسائط بعض إجلالا

لحضرة ذى الجلال والاكرام * لأن سنة الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً ما أضافه إليه ينفي الوسائط * وإن أراد جلال حضرته تعظيماً أضافه لغيره رعاية للوسائط * فإذا علمت أن الكل بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع إليه ، وتكبرت فقد تكبرت عليه إلا بأمر وصل إليك من لديه * فأجعل عجزك في جنبه . ومسكنتك له بالاعتذار * ولا تتصور قدرة لك فانها منازعة في الاقتدار *

* القاعدة السابعة * الخوف والرجاء معنى ، وعدم الاطمئنان بجلال الاحسان الا عند العيان * حسن ظنك منك بالجواد الحسن *
* القاعدة الثامنة * دوام الورد إما في حق الحق أو حق العباد *
فإن من ليس له ورد فما له من الموارد امداد * فالمديم يعمل والحق يعمل بملا له بخلاف الذي يغيب بأعماله وأقواله * فإن النفس تنبسط بذلك جهراً وسراً ، وتراعى حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً وشرأ . فيحب ويبغض لهم ما يحب ويبغض لنفسه خيراً وشرأ * ويعمل لله تعالى ما يرضى كما يحب أن يفعل الله به ما يرضى *

* القاعدة التاسعة * المداومة على المراقبة ولا يغيب عن الله سبحانه وتعالى طرفة عين : فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه وتعالى ونفى غير الله وجد الله واحسانه - وعلم اليقين . يحصل ذلك لك بجملته وهو أن ترى الحركات والسكنات والاعيان بتحركه وتسكينه وقدرته سبحانه لا يستغنى عنه شيء * ثم تزيد مراقبة الى أن تترقى الى عين اليقين ثم تفنى عن ذلك به وذلك حقيقة اليقين فتقول ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله فيه سبحانه وتعالى هو القيوم على كل شيء بقيوميته وذلك الشيء هو القائم بأمره وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة : فتأدب مع الخلق وعاشر أحسن المعاشرة * قال عليه الصلاة والسلام (أدبى ربى فأحسن تأديبى)

* القاعدة العاشرة * علم يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهاداً

لان من ظن انه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معادا * لقوله سبحانه
 لارب سواه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهذا ما بنيت
 على أعمدة قواعده قصوراً من غير قصور، وأسست عليه شوامخ الحجارة
 لربات الحبور. وحرثته بمحراث فدن وبذرتة بصنوف حبوب السعادة
 وغرست في فرائده مغارس الاذكار * وأجريت في جناته من الاوراد
 والانهار * وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة * ومهدته بمحائق حقائق
 المكابدة راجياً حصاد زرعي بمناجل الهمم ، وقاصداً غنيمة انفاق من
 مواهب الكرم * والله تعالى يزكيه ويربيه ويربيه * ويرتع فيه من ظهر
 فيه ومن التحق به ممن يحببه انه الجواد الكريم البر الرحيم * والسلام
 على من اتبع * فما ابتدع ونفع وانتفع * ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه
 المفليحين . ورحمته وبركاته * وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار
 المعارف * وسر أسرار العوارف ، وعلى آله وصحبه وتابعي سبيله وحزبه
 والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، وتم البركات آمين *
 * تمت القواعد العشرة وتليها رسالة مشكاة الانوار *

﴿ الرسالة السابعة ﴾

مشكاة الأنوار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مفيض الانوار ، وفتاح الابصار ، وكاشف الاسرار ، ورافع
 الاستار : والصلاة على محمد نور الأنوار ، وسيد الأبرار ، وحبيب الجبار

وبشير الغفار ، ونذير القهار ، وقامع الكفار ، وفاضح الفجار : وعلى
آله وأصحابه الطاهرين الاخبار *
﴿ أما بعد ﴾ فقد سألتني أيها الاخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة
الكبرى ، ورشحك للعروج إلى الذروة العليا ، وكحل بنور الحقيقة
بصيرتك ، ونفى عما سوى الحق سريرتك أن أثبت اليك أسرار الانوار
الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر الآيات المتلوة والاخبار المروية
مثل قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) ومعنى تشبيهه ذلك
بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عليه السلام
« إن لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبعجات
وجهه كل من أدركه بصره » ولقد أرتقيت بسؤالك مرتقى صعبا
تنخفض دون أعاليه مراعى عين الناظرين . وقرعت بابا مغلقا لا ينفتح
إلا للعلماء الراسخين : ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ، ولا كل حقيقة
تعرض وتجلي بل صدور الاحرار قبور الاسرار : ولقد قال بعض
العارفين إفشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد الأولين والآخرين
« إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم
ينكره عليهم إلا أهل الاغترار بالله » ومهما كثر أهل الاغترار بالله
وجب حفظ الاسرار عن وجه الاشرار * لكنى أراك منشراح الصدر
بالنور منزه السر عن ظلمات الغرور فلا أشح عليك بالاشارة إلى لوامع
ولوائح والرمز إلى حقائق ودقائق . فليس الظلم في كف العلم عن أهله
بأقل منه في بثه إلى غير أهله فقد قيل *
من منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم
فاقنع باشارات مختصرة ، وتلويحات موجزة فان تحقيق القول فيه
يستدعى تمهيد أصول . وشرح فصول ليس يتسع له الآن وقتي ولا
ينصرف اليه ذهني ولا همتي ، ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها اذا شاء
كما شاء بما شاء وإنما ينفتح في هذا الوقت فصول ثلاثة *

* الفصل الاول *

في بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره
مجاز محض لا حقيقة له

وبيانه بان تعرف معنى النور بالوضع الاول عند العوام : ثم بالوضع
الثاني عند الخواص : ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص : ثم تعرف
درجات النور المنسوبة إلى الخواص وحقائقها لينكشف لك عند
ظهور درجاتها إن الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى ، وعند انكشاف
حقائقها أنه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه - أما الوضع
الأول العامي فالنور يشير إلى الظهور والظهور أمر اضافي إذ يظهر الشيء
لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالاضافة باطنا بالاضافة
وإضافة ظهوره إلى الادراكات لا محالة. واقوى الادراكات وأجلها عند
العوام الحواس - ومنها حاسة البصر : والاشياء بالاضافة إلى الحس
البصرى ثلاثة أقسام : منها ما لا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة : ومنها
ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكواكب
وجسم النار إذا لم تكن مشعلة : ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره
كالشمس والقمر والنيران المشعلة والسرّج : والنور اسم لهذا القسم
الثالث : ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الأجسام المنيرة على ظواهر
الأجسام الكثيفة فيقال استنارت الأرض ووقع نور الشمس على
الأرض ، ونور السراج على الحائط والثوب : وتارة يطلق على نفس
هذه الأجسام المشرقة أيضاً لأنها في أنفسها مستنيرة. وعلى الجملة فالنور
عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس - هذا حده وحقيقته
بالوضع الاول *

(دقيقة) لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك
موقوفاً على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً إذ النور هو
إظهار المظهر وليس شيء من الانوار ظاهراً في حق العميان ولا مظهرأ

فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنالا بدمنه للادراك
 ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك : وأما
 النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكأن اسم النور
 بالنور أحق منه بالنور المبصر فأطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة
 فقالوا في الخفاش إن نور عينه ضعيف : وفي الاعمش انه ضعيف نور
 البصر، وفي الاعمى انه فقد نور بصره، وفي السواد انه يجمع نور البصر
 ويقويه ، والاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل
 العين مخوفة بها لتجمع ضوء العين : وأما البياض فيفرق نور العين
 فيضعف نوره حتى إن إدامة النظر إلى البياض المشرق بل إلى نور الشمس
 يبهز نور العين ويمحقه كما يحرق الضعيف في جنب القوى فقد عرفت
 بهذا أن الروح الباصرة يسمى نوراً وأنه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا
 هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص *

(حقيقة) إعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فانه
 يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر
 ما هو وراء حجاب ، ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ، ويبصر
 من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر مالا
 نهاية له ، ويغلط كثيراً في ابصاره فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد
 قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً فهذه سبع نقائص لا تفارق
 العين الظاهرة فان كان في الاعين عين منزه عن هذه النقائص كلها فليت
 شعري هل هو أولى باسم النور فعلم أن في قلب الانسان عيناً هذه صفة
 كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس
 الانساني : دع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أو همت عند
 الضعيف البصيرة كثرة المعاني فتعنى به المعنى الذي يتميز به العاقل عن
 الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ولنفسه عقلاً متابعاً للجمهور
 في الاصطلاح فنقول : العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة

لرفعة قدره عن النقائص السبع « أما الاولى » فهو أن العين لا تبصر
نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه إذ يدرك
نفسه عالماً وقادراً ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه بعلمه
بعلمه نفسه إلى غير نهاية وهذه خاصة لا تتصور لما يدرك بألة الاجسام
وراءه سر يطول شرحه *

« الثانية » أن العين لا تبصر ما قرب منها قرباً مفرطاً ولا ما بعد
والعقل عنده يستوى القريب والبعيد ويعرج في طرفة إلى أعلى السموات
رقياً وينزل في لحظة إلى تخوم الارض هويلاً بل إذا حقت الحقائق
انكشف أنه منزّه عن أن يحوم بمجنبات قدسه القرب والبعيد الذي
يعرض بين الاجسام فانه انموذج من محور الله تعالى ولا يخلو
الانموذج عن محاكاة وإن كان لا يرقى الى ذروة المساوقة وهذا ربما
هزك للتفتن لسر قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على
صورته » فلست أرى الا أن الخوض في بيانه *

« الثالثة » أن العين لا تدرك ما وراء الحجاب : والعقل يتصرف
في العرش والكرسى وما وراء حجب السموات وفي الملاء الأعلى والملكوت
كتصرفه في عالمه الخاص به ومملكته القريبة أعني بها الخاصة به بل
الحقائق كلها لا تحجب عن العقل ، وانما حجاب العقل حيث يحجب من
نفسه لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهي حجاب العين من نفسه عند
تعميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل الثالث من الكتاب
« الرابعة » أن العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الأعلى دون
باطنها بل قواها وصورها دون حقائقها ، والعقل يتغلغل الى بواطن
الاشياء وأسرارها ، ويدرك حقائقها وأرواحها ، ويستنبط أسبابها
وعلاها وحكمها وانها من حدثت وكيف خلقت ومن كم معنى جمع الشيء
وركب وعلى أى مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى سائر مخلوقاته ؟
الى مباحث آخر يطول شرحها نرى الايجاز فيها أولى (الخاتمة) أن

العين تبصر بعض الموجودات إذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير
 من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح والطعوم والحرارة
 والبرودة والقوى المدركة أعني قوة السمع والشم والذوق بل الصفات
 الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والألم واللذة والعشق
 والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى
 ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجرى لا تسمعه مجاوزة عالم الألوان
 والأشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام في نفسها أخس أقسام
 الموجودات والالوان : والاشكال من أخس اعراضها ، والموجودات
 كلها مجال العقل إذ يدرك هذه الموجودات التي عددها ومالم نعهده
 وهو الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينا صادقا فالاسرار
 الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جليلة فمن أين للعين الباصرة
 مساواته في استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيرها ولو لكانها
 ظلمة بالاضافة اليه بل هي جاسوس من جواسيسه وكلها بأخس خزائنه
 وهي خزانة الالوان والاشكال لترفع الى حضرته أخبارها فيقتضى فيها
 بما يقتضيه رأيه الناقد وحكمة الناقد ، والحواس جواسيسه سواها وهي
 من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة
 له في عالمه الحاضر يسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل
 أشد وشرح ذلك يطول ، وقد شرحناه في كتاب عجائب القلب من
 كتب الاحياء « السادسة » أن العين لا تبصر ما لا نهاية له فانها تبصر
 صفات الاجسام المعلومات . والاجسام لا تنصور الا متناهية والعقل
 يدرك المعقولات والمعقولات لا تنصور أن تكون متناهية : نعم
 اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده إلا متناهياً
 لكن في قوته إدراك ما لا نهاية له . وشرح ذلك يطول فان أردت له مثالا
 فخذ من الحساب فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات
 الاثنين والثلاثة وسائر الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك أنواعاً من

النسب بين الاعداد ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه بعلمه بعلمه ، وقوته في هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية (السابعة) أن العين تدرك الكبير صغيراً فترى الشمس في مقدار حجر والكواكب في صورة دنانير منشورة على بساط أزرق ، والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الارض أضعافاً مضاعفة ، ويرى الكواكب ساكنة بل يرى الظل بين يديه ساكناً ويرى الصبي ساكناً في مقداره . والعقل يدرك أن الصبي يتحرك في النمو والتزبد على الدوام والظل متحرك دائماً والكواكب تتحرك في كل لحظة أميالاً كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل (أزال الشمس فقال لا نعم) قال وكيف قال منذ قلت لا الى أن قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام ، وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها : فان قلت ترى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم أن خيالاتهم وأوهامهم قد تحكم باعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها : وقد شرحنا مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر : فأما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على ما هي عليه وفي تجرده عسر وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الاسرار ويصادف كل احد ما قدمه من خير أو شر محضراً ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وعندها يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد : وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم ، وعندها يقول المغرور بأوهامه واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة : ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا إنا موقنون * فقد عرفت بهذا أن العين أولى باسم النور من النور المعروف المحسوس : ثم عرفت ان العقل أولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح أن يقال معه أنه أولى بل الحق انه يستحق الاسم دونه *

(دقيقة) أعلم أن العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة واحدة بل بعضها تكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قدما حديثاً ولا يكون موجوداً معدوماً ، والقول الواحد لا يكون صدقاً وكذباً وان الحكم اذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله ، وان الاخص اذا كان موجوداً كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون ، واذا وجد الانسان فقد وجد الحيوان - وأما عكسه فلا يلزم في العقل إذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات والمستحيلات - ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز أعطافه ويستورى زاده وينبه عليه بالتفنيه كالنظريات وإنما يفهمه كلام الحكماء فعند إشراق نور الحكمة يصير الانسان مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة . وأعظم الحكمة كلام الله تعالى: ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به يتم الابصار فبالحرى أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً . فمثال القرآن نور الشمس . ومثال العقل نور العين - وبهذا يفهم معنى قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) وقوله تعالى (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً) (تكملة لهذه الدقيقة) فاذا فهمت من هذا أن العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة ، والباطنة من عالم آخر وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار (إحداها) ظاهرة (والاخرى) باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة . والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة * ومهما انكشف لك هذا انكشافاً تاماً فقد اقتح لك باب من أبواب الملكوت وفي هذا العالم عجائب يستحق بالاضافة اليها عالم الشهادة

ومن لم يسافر الى هذا العالم ، وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة إذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هذا العالم ولذلك قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل)

واعلم أن عالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح ، وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني ، وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني : ولا تظنن أنا نغنى بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق في حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك في ادراكها البهائم وأما العبد فلا تفتح له أبواب الملكوت ولا يصير ملكوتياً الا وتبدل في حقه الارض غير الارض والسموات ولا يصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال ارضه ، ومن جعلتها السموات ، وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه - وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتداء سفره لقرب حضرة الربوبية : فالانسان مردود الى أسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الاعلى وأما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت عالقون في حضرة القدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم أفاض عليهم من نوره » وقال « لله ملائكة هم أعلم بأعمال الناس منهم » والانبيااء إذا بلغ معراجهم الى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى وأشرفوا على جملة من عالم الغيب إذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله وعنده مفاتيح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ويجرى الثمر بالاضافة الى الثمر والسبب بالاضافة الى السبب ، ومفاتيح معرفة المسببات إنما تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت

كما سيأتي في بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن موازاة المشبه به ومحركاته نوعاً من المحاكاة على قرب أو بعد وهذا الان له غور عميق ، ومن اطلع على كنهه حقيقته انكشفت له حقائق أمثلة القرآن على يسر *

(دقيقة ترجع الى حقيقة النور) قلنا إن كل ما يبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره أيضاً مع أنه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره أصلاً بل بالحري أن يسمى سراجاً منيراً لفيض أنواره على غيره وهذه الخاصة توجد لاروح القدس النبوي إذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً ، والانبيااء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا يخصى *

(دقيقة) اذا كان اللائق بالذي يستفاد منه نور الابصار أن يسمى سراجاً منيراً فالذي يقتبس منه السراج في نفسه جدير بأن يكنى عنه بالنار - وهذه السراج الارضية انما تقتبس في أصلها من أنوار علوية والروح القدس النبوي يكاد زيتته يضيء ولو لم تمسه نار لكن انما يصير نوراً على نور اذا مسته النار فبالحري أن يكون مقتبس الارواح الارضية من الارواح الالهية العلوية التي وصفها على وابن عباس عليهما السلام فقالا إن لله ملكاً له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يسبح الله بجميعها ، وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) فهي انما اعتبرت من حيث يقتبس منها السراج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يؤنس الا من جانب الطور *

(دقيقة) الانوار السماوية التي منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها ان تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أولى باسم النور لانه أعلى رتبة : ومثال ترتيبها في عالم الشهادة

لا يدركه الانسان إلا بان يبصر ضوء القمر داخلا في كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط منعظا منها على حائط آخر في مقابلتها ثم منعظا منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فانت تعلم أن ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع القمر وما في القمر تابع لما في الشمس إذ منها يشرق النور على القمر - وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها أعلى من بعض وأكل من بعض ، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها فاعلم أنه قد انكشف لا رباب البصائر أن الانوار الملوكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك ، وأن المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب الذي تقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستصعب عن الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في صفوفهم وأنهم كما وصفوا به أنفسهم إذ قالوا (وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)

(دقيقة) اذا عرفت أن الانوار لها ترتيب فاعلم أنها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقى الى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها: فانظر الآن هل اسم النور أحق وأولى بالمستنير المستعير نوره من غيره أو بالمنير في ذاته المنور لكل ما سواه فما عندي انه يخفى عليك الحق فيه وبه تتحقق ان اسم النور أحق بالنور الاقصى الاعلى الذي لا نور فوقه ومنه يتزل النور الى غيره *

(حقيقة) بل أقول ولا أبالي ان اسم النور على غير النور الاولى مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبرت ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره مستعار من غيره ولا قوام لنور انيته المستعارة بنفسها بل بغيرها: ونسبة المستعار مجاز محض أفترى أن من استعار ثيابا وفرسا

ومركباً وسرجاً وركبه في الوقت الذي أركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له غنى بالحقيقة أو بالمجاز أو ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير في نفسه كما كان ، وإنما الغنى هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فإذا انور الحق هو الذي بيده الخلق والامر ، ومنه الانارة أولاً ، والادامة ثانياً فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته به ، ويتفضل عليه بتسميته اياه تفضل المالك على عبده اذا أعطاه مالا ثم سماه مالكا : واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله ملك للمالك على التفرد لا شريك له فيه أصلاً *

(حقيقة) مهما عرفت أن النور راجع الى الظهور والاطهار ومراتبه فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم ، وسمى مظلماً لانه ليس يظهر للإبصار اذ ليس يصير موجوداً للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس موجوداً لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغايه في الظلمة وفي مقابله الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره : والوجود بنفسه أيضاً ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ماله الوجود من غيره . وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لاقوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وإنما وجوده من حيث نسبه الى غيره وليس ذلك بوجود حقيق كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى : فالوجود الحق هو الله تعالى كما ان النور الحق هو الله تعالى *

« حقيقة الحقائق » من ههنا يترقى العارفون من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانة أن ليس في الوجود إلا الله وأن كل شيء هالك إلا وجهه لانه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك أزلاً وأبداً إذ لا يتصور إلا كذلك فان كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض :

وإذا اعتبر من الوجه الذي يسرى اليه الوجود من الاول الحق رؤى
 موجوداً لافي ذاته بل من الوجه الذي يلي موجوده فيكون الموجود
 وجه الله فقط : ولكل شيء وجهان وجه إلى نفسه ، ووجه إلى ربه .
 فهو باعتبار وجه نفسه عدم ، وباعتبار وجه الله وجود فاذاً لا موجود
 إلا الله ووجهه فاذاً كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً : ولم يفترق
 هؤلاء إلى قيام القيامة ليستمعوا نداء البارئ لمن الملك اليوم لله الواحد
 القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ، ولم يفهموا من معنى قوله
 الله أكبر أنه أكبر من غيره حاش لله إذ ليس في الوجود معه غيره
 حتى يكون هو أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل
 ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه فقط ومحال
 أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى
 الاضافة والمقايسة وأكبر من أن يدرك غيره كنهه كبريائه نبيا كان أو
 ملكا بل لا يعرف الله كنهه معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت
 سلطان العارف واستيلائه وذلك ينافي الجلال والكبرياء - وهذا له
 تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاسنى في معاني اسماء الله الحسنى *
 « اشارة » العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على
 أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه
 الحالة عرفانا علمياً ، ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً وانتفت عنهم الكثرة
 بالكلية ، واستغرقوا بالفردانية المحضة ، واستهوت فيها عقولهم
 فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر
 أنفسهم أيضاً فلم يبق عندهم إلا الله فسكروا سكرأً وقع دونه سلطان
 عقولهم فقال بعضهم أنا الحق ، وقال الآخر سبحاني ما أعظم شأنى
 وقال الآخر ما فى الجبة الا الله : وكلام العشاق فى حال السكر يطوى
 ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذى هو
 ميزان الله فى أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه

الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط العشق *
 أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
 فلا يبعد أن يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن
 أن الصورة التي رآها في المرآة هي صورة المرآة متحدة بها ويرى الحجر
 في الزجاج فيظن أن الحجرة لون الزجاج فاذا صار ذلك عنده مألوفاً
 ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال *

رق الزجاج وراقت الحجر وتشابها فتشاكل الأمر
 فكأما خمر ولا قدح وكأما قدح ولا خمر
 وفرق بين أن يقال الحجر قدح وبين أن يقال كأنه قدح - وهذه
 الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل فناء الفناء
 لانه فنى عن نفسه وفنى عن فئائه فانه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال
 ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر
 بنفسه، وتسمى هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز
 اتحاداً، و بلسان الحقيقة توحيداً، ووراء هذه الحقائق أيضاً أسرار
 لا يجوز الخوض فيها *

« خاتمة » لعلك تشتهي أن تعرف وجه اضافة نوره الى السموات
 والارض بل وجه كونه في ذاته نور السموات والارض ولا ينبغي أن
 يخفى ذلك عليك بعد أن عرفت أنه النور ولا نور سواه وأنه كل
 الانوار وأنه النور الكلى لان النور عبارة عما تنكشف به الاشياء
 وأعلى منه ما ينكشف به وله واعلى منه ما ينكشف به وله ومنه وأن
 الحقيقي منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوته نور منه اقتباسه
 واستمداده بل ذلك له في ذاته من ذاته لا من غيره: ثم عرفت أن هذا
 لا يتصور ولن يتصف به الا النور الاول ثم عرفت أن السموات
 والارض مشحونة نوراً من طبيعتي النور أعني المنسوب الى البصر
 والبصيرة أى الى الحس والعقل - أما البصرى فما نشاهده في السموات

من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده في الارض من الاشعة
 المنبسطة على كل ما في الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصا في
 الربيع ، وعلى كل حال من الحيوانات والنباتات والمعادن وأصناف
 الموجودات ولو لاهالم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر
 للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعا للالوان ولا يتصور ادراكها
 الا بواسطتها - وأما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها
 وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة الحيوانية
 ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلى ظهر نظام العالم السفلى كما أن بالنور
 الملكي ظهر نظام العالم العلوى وهو المعنى بقوله « وهو الذى أنشأكم
 من الارض واستعمركم فيها » وقال « ليستخلقهم في الارض » وقال
 « ويجعلكم خلفاء الارض » وقال « ابنى جاعل في الارض خليفة » فاذا
 عرفت هذا عرفت أن العالم بأسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية
 والباطنة العقلية : ثم عرفت أن السفلية فأئضة بعضها من بعض فيضان
 النور من السراج وأن السراج هو النور النبوى القدسى ، وأن الارواح
 النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار :
 وأن العلويات بعضها مقتبس من بعض ، وأن ترتيبها ترتيب مقامات ثم
 ترتقى جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وأن ذلك هو الله
 وحده لا شريك له ، وأن سائر الانوار مستعارة منه وانما الحقيقى نوره
 فقط وأن السكل من نوره بل هو لا هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لانور
 الا هو وسائر الانوار انوار من الوجه الذى تليه لا من ذاتها فوجه كل
 موجه اليه ومول شطره « وأيضا تولوا فثم وجه الله » فاذا لا اله الا
 هو فان الآله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعنى
 وجوه القلوب فانها الانوار والارواح بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو
 فان هو عبارة عما اليه الاشارة ، وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما
 أشرت فهو بالحقيقة الاشارة اليه ، وان كنت لا تعرفه أنت لغفلتك عن

حقيقة الحقائق التي ذكرناها ، ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس
 فكل ما في الوجود فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى
 الشمس فاذا لاله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص
 لان ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه في
 الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة : ومنتهى معراج الخلائق مملكة
 الفردانية فليس وراء ذلك مرقة إذ الرقي لا يتصور إلا بكثرة فانه نوع
 اضافة يستدعى ما منه الارتقاء وما اليه الارتقاء وإذا ارتفعت
 الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو
 ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقى واستحال العروج
 فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة
 عروج فان كان ثم تغيير من حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني
 بالاشراق من علو الى أسفل لان الاعلى وان لم يكن له أعلى فله أسفل -
 فهذا غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يحبه
 وهو من العلم الذي هو كنهه المكنون الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا
 نطقوا به لم ينكره إلا أهل انقرة بالله ولا يبعد ان قال العلماء إن
 النزول الى سماء الدنيا هو نزول ملك فقد تومم بعض العارفين ما هو
 أبعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وأن
 ذلك هو نزوله الى استعمال الخواص أو تحريك الاعضاء ، واليه الاشارة
 بقوله عليه الصلاة والسلام « صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
 يبصر به ولسانه الذي ينطق به » واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه
 فهو السامع والباصر والناطق اذا لا غيره * واليه الاشارة بقوله لموسى
 عليه السلام « مرضت فلم تعدني » الحديث فخرجات هذا الموحد من
 السماء الدنيا واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى
 من سماء العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع
 طبقات ثم بعد يستوى على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات

سمواته فرما نظر الناظر اليه فأطلق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يعمن النظر فيه فيعلم أن ذلك له تأويل كقوله أنا الحق وسبحاني بل كقوله عليه الصلاة والسلام مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه فأرى الآن امساك عنان البيان فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار *

«مساعدة» لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر دون ذروته همتك فخذ اليك كلاماً أقرب الى فهمك وأقرب لضعفك واعلم أن معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهري البصري فاذا رأيت ألوان الربيع وخضرتها مثلاً في ضياء النهار فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها فكانك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها: ولقد أصر على هذا أقوام فزعموا أن النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه أظهر الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبه السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحادها بها لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى: وقد تكون شدته سبب الخفاء، والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم أن أرباب البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله «أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد» والى الثاني الاشارة بقوله «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» فالاول صاحب مشاهدة والثاني صاحب الاستدلال بآياته، والاولى درجة الصديقين، والثانية درجة العلماء الراسخين، وليس بعدها الا درجة الغافلين المحجوبين:

فاذا عرفت هذا فاعلم أنه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر
 كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه وبه يظهر كل
 شيء ولكن بقي هاهنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب
 بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل - وأما النور الالهى الذى به
 يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى مع الاشياء
 كلها دائماً فانقطع طريق الاستدلال بالفرقة ولو تصورت غيبته
 لانهدمت السموات والارض ولا أدرك به من الفرقة ما يضطر معه الى
 المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط
 واحد فى الشهادة لوحدانية خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض
 الاشياء وفى جميع الاوقات لا فى بعض الاوقات ارتفع التفريق وحنى
 الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فالاضد له ولا تقيض
 تتشابه الاحوال فى الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة
 جلالة والغفلة عنه لاشراق ضيائه : فسبحان من اخفى عن الخلق لشدة
 ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما أيضاً لا يفهم هذا الكلام
 بعض القاصرين فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالتصور مع الاشياء
 انه فى كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المسكان بل الابدع عن اثاره
 هذا الخيال أن تقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه
 مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر فى معرفة صاحب البصيرة فهذا
 الذى نعنى بقولنا انه مع كل شيء : ثم لا يخفى عليك أيضاً أن المظهر
 قبل المظهر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجهه وقبله بوجهه فلا تظن
 انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التى هى قدر درجاتك فى العرفان
 وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضاً ومن لم
 يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فليسلك علم رجال
 وكل ميسر لما خلق له *

* الفصل الثاني *

« في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار »
 وبيان ذلك يستدعى تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد
 محدود ولكني أشير اليهما بالرمز والاختصار . (أحدهما) في بيان سر
 التمثيل ومنهجه ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الامثلة ووجه
 كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التي منها يتخذ
 طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذي منه تنزل ارواح المعاني (والقطب
 الثاني) في طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها فان هذا
 المثال مسوق لبيان ذلك ، وقد قرأ ابن مسعود (مثل نوره في قلب
 المؤمن كشكاة فيها) وقرأ أبي بن كعب (مثل نور قلب من آمن
 كشكاة فيها)

« - القطب الاول في بيان سر التمثيل ومنهجه » - اعلم أن العالم
 طلمان روحاني وجسماني ، وان شئت قلت حسي وعقلي ، وان شئت
 قلت علوي وسفلي والكل متقارب ، وانما يختلف باختلاف العبارات
 فاذا اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحاني ، واذا اعتبرتهما
 بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي ، وان اعتبرتهما باضافة
 أحدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي : وربما سميت أحدهما عالم الملك
 والشهادة والاخر عالم الغيب والملكوت : ومن ينظر الى الحقائق من
 الالفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة المعاني والذي تنكشف له
 الحقائق يجعل المعاني أصلا والالفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس منه
 اذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى «أمن
 يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم » واذ
 قد عرفت معنى العالمين فاعلم أن العالم الملكوتي العلوي عالم غيب اذ هو
 غائب عن الاكثر ، والعالم الحسي عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم
 الحسي مرعاة الى العالم العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد

طريق الترقى اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله فلن يقرب من الله أحد ما لم يظاً بمجوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس : و اذا اعتبرت جملته بحيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة القدس ، وربما سمينا الروح البشرية الذي هو مجرى لوائح القدس الوادى المقدس : ثم هذه الحظيرة فيها حظارٌ بعضها أشد إمعاناً في معانى القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها فلا تظن أن هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أرباب البصائر *

واشتغالى الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدنى عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فأرجع الى الغرض فأقول : لما كان عالم الشهادة مرقى الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقى وقد يعبر عنه بالدين ، وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت : فما من شيء في هذا العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم ، وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت ، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة ، وانما يكون مثالا اذا ما ناله نوعاً من المماثلة ، وطابقه نوعاً من المطابقة : واحصاء تلك الامثلة يستدعى استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ، ولن تفي به القدرة البشرية ، ولم تتسع لفهمه القوة البشرية ، ولا تفي لشرحه الاعداد القصيرة فغابى أن أعرفك منها أمودجا لتستدل باليسير منها على الكثير ، وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فأقول : ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى أرباباً فيكون الله رب الارباب لذلك ، ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فيما جرى أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس

والقمر والكواكب : وسالك الطريق يترقى أولا الى ما درجته درجة
السكراب فيتضح له اشراق نوره ، وينكشف له أن العالم الاسفل بأسره
تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ، ويتضح له من جماله وعلو درجته
ما ينادى فيقول هذا ربى : ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر
رأى أقول الاول فى مضرب الهوى أى بالاضافة الى ما فوقه أفولا
فقال لا أحب الاقلين فكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس
فيراها أكبر وأعلى قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه ، والمناسبة مع ذى
النقص نقص : وأقول أيضا منه من يقول (وجهت وجهى للذى فطر
السموات والأرض حنييفا وما أنا من المشركين) ومعنى الذى اشارة
مبهمة مناسبة لها إذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذى لم يتصور أن
يجاب عنه فالنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب
لرسول الله ما نسبة الله نزل فى جوابه (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) معناه القدس عن النسبة ولذلك لما
قال فرعون لموسى وما رب العالمين كالمطالب لما هيته لم يجبه الا بأفعاله
إذ كانت الافعال أظهر عند السائل فقال رب السموات والارض : فقال
فرعون لمن حوله ألا تسفعون كالمسكر عليه فى عدوله فى جوابه عن
طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) ففسبه فرعون
الى الجنون إذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال بالافعال
وقال فرعون إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون * ولترجع الآن
الى الامودج فنقول : علم التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لان الرؤيا
جزء من النبوة - أما ترى أن الشمس فى الرؤيا تعبيرها السلطان لما
بينهما من المشاركة والمعاثلة فى معنى روحانى وهو الاستعلاء على
الكافة مع فيضان الآثار والانوار على الجميع : والقمر تعبيره الوزير
لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض
السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وأن

من يرى أن في يده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فإنه يعبر
 له أنه يؤذن قبل الصبح في رمضان : ومن رأى أنه يصب الزيت في
 الزيتون تعبيره ان تحته جارية هي أمه وهو لا يعرفها فاستقصاء أبواب
 التعبير في أمثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكننى الاشتغال بعمدها بل
 أقول كما أن في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر
 والكواكب - كذلك منها ماله أمثلة أخرى اذا اعتبرت معها أوصاف
 أخرى سوى النورانية فإن كان في تلك الموجودات ماهو ثابت لا يتغير
 وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى أودية القلوب البشرية مياه المعارف
 ونفائس المكشفات فمثاله الطور : وان كان الموجودات التي تتلقى
 تلك النفائس بعضها أولى من بعض فمثالها الوادي : وان كانت تلك
 النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجرى من قلب الى قلب - فهذه
 القلوب أيضاً أودية ومفتحة الوادي قلوب الانبياء والاولياء والعلماء
 ثم من بعدهم فإن كانت هذه الاودية دون الاول منها تغترف فبالحرى
 أن يكون الاول هو الوادي الايمن دون لجته وميدانه وان كان روح
 النبي سراجاً منيراً وكان ذلك الروح مقتبساً بواسطة وحى كما قال
 (أوحينا اليك روحاً من أمرنا) فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان
 المتلقون من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على
 حظ من البصيرة : فمثال المقلد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب
 وصاحب الدوق مشارك للنبي في بعض الاحوال : ومثال تلك المشاركة
 الاصطلاء وانما يصطلى بالنار من معه النار لا من سمع خبرها وان كان
 أول منزل الانبياء الترقى الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال :
 فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطء ذلك الوادي
 المقدس الا باطراح السكونين أعنى الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد
 الحق ، وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر
 النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما أخرى : فمثال اطراحهما

عند الاحرام والتوجه إلى كعبة القدس خلع النعلين بل تترقى إلى الحضرة الربوبية مرة أخرى فنقول : إن كان في تلك الحضرة شئ بواسطته تنقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة فمثاله القلم : وإن كان في تلك الجواهر القابلة للتلقي ما انتقش بالعلوم فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور : وإن كان فوق الناقش للعلوم شئ هو مسخر له فمثاله اليد : وإن كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة : وإن كان يوجد للصورة الانسية ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله إذ الرحمة الالهية هي التي على صورة الحضرة الالهية بهذه الصورة : ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم حتى كأنه كل ما في العالم أو هو نسخة من العالم مختصرة : وصورة آدم أعنى هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهى الذى ليس برقم حروف إذ يتتره خطه عن أن يكون رقماً وحروفاً كما يتتره كلامه عن أن يكون صوتاً وحروفاً ، وقلمه عن أن يكون قصباً وحديداً ، ويده عن أن تكون لحماً وعظماً : ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمى عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه : فلما كان هذا من آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لاعلى صورة الله فحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعباد بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله إن الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظاً بل كان ينبغي أن يقول على صورته : واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن ولأن تمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعى شرحاً طويلاً فلنتجاوزه ويكفيك من الامتوخ هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت في نفسك تقوراً عن هذه الامثال فاستأنس بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت

أودية بقدرها) الآية فانه قد ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة
والاودية القلوب *

(خاتمة واعتذار) لا تظن من هذا الامتداح وطريق ضرب الامثال
رخصة منى في رفع الظواهر واعتقاداً في إبطالها حتى أقول مثلاً لم يكن
مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله فان إبطال
الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى أحد العالمين ،
وجهلوا جهلاً بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار
مذهب المشوية فالذى يجرد الظاهر حشوي - والذي يجرد الباطن باطنى
والذى يجمع بينهما كامل - ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (للقرآن
ظاهر وباطن وحد ومطلع) وربما نقل هذا عن على موقوفاً عليه بل
أقول موسى فهم من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر
ظاهراً بخلع نعليه وباطناً بخلع العالمين فهذا هو الاعتبار أى العبور من
شئ الى غيره ومن ظاهراً الى سر ، وفرق بين من يسمع قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة » فيقتنى
الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب
عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التى هى من انوار الملائكة اذ الغضب
غول العقل ، وبين من يمثل الامر بالظاهر : ثم يقول ليس الكلب
بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذى
هو مقر الشخص والبدن واجبا عليه أن يحفظ عن صورة الكلبية
فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى الخاص عن سر
الكلبية كان اولى فان من يجمع بين الظاهر والباطن جميعاً فهذا هو
الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لا يطفى نور معرفته نور ورعه
وكذلك ترى الكامل لا يسمح لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع
كمال البصيرة - فهذه مغلطة منها ما وقع لبعض السالكين فى إباحة طى
بساط الاحكام ظاهراً حتى ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائماً فى

الصلاة بسره وهذا اشد مغلطة الحقاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم إن الله غنى عن عملنا وقول بعضهم إن الباطن مشحون بالخبائث ليس يمكن تركيته منها ولا مطلق في استئصال الغضب والشهوة بظنه أنه مأمور باستئصالها فهذه حماقات: وأما ما ذكرناه فهو ككبوة جواد وهفوة سالك صده الشيطان فدلاه بجمال الغرور وارجع إلى حديث النعلين فأقول: ظاهر خلع النعلين منه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق وادأؤه الى السر الباطن حقيقة ، ولكل حق حقيقة ، وأهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتى معنى الزجاجة لان الخيال الذى من طينته يتخذ المثال صلب ككشف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صار كالزجاج الصافي، و صار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤديا للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم أن العالم الكثيف الخيالى السفلى صار فى حق الانبياء عليهم السلام زجاجة ، ومشكاة للانوار ، ومصفاة للاسرار ، وعرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف أن المثال الظاهر حق ووراء هذا سر ، ورس عليه الضوء والنها وغيره *

(دقيقة) اذا قال عليه الصلاة والسلام (رأيت عبدالرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا) فلا تظن أنه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه فى يقظته كما يراه النائم فى نومه وان كان عبيد الرحمن بن عوف نائما فى البيت بشخصه فان النوم انما أثر فى أمثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس عن النور الباطن الالهى فان الحواس شاغلة وجاذبة الى عالم الحس وصارفة وجهه عن عالم الغيب والملكوت ، وبعض الانوار النبوية قد تصفى وتستولى بحيث لا تجذبه الحواس الى عالمها ، ولا تشغله فيشاهد فى اليقظة ما يشاهده غيره فى المنام لكنه اذا كان فى غاية السكالم لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السرفا تكشف له

أن الإيمان جاذب الى العالم الاعلى الذى يعبر عنه بالجنة والغنى والثروة جاذبة الى الحياة الحاضرة وهى العالم الاسفل فاذا كان الجاذب الى أشغال الدنيا أقوى مقاومة من الجاذب للاخرة صد عن السير الى الجنة فان كان جاذب الايمان أقوى أورث عسراً أو بطشاً في سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تنجلي الاسرار من وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقصر فى حكمه على عبد الرحمن وان كان إبطاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من قويت بصيرته واستحكم إيمانه وكثرت ثروته كثرة تزامم الأيمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية إبطار الانبياء الصور، وكيفية مشاهدتهم المعانى من وراء الصور : والاعلم أن يكون المعنى سابقاً الى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه على الروح الخيالى فينتطبع بصورة موازية للمعنى محكية له وهذا الحظ من الوحي فى اليقظة يحتاج الى التأويل كما أنه فى النوم يفترق الى التعبير ، والواقع منه فى النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة الواحد الى ستة وأربعين والواقع منه فى اليقظة نسبته أعظم من ذلك وأظن أن نسبته نسبة الواحد الى الثلاثة فان الذى انكشف لنا أن الخواص النبوية تنحصر شعبها فى ثلاثة أجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلاثة *

(القطب الثانى فى بيان مراتب الارواح البشرية النورانية إذ معرفتها (تعرف أمثلة القرآن) (فالاول) منها الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما تورده الحواس اذ كان أصل الروح الحيوانى وأوله وبه يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبى الرضيع . (الثانى) الروح الخيالى وهو الذى يكتب ما أورده الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلى فوقه عند الحاجة اليه - وهذا لا يوجد للصبى الرضيع فى بدنه نشوئه ولذلك يولع بالشئ لياخذه فاذا غيب عنه ينسأه ولا تنازعه نفسه اليه الى أن يكبر قليلاً بحيث اذا غيب عنه بكى وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظه فى خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد

للفرش المتهافت على النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النار فيظن ان
 السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقى نفسه عليه فيتأذى به
 لكنه اذا جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان
 له الروح الحافظ المستتب لما أداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان
 تضرر به مرة: فالكلب إذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد ذلك
 هرب (الثالث) الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس
 والخيال وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم ولا الصبيان ،
 ومدركاته المعارف الضرورية السكوية كما ذكرناه عند ترجيح نورالعقل
 على نور العين (الرابع) الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم
 العقلية المحضة فيوقع بينها تاليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف
 تقيسة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلاً ألف بينهما مرة أخرى واستفاد نتيجة
 مرة أخرى ، ولا تزال تترايد كذلك الى غير نهاية (الخامس) الروح
 القدسي النبوي الذي به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه تجلي
 لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات
 والارض بل من المعارف الربانية التي تقصر دونها الروح العقلي والفكري
 واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا
 ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به
 من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ولا يبعد أيها
 المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا
 يظهر في العقل كما لم يبعد كون العقل طوراً وراء التمييز والاحساس
 يكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الاحساس والتمييز . فلا تجعل
 أقصى الكمال وفقاً على تفسك : وان أردت مثلاً بما تشاهده من جملة
 خواص بعض البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من
 الناس وهو نوع إدراك ويحرم منه بعضهم حتى لا تتميز عندهم الالحان
 الموزونة من المزحفة : وانظر كيف عظمت قوة الذوق في آخرين حتى

استخرجوا منها الموسيقى والاغاني وصنوف الدساتانات التي منها المحزن
ومنها المطرب ، ومنها المنوم ، ومنها المبكي ، ومنها المجنن ، ومنها القاتل
ومنها الموجب للغشى وانما تقوى هذه الآثار فيمن له أصل الذوق :
وأما العاقل عن خاصية الذوق فانه يشارك في سماع الصوت وتضعف فيه
هذه الآثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغشى ولو اجتمع العقلاء
كلهم من أرباب الذوق على تهييمه معنى الذوق لم يقدروا عليه - فهذا
مثال في أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فقس به الذوق الخاص النبوي
واجتهد في أن تصير من أهل الذوق بشيء من تلك الروح فان للاولياء
منه حظا وافرا فان لم تقدر فاجتهد أن تصير بالاقيسة التي ذكرناها
والتشبهيات التي رمزنا اليها من أهل العلم بها فان لم تقدر فلا أقل من أن
تكون من أهل الايمان بها (ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا
العلم درجات) والعلم فوق الايمان ، والذوق فوق العلم ، والذوق وجدان
والعلم قياس ، والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن باهل الوجدان
أو بأهل العرفان : واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم انها يجملتها
أنوار اذ بها تظهر أصناف الموجودات والحسي والخيالي منها وان كان
يشارك البهائم في جنسها لكن الذي للانسان منها نمط آخر أشرف وأعلى
وخلقا في الانسان لغرض آخر أجلى وأسنى : وأما الحيوانات فلم يخلقا
لها الا ليكونا آلتها في طلب غذائها وتسخيرها للادميين . وانما خلقا
للأدمى ليكونا شبكة له يقتنص بهما في جهة العالم الاسفل مبادئ
المعارف الدينية الشريفة إذ الانسان إذا أدرك بالحس شخصا معينا اقتبس
من عقله معنى عاما مطلقا كما ذكرنا في مثال عبدالرحمن بن عوف فاذا
عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى عرض الامثلة *

(بيان أمثلة هذه الآيات) اعلم أن القول في موازنة هذه الارواح
الخمس للمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت يمكن تطويله
لكني أوجز واقتصر على التنبيه على طريقه فأقول - أما الروح الحاس

فإذا نظرت إلى خاصيته وجدت أنواره خارجة من ثقب عدة كالعينين
 والاذنين والمنخرين وغيرها فوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة
 وأما الروح الخيالي فتجد له خواص ثلاثة (احداها) أنه من طينة
 العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات
 محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب أو من بعد
 ومن شأن الكثيف الموصوف بأوصاف الاجسام أن يحجب عن الانوار
 العقلية المحضة التي تنزهه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد
 (الثانية) أن هذا الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهذب وضبط صار
 موازياً للمعاني العقلية محاذياً لها وغير حائل عن اشراق نور منها
 (الثالثة) أن الخيال في بداية أمره محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف
 العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط
 اذ تجمع المثالات الخيالية للمعارف العقلية - وهذه الخواص الثلاثة
 لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة إلى الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها
 في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورقق حتى صار لا يحجب
 نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة
 والحركات العنيفة فهي أولى مثال به - وأما الثالث وهو الروح العقلي
 الذي فيه ادراك المعاني الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيلها
 وقد عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجاً منيراً
 وأما الرابع وهو الروح الفكري فن خاصيته أن يبتدىء من أصل
 واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين وهكذا إلى أن تكثر
 الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة إلى نتائج تعود فتصير
 بذوراً لأمثالها إذ يمكن أيضاً تلقيح بعضها ببعض فيكون مثاله من
 هذا العالم الشجرة وإذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف المعارف وثباتها
 وبقائها فبالحرى أن لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح والمان وغيرها
 من جملة سائر الاشجار إلا بالزيتونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت

الذى هو مادة المصاييح ويختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق واذا كانت الشجرة التى تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا تنتهى ثمرتها إلى حد محدود أولى أن تسمى شجرة مباركة . واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة إلى الجهات والقرب والبعد فأولى أن لا تكون شرقية ولا غربية - وأما الخامس وهو الروح القدس النبوى والمنسوب إلى الاولياء إذا كان فى غاية الاشراق والصفاء وكانت الروح المفكرة منقسمة إلى ما يحتاج إلى تعليم وتنبية ومدد من خارج حتى يستمر فى أنواع المعارف وبعضها يكون فى شدة الصفاء كأنه تنبه من نفسه بغير مدد من خارج فبالحرى ان يعبر عن الصافي القوى الاستعداد بأنه يكاد زيتة يضى ولو لم تمسه نار اذ فى الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغنى عن مدد الانبياء : وفى الانبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم : وإذا كانت هذه الأنوار مرتبة بعضها على بعض فالحسى هو الاول وهو كالتوطئة والتهيد للخىالى اذ لا يتصور الخىالى إلا موضوعا بعده والفكرى والعقلى يكونان بعدهما فبالحرى أن تكون الزجاجة كالحل للمصباح والمشكاة كالحل للزجاجة فيكون المصباح فى زجاجة والزجاجة فى مشكاة : واذا كانت هذه كلها أنوارا بعضها فوق بعض فبالحرى أن تكون نوراً على نور فافهم والله الموفق (خاتمة) هذا مثال انما يصلح لقلوب المؤمنين أو لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدي إلى باطل كما لا تهدي إلى حق : وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادراكاتهم وتعاونت على الضلال فى حقهم : فثألم كرجل فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض ، والبحر اللجى هو الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات

المعمية ، والموج الاول موج الشهوات الباعثة الى الصفات البهيمية
والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى انهم يأكلون
ويشبعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فبالحرى أن يكون هذا
الموج مظلماً لان حب الشيء يعنى ويصم : والموج الثانى موج الصفات
السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة
والتفاخر والتسكاثر وبالحرى أن يكون مظلماً لان الغضب غول العقل
وبالحرى أن يكون هو الموج الاعلى لان الغضب فى الاكثر مستول
على الشهوات حتى إذا ما ج اذ هل عن الشهوات وأغفل عن اللذات فان
الشهوة لا تقاوم الغضب الهاج أصلاً - وأما السحاب فهو الاعتقادات
الخبیثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التى صارت حجبا بين
الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن
والعقل فان خاصية السحاب أن يحجب اشراق نور الشمس : واذا كانت
هذه كلها مظلمة فبالحرى أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض - واذا
كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلا عن
البعيدة فلذلك تحجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي صلى الله
عليه وسلم مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل فبالحرى أن يعبر
عنه بأنه اذا أخرج يده لم يكديراها : واذا كان منبع الانوار كلها
من النور الاول الحق كما سبق فبالحرى أن يعتقد كل موحد أن من لم
يجعل الله له نوراً فاله من نور ، ويكفيك هذا القدر من أسرار هذه
الاية فاقنع *

﴿ الفصل الثالث ﴾

فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله سبعين حجبا من نور
وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره)
فى بعض الروايات سبعائة وفى بعضها سبعين الف . فاقول إن الله
تعالى متجل فى ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة إلى محبوب

لاجمالة وأن المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام : منهم من يحتجب بمجرد
 الظلمة : ومنهم من يحتجب بمجرد النور المحض : ومنهم من يحتجب
 بنور مقرون بظلمة : وأصناف هذه الاقسام كثيرة تتحقق كثرتها ويمكنني
 أن أتكلف حصرها لكنني لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر إذ
 لا يدري أهو المراد في الحديث أم لا — أما الحصر إلى سبعمائة أو
 سبعين الفا فذلك لا تستقل به إلا القوة النبوية مع أن ظاهر ظني أن
 هذه الاعداد مذكورة لا للتحديد وقد تجرى العادة بذكر أعداد ولا
 يراد بها الحصر بل التكاثر والله أعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع
 وإنما الذي يمكنني الآن أن أعرفك هذه الاقسام وبعض أصناف كل
 قسم فأقول : (القسم الاول) هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملاحدة
 الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة
 الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة أصلا وهم أصناف :
 صنف تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الطبع والطبع صفة
 مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة إذ ليس لها معرفة وادراك
 ولا خبرة لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر
 الظاهر أيضا (الصنف الثاني) هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب
 السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكانت حجابهم أنفسهم المركوزة
 وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس — ولذلك قال
 تعالى (افرايت من اتخذ إلهه هواه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 « الهوى أبغض اله عبد الى الله » وهؤلاء ينقسمون فرقا : ففرقة
 زعمت أن غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الأوطار ونيل الشهوات
 وادراك اللذات البهيمية من منسكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء
 عبید اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون أن نيلها غاية السعادة رضوا
 لاقتسامهم بأن يكونوا بمنزلة البهائم بل كيلا ينظر الناس اليهم بعين
 الحقارة وهؤلاء الاصناف لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض

الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع
 التنبية على الاجناس : ويدخل في جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم
 لا اله الا الله ولكن ربما حمله على ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين
 أو تجمل بهم أو استمداد من ما لهم أو لاجل التعصب لنصرة مذهب
 الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم
 من الظلمات إلى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى
 الظلمات : فأما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءت سيئاته وسرته حسناته
 فهو خارج عن محض الظلمة وإن كان كثير المعصية *

(القسم الثاني) طائفة حججوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف
 صنف منشأ ظلمتهم من الحس : وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال :
 وصنف منشأ ظلمتهم من مقاييس عقلية فاسدة * الصنف الاول
 المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة
 الالتفات إلى نفسه وعن التوله والتشوق إلى معرفة ربه وأول درجاتهم
 عبدة الاوثان وآخرم الثنوية وبينهما درجات . (الطائفة الأولى)
 عبدة الاوثان علموا في الجملة أن لهم ربيلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة
 واعتقدوا أن ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل نفيس ولكن
 حجبتهم ظلمة الحس عن أن يتجاوزوا المحسوس فآخذوا من أنفس
 الجواهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصا مصورة بأحسن الصور
 واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله
 وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدعهم عن ذلك النور
 ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة إلى العالم الروحاني كما سبق . (الطائفة
 الثانية) جماعة من أقاصى الترك ليس لهم ملة ولا شريعة يعتقدون أن
 لهم ربا وأنه أجمل الاشياء واذا رأوا إنسانا في غاية الجمال أو شجراً
 أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا إنه ربنا وهؤلاء محجوبون
 بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في ملاحظه النور من عبدة

الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا يخصصونه
 بشخص دون شخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم
 وبأيديهم . (الطائفة الثالثة) قالوا ينبغي أن يكون ربنا نورانياً في
 ذاته بهيما في صورته ذا سلطان في نفسه مهيباً في حضرته لا يطاق القرب
 منه ولكن ينبغي أن يكون محسوساً اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم
 ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها رباً فهؤلاء محجوبون
 بنور السلطنة والبهاء ، وكل ذلك من أنوار الله تعالى (الطائفة الرابعة)
 زعموا أن النار نستولى نحن عليها بالاشعال والاطفاء فهي تحت
 تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بتلك الصفة أعنى السلطنة والبهاء
 ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفاً بالعلو والارتقاع
 ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واطافة التأثيرات اليها : فمنهم من
 عبد الشعري : ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك من الكواكب
 بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التأثيرات فهؤلاء محجوبون
 بنور العلو والاشراف والاستيلاء وهي من أنوار الله تعالى . (الطائفة
 الخامسة) ساعدت هؤلاء في المأخذ ولكن قالت لا ينبغي أن يكون
 ربنا موسوماً بالصغر والكبر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي
 أن يكون أكبرها فعبدو الشمس إذ قالوا هي أكبر . فهؤلاء محجوبون
 بنور الكبرياء مع بقية الأنوار مقروناً بظلمة الخواس . (الطائفة
 السادسة) ترقوا عن هؤلاء فقالوا النور كله لا تنفرد به الشمس بل
 لغيرها أيضاً أنوار ولا ينبغي أن يكون للرب شريك في نورانيته
 فعبدو النور المطلق الجامع لجميع الأنوار : وزعموا أنه رب العالمين
 والخيرات كلها منسوبة اليه : ثم رأوا في العالم شروراً فلم يستحسنوا
 اضاقتها إلى ربهم تزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة
 وأحالوا العالم إلى النور والظلمة وربما سموها (يزدان واهر من (١)

(١) يزدان - واهر من كلمتان فارسيتان - الأولى معناها الله والثانية الشيطان

وهم الثنوية فيكيفيك هذا القدر تنبئها على هذا الصنف فهم أكثر من ذلك *

(الصنف الثاني) المحجوبون ببعض الانوار مقرونًا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات امرأً لكنهم لم يمكنهم بمجازة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على العرش واخسهم رتبة المجسمه ثم اصناف الكرامية بأجمعهم : ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير ولكن ارفعهم درجة من نفي الجسمية وجميع عوارضها إلا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذي لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجوداً إذ لم يكن متخيلاً ولم يدركوا أن اول درجات المعقولات تجاوز النسبة إلى الجهات والحيز *

(الصنف الثالث) المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقاييسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميماً بصيراً عالماً قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم، وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا، وربما ترقى بعضهم فقال بل هو كحديث نفسنا ولا حرف ولا صوت - وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وإن أنكروها باللفظ اذ لم يدركوا أصلاً معاني هذه الاطلاقات في حق الله تعالى ولذلك قالوا في إرادته انها حادثة مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها - وهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقاييسات العقلية الفاسدة. فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثاني الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة (القسم الثالث) هم المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف ولا يمكن احصاؤهم فأشير الى ثلاثة أصناف منهم . (الصنف الاول) عرفوا معنى الصفات تحقيقاً وأدركوا أن اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات.

وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى في جواب قول فرعون
وما رب العالمين فقالوا إن الرب المقدس عن معاني هذه الصفات محرك
السموات ومدبرها (الصف الثاني) ترقوا عن هؤلاء من حيث
ظهر لهم أن في السموات كثرة وأن محرك كل سماء خاصة موجود آخر
يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب
في الانوار المحسوسة ثم لاح لهم أن هذه السموات في ضمن فلك آخر
يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم
الاقصى المحتوى على الافلاك كلها إذ الكثرة منفية عنه (الصف الثالث)
ترقوا عن هؤلاء وقالوا إن تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي أن
يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده يسمى
ملكاً نسبتته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار المحسوسة
فزعموا أن الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى
وجد محركا للسكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة: ثم في تفهيم ذلك
الامر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب
فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما الواصلون صنف
رابع تجلي لهم أيضا أن هذا المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية
المحضة والسكال البالغ لسر ليس يحتمل هذا الكتاب كشفه وأن نسبة
هذا المطاع الى الوجود الحق نسبة الشمس الى النور المحض أو نسبة
الجر الى جوهر النار الصفر فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن
الذي أمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر
الناظرين وبصيرتهم إذ وجدوه منزهاً ومقدساً عن جميع ما وصفناه من
قبل * ثم هؤلاء اتقسموا: فمنهم من احترق منه جميع ما أدركه بصره
وانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته
في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية فأنعمت فيه المبصرات
دون المبصر وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات

وجهه الاعلى وغشيمهم سلطان الجلال وانعمقوا وتلاشوا في ذاتهم ، ولم
 يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لفنائهم عن أنفسهم ، ولم يبق إلا الواحد الحق
 وصار معنى قوله (كل شئ هالك إلا وجهه) لهم ذوقا وحالا ، وقد
 أشرنا الى ذلك في الفصل الاول و ذكرنا انهم كيف أطلقوا الاتحاد وكيف
 ظنوه فهذه نهاية الواصلين : ومنهم من لم يتدرج في الترقى والعروج عن
 التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا من أول وهلة الى
 معرفة القدس وتزيه الربوبية عن كل ما يجب تزييه عنه فغلب عليهم أولا
 ما غلب على الآخرين آخرأ وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات
 وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسي أو بصيرة عقلية ، ويشبه أن
 يكون الاول طريق الخليل ، والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه
 عليهما والله أعلم بأسرار أقدامهما وانوار مقامهما - فهذه إشارة الى أصناف
 المحجوبين ولا يبعد أن يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتبع حجب
 السالكين سبعين ألفاً ولكن اذا فتشت لا تجد واحداً منهم خارجاً عن
 الاقسام التي ذكرناها فانهم إما يحتجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس
 او بالخيال وبمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق - فهذا ما
 حضرني في جواب هذه الاسئلة مع أن السؤال صادفني ،
 والفكر منقسم ، والخطاير متشعب ، والهلم الى غير هذا الفن
 منصرف ، ومقترحى عليه أن تسأل لي العفو عما طغى
 به القلم أو زلت به القدم . فان خوض غمرة الاسرار
 الالهية خطير * واستكشاف الانوار العلوية من
 وراء الحجب غير يسير * والحمد لله رب
 العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين *

* تمت مشكاة الانوار - وتليها رسالة الطير *

✽ الرسالة الثامنة ✽

رسالة الطير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اجتمعت أصناف الطيور على اختلاف أنواعها وتباين طباعها وزعمت أنه لا بد لها من ملك: واتفقوا أنه لا يصلح لهذا الشأن إلا العنقاء وقد وجدوا الخبر عن استيطانها في موطن الغرب وتقرر لها في بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمة الطلب فصمموا العزم على النهوض اليها ، والاستئصال بظلمها ، والمنول بفنائها ، والاستسعاد بخدمتها فتناشدوا وقالوا ✽

قوموا إلى الدار من ليلى نحيبها ✽ نعم ونسألهم عن بعض أهلها
وإذا الأشواق السكامنة قد برزت من كين القلوب وزعمت بلسان الطلب ✽
بأي نواحي الأرض أبغى وصالكم ✽ وأنتم ملوك ما لمقصدكم نحو
وإذا هم بمنادى الغيب ينادى من وراء الحجب (ولا تلقوا بأيديكم
إلى التهلكة) لازموا أما كنكم ولا تفارقوا مساكنكم . فانكم إن فارقم
أوطانكم . ضاعتم أشجانكم . فدونكم والتعرض للبلاء والتحلل بالفناء ✽
إن السلامة من سعدى وجارتها ✽ أن لا تحمل على حال بواديهما
فلما سمعوا نداء التعذر من جناب الجبروت ما ازدادوا إلا شوقا
وقلقا وتحيراً وأرقا ، وقالوا من عند آخرهم ✽
ولو دواك كل طبيب أنس ✽ بغير كلام ليلى ما شفاكا

* وزعموا *

ان المحب الذي لا شئ يقنعه أو يستقر ومن يهوى به الدار
 ثم نادى لهم الحنين . ودب فيهم الجنون . فلم يتعلموا في الطلب
 اهتزازاً منهم الى بلوغ الأرب : فقيل لهم بين أيديكم المهامه الفيح
 والجبال الشاهقة والبحار المغرقة وأما كن القر * ومساكن الحر *
 فيوشك أن تعجزوا دون بلوغ الامنية فتخترمكم المنية . فالأحرى بكم
 مساكنة أوكار الاوطار قبل أن يستدرجكم الطمع واذا هم لا يصغون
 الى هذا القول * ولا يبالون - بل رحلوا وهم يقولون *
 فريد عن الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد
 فامتطى كل منهم مطية الهمة قد الجها بلجام الشوق وقومها بقوام
 العشق وهو يقول *

انظر الى ناقتي في ساحة الوادي شديدة بالسرى من تحت مباد
 اذا اشتكت من كلال البين أو عدها روح القدوم فتحيا عند ميعادي
 لها بوجهك نور تستضيء به وفي نوالك من أعقابها حادي
 فرحلوا من محجة الاختيار * فاستدرجتهم بحمد الاضطرار * فهلك من
 كان من بلاد الحر في بلاد البرد ، ومات من كان من بلاد البرد في بلاد
 الحر ، وتصرفت فيهم الصواعق ، وتحكمت عليهم العواصف حتى خلصت
 منهم شردمة قليلة الى جزيرة الملك . ونزلوا بفنائهم واستظلوا بجنابه ،
 والتسوا من يخبر عنهم الملك وهو في أمنع حصن من حمى عزه فأخبر
 بهم فتقدم الى بعض سكان الحضرة أن يسألهم ما الذي حملهم على
 الحضور . فقالوا حضرننا ليكون ملكنا . فقيل لهم أنعمتكم أنفسكم فنحن
 الملك شئتم أو أيتم . جئتم أو ذهبتم . لا حاجة بنا اليكم * فلما أحسوا
 بالاستغناء والتعذر أيسوا وخجلوا وخابت ظنونهم فتمعطوا . فلما شملتهم
 الحيرة ، وبهرتهم العزة . قالوا لا سبيل الى الرجوع فقد تحاذت القوى
 وأضعفنا الجوى فليتنا تركنا في هذه الجزيرة لنموت عن آخرنا ، وأنشأوا

يقولون هذه الايات *

أسكان رامة هل من قرى فقد دفع الليل ضيفا قنونا
 كفاه من الزاد أن تمهدوا له نظراً وكلاما وسيما
 هذا وقد شملهم الداء * وأشرفوا على الفناء * ولجأوا الى الداء *
 نمل نشاوى بكأس الغرام فكل غدا لآخيه رضيعا
 فلما عمهم اليأس ، وضافت بهم الانفاس تدرا كتمهم أنفاس الايناس
 وقيل لهم هيات فلا سبيل الى اليأس * فلا ييأس من روح الله إلا
 القوم الخاسرون * فان كان كمال الغنى يوجب التعزز والرد لجمال الكرم
 أوجب السماحة والقبول : فبعد أن عرفتم مقداركم في العجز عن معرفة
 قدرنا خقيق بنا اياؤكم فهو دار الكرم . ومنزل النعم . فانه يطلب
 المساكين الذين رحلوا عن مساكنة الحسين ولولاه لما قال سيد الكل
 وسابقهم (أحيني مسكينا) ومن استشعر عدم استحقاقه خقيق بالملك
 العنقاء أن يتخذة قرينا : فلما استأنسوا بعد ان استيأسوا * واتعشوا
 بعد أن تعسوا * ووثقوا بفيض الكرم واطمأنوا إلى درور النعم * سألوا
 عن رفقاءهم فقالوا ما الخبر عن أقوام قطعت بهم المهامه والاودية *
 أمطلول دماؤهم أم لهم دية . فقيل هيات هيات (ومن يخرج من
 بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدرك الموت فقد وقع أجره على
 الله) اجتنبتهم أيادي الاجتباء بعد أن أبادتهم سطوة الابتلاء (ولا
 تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بلا أحياء) قالوا فالذين غرقوا
 في لجج البحار * ولم يصلوا الى الدار * ولا إلى الديار بل التقتهم
 لهوات التيار * قيل هيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
 أمواتاً بل أحياء) فالذي جاء بكم وأماتهم أحياءم والذي وكل بكم
 داعية الشوق حتى استقلتم العناء والهلاك في أريحية الطلب دعاهم
 وحملهم وادناهم وقربهم فهم حجب العزة وأستار القدرة (في مقعد صدق
 عند مليك مقتدر) قالوا فهل لنا الى مشاهدتهم سبيل * قيل لا فانكم

في حجاب العزة وأستار البشرية، وأسر الاجل وقيده . فاذا قضيتم أوطاركم
وفارقتم أو كاركم . فعند ذلك تزاورتهم وتلاقيتم . قالوا والذين قعد بهم
اللؤم والعجز فلم يخرجوا قيل هيئات (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له
عدة ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم) ولو أردناهم لدعوناهم لكن
كرهناهم فطردناهم أنتم بانفسكم جئتم أم نحن دعوناكم : أنتم اشتقتم أم
نحن شوقناكم : نحن ألقناكم فحملناكم وحملناهم في البر والبحر : فلما
سمعوا ذلك واستأنسوا بكآل العناية وضمان الكفافية كل اهتزازهم
وتم وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين بدقائق التمكين
وفارقوا بدوام الطمأنينة امكان التلويح * ولتعلمن نبأه بعد حين *

﴿ فصل ﴾

أترى هل كان بين الراجع إلى تلك الجزيرة وبين المبتدئ من فرق
إنما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئا * أما من كان راجعا إلى عيشه
الاصلى (يأيتها النفس المطمئنة ارجعي) فرجع لسماح النداء كيف يقال
له لم جئت فيقول لم دعيت لا بل فيقول لم حملت الى تلك البلاد وهي
بلاد القرية * والجواب على قدر السؤال ، والسؤال على قدر التفقه
والهموم بقدر الهمم *

﴿ فصل ﴾

من يرتاع لمثل هذه النكت فليجدد العهد بطور الطيرية ، وأريحية
الروحانية * فكلام الطيور لا يفهمه إلا من هو من الطيور ، وتجديد
العهد بملازمة الوضوء ، ومراقبة أوقات الصلاة ، وخلوة ساعة للذكر فهو
تجديد العهد الحلو في غفلة لا بد من أحد الطريقين * فأذكر ونى أذكر كم *
أو نسوا الله فانسهم . فمن سلك سبيل الذكر أنا جليس من ذكرني ، ومن
سلك سبيل النسيان (ومن يعيش عن ذكر الرحمن فقيض له شيطانا فهو
له قرين) وابن آدم في كل نفس مصحح أحد هاتين النسبتين ولا بد
يتلوه يوم القيامة أحد السيامين - أما يعرف المجرمون بسياهم والصالحون

بسيامهم في وجوههم من أثر السجود * انقذك الله بالتوفيق * وهداك
الى التحقيق * وطوى لك الطريق * انه بذلك حقيق * والحمد لله رب
العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين آمين *

﴿ تمت رسالة الطير — وتليها الرسالة الوعظية ﴾

﴿ الرسالة التاسعة ﴾

الرسالة الوعظية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد بلغنى عن لسان من أثق به من سيرة الشيخ الامام الزاهد
حرس الله توفيقه وسمره في مهم دينه ما قوى رغبتى في مواخاته في الله
تعالى رجاء لما وعد الله به عباده المتحابين - وهذه الاخوة لا تستدعى
مشاهدة الاشخاص وقرب الابدان * وانما تستدعى قرب القلوب
وتعارف الارواح ، وهى جنود مجنده فاذا تعارفت ائتملت - وها أنا
عاقده معه عقد الاخوة في الله تعالى ومقترح عليه أن لا يخلينى عن
دعوات فى أوقات خلوته . وأن يسأل الله تعالى أن يرينى الحق حقاً .
ويرزقنى اتباعه ، وأن يرينى الباطل باطلا . ويرزقنى اجتنابه : ثم قرع
سمعى أنه التمس منى كلاما فى معرض النصح والوعظ . وقولا وجيزاً فيما
يجب على المكلف اعتقاده من قواعد العقائد *
أما الوعظ فلست أرى تسمى أهلاله لان الوعظ زكاة نصاب الاتعاظ .

ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة . وفاقد النور كيف يستنير به غيره
 و (متى يستقيم الظل والعود أعوج) وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى بن
 مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني
 وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم واعظين ناطق وصامت)
 فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ
 ومن لا يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ، ولقد وعظت بهما نفسى
 فصدقت وقيلت قولاً وعقلاً * وأبت وتمردت تحقيقاً وفعلاً . فقلت
 لنفسى أما أنت مصدقة بان القرآن هو الواعظ الناطق ، وأنه الناصح
 الصادق فانه كلام الله المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه : فقالت نعم . فقلت قال الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا
 وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس
 لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)
 فقد وعدك الله تعالى بالنار على ارادة الدنيا . وكل ما لا يصحبك بعد
 الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن ارادة الدنيا أو حبها ولو أن
 طبيبياً نصرانياً وعدك بالموت أو المرض على تناولك ألد الشهوات
 لتحاشيتها واتقيتها أ كان النصرانى عندك أصدق من الله تعالى فان كان
 ذلك فما أ كفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فان كان كذلك
 فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصررت على الميل إلى العاجلة
 واستمررت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد أخبر
 الناطق عن الصامت اذ قال تعالى (ان الموت الذى تمرون منه فانه
 ملائكتكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)
 ونات لها هي أنك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة
 آتيك وقاطع عليك كل ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت
 راغبة فيه وكل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال الله تعالى
 (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما

كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه: والحر الحكيم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها. واللائم يتمسك بها الى أن يخرج من الدنيا خائبا خاسراً متحسراً: فقالت صدقت فكان ذلك منها قولاً لا تحصيل وراءه إذ لم يجتهد قط في التزود للآخرة كاجتهادها في تدبير العاجل، ولم يجتهد قط في رضاء الله تعالى كاجتهادها في رضاها بل كاجتهادها طلب الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق، ولم تشر للاستعداد للآخرة كتشميرها في الصيف فانها لا تظمن في أوائل الشتاء ما لم تفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه من آلاته مع أن الموت ربما يختطفها، والشتاء لا يدركها، والآخرة على يقين لا يتصور أن يختطف منها. وقلت لها ألا تستعدين للصيف بقدر طولها وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر. قالت نعم. قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها. فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرخص في تركه إلا الأحمق: ثم استمرت على سجيتهما فوجدتني كما قال بعض الحكماء إن في الناس من يموت نصفه ولا يترجر نصفه الآخر، وما أراني الا منهم: ولما رأيتها متبادية في الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن. رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال عليه تفتيشي حتى وقفت على سببه وها أنا مؤنس وإياه بالخذر منه فهو الداء العضال. وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال. وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الطريق المستقيم. ولترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه مما يتعاطاه الله تعالى وهو مغرور فيه فضلاً عما يعلم أنه ليس لله تعالى فانكشف تحقيقاً ان من أصبح وهو يأمل أن يمسي أو أمسى وهو يأمل أن يصبح لم يخل من القنور والتسويق، ولم يقدر الا على سير ضعيف. فاوصيه ونفسي

بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « صل صلاة مودع »
 ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب . ولا ينتفع بوعظ إلابه : فمن
 غلب على قلبه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه قلبه في الصلاة
 وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة . ومن عجز عن ذلك فلا يزال في غفلة
 دائمة وغرور مستمر . وتسوية متتابع إلى أن يدركه الموت فتدركه
 حسرة الفوت ، وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه
 الرتبة فإني طالب لها ، وقاصر عنها ، وأوصيه أن لا يرضى من نفسه
 إلا بها ، وأن يحذر من مواقع الغرور . فاذا وعدت النفس بذلك طالبها
 بموثق غليظ من الله تعالى فإن خداع النفس لا يقف عليه إلا الأكياس .
 وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله لا إله إلا
 الله محمد رسول الله : ثم إذا صدق الرسول فينبغي أن يصدق في صفات
 الله تعالى فإنه حي قادر عالم متكلم مريد ليس كمثل شئ وهو السميع
 البصير : وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات . وأن الكلام والعلم
 وغيرها قديم أو حادث بل لو لم تحظر له هذه المسألة حتى مات مات مؤمنا
 وليس عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون بل كلما حصل في قلبه
 التصديق بالحق بمجرد الإيمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ، ولم
 يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك . وعلى هذا
 الاعتقاد المجمل استمرت الأعراب وعوام الخلق إلا من وقع في بلدة
 يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء
 والنزول وغيره فإن لم يأخذ ذلك قلبه وبقي مشغولا بعبادته وعمله فلا
 حرج عليه وإن أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف
 فيعتقد في القرآن القدم كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويعتقد
 أن الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة ، والكيفية فيه مجبولة .
 فيؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة
 والكيفية فإن لم ينفعه ذلك ، وغلب على قلبه الأشكال والشك فإن

أمكن إزالة شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام . وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا عندهم فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق الدليل بل الأولى أن يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فان الدليل لا يتم الا بدرك السؤال والجواب عنه : ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد أن ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه إذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله - ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام ، وانما زجروا عنه لضعفاء العوام *

وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الاشكال ومنع الكلام للعوام يجرى مجرى منع الصبيان من شاطئ نهر الدجلة خوفا من الغرق، ورخصة الاقوياء فيه تضاهى رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو أن كل ضعيف في عقله راض من الله تعالى في كمال عقله يظن بنفسه انه يقدر على إدراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فرمما يخوضون فيغرقون في بحر الجهالات حيث لا يشعرون : فالصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح الاعصار الابواحد منهم أو اثنين سلوك مسلك السلف في الايمان بالرسول والتصديق المجمل بكل ما نزله الله تعالى وأخبر به رسوله من غير بحث وتفتيش عن الادلة بل الاشتغال بالتقوى عليه شغل شاغل إذ قال صلى الله عليه وسلم حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتى احمرت وجنتاه (أهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمركم الله به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا تنبيه على المنهج الحق ، واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب (قواعد العقائد) فيطلب منه والسلام *

﴿ تمت الرسالة الوعظية - ويلها القسطاس المستقيم ﴾

﴿ الرسالة العاشرة ﴾

القِسْطُ الْمُسْتَقِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احمد الله تعالى أولا * وأصلى على نبيه المصطفى ثانيا * وأقول :
 اخواني هل فيكم من يعيرني سمعه لأحدثه بشي من اسماي * فقد
 استقبلني في بعض أسفاري . رفيق من رفقاء أهل التعليم وغافضني (١)
 بالسؤال والجدال . مغافصة من يتحدى (٢) باليد البيضاء . والحجة
 الغراء . وقال لي أراك تدعي كمال المعرفة . فبأى ميزان تزن حقيقة
 المعرفة . أميزان الرأى والقياس . وذلك في غاية التعارض والالتباس
 ولاجله نار الخلاف بين الناس . أم بميزان التعليم فيلزمك اتباع الامام
 المعصوم المعلم وما أراك تحرص على طلبه . فقلت أما ميزان الرأى
 والقياس . فحاش لله أن اعتصم به فانه ميزان الشيطان . ومن زعم من
 أصحابي أن ذلك ميزان المعرفة فأسأل الله تعالى أن يكفيني شره عن
 الدين فانه للدين صديق جاهل . وهو شر من عدو عاقل . ولو رزق
 سعادة مذهب أهل التعليم . لتعلم أولا الجدال من القرآن الكريم .
 حيث قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

(١) غافضني فاجأني وأخذني على غرة والفرقة الحدمة والطمع بالباطل

(٢) من يتحدى ببرز ويتمد وبتنازع النابية.

وجادلهم بالتى هى أحسن) وعلم أن المدعو الى الله تعالى بالحكمة قوم
 وبالمجادلة قوم فان الحكمة إن غدى بها أهل الموعدة أضرت بهم كما
 تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وإن المجادلة ان استعملت مع
 أهل الحكمة اشأزوا منها . كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع
 بلبن الآدمى . وان من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق
 الاحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غدى البدوى بمخز البر وهو لم يألف
 إلا التمر أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر ، وليته كانت له أسوة حسنة
 كما تعلم من القرآن فى ابراهيم الخليل - صلوات الله عليه - حيث حاج
 خصمه فقال ربى الذى يحبى ويميت . فلما رأى أن ذلك لا يناسبه وليس
 حسنا عنده حين قال : أنا حى وأميت عدل إلى الاوفق لطبعه والا قرب
 إلى فهمه فقال إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
 فبهت الذى كفر . ولم يرتكب الخليل ظهر اللجاج فى تحقيق عجزه عن
 أحياء الموتى إذ علم أن ذلك يعسر عليه فهمه فانه ظن أن القتل اماتة
 من جهته وتحقيق ذلك لا يلائم قريحته (١) ولا يناسب حده فى
 البصيرة ودرجته ، ولم يكن من قصد الخليل إفناؤه بل احيائه ،
 والتغذية بالغذاء الموافق احياء . واللجاج بالارهاق إلى ما لا يوافق
 افناء . فهذه دقائق لا تدرك إلا بنورالتعليم المقتبس من اشراق عالم
 النبوة فلذلك حرموا التفطن له إذ حرموا من سر مذهب التعليم . فقال
 اذا استوعرت سبيلهم . واستوهنت دليلهم فيماذا تزن معرفتك . فقلت
 أذن بالقسطاس المستقيم ليظهر لى حقها وباطلها . ومستقيمها ومائلها .
 اتباعا لله تعالى وتعلما من القرآن المنزل على لسان نبيه الصادق حيث
 قال وزنوا بالقسطاس المستقيم . فقال : وما القسطاس المستقيم ؟ قلت :
 هى الموازين الخمس التى أنزلها الله فى كتابه وعلم انبياءه الوزن بها . فمن
 تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزن بميزان الله فقد اهتدى .

• (١) القرحة طبيعة الانسان التى جبل عليها والضمير راجع الى عمرود .

ومن ضل عنها الى الرأى والقياس فقد ضل وتردى . فقال : اين الموازين
في القرآن وهل هذا إلا افك وبهتان ؟ قلت ألم تسمع قوله تعالى في سورة
الرحمن (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) الى قوله : ووضع
الميزان ، أن لا تطغوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان ألم تسمع قوله في سورة الحديد (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
وازلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) أظن ان الميزان
المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة ؟ أتوهم ان
الميزان المقابل وضعه برفع السماء في قوله (والسماء رفعها ووضع الميزان)
هو الطيار والقبان . ما أبعد هذا الحسبان . وأعظم هذا البهتان . فأتق الله
ولا تتعسف في التأويل . واعلم يقيناً أن هذا الميزان هو ميزان معرفة
الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لتعلم
كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا هم من ملائكته . فان الله تعالى
هو المعلم الاول والثاني جبريل ، والثالث الرسول صلى الله عليه وسلم ،
والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق الى المعرفة به الا
بهم . فقال فبم عرفت أن ذلك الميزان صادق أم كاذب ؟ أبعقلك ونظرك
فالعقول متعارضة . أم بالامام المعصوم الصادق القائم بالحق في العالم ؟
وهو مذهبي الذي أدعو اليه . فقلت : ذلك أيضاً اعرفه بالتعليم ولكن
من امام الأئمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فاني
وان كنت لا اراه فاني اسمع تعليمه الذي تواتر الى تواتراً لا اشك فيه
وانما تعليمه القرآن . وبيان صدق موازين القرآن معلوم من نفس
القرآن . فقال : هات برهانك . وأخرج من القرآن ميزانك . وأظهر
لي كيف فهمت من نفس القرآن صدقه وصحته . فقلت له : حدثني انت
بم تعرف صحة ميزان الذهب والفضة وصدقه ومعرفة ذلك فرض دينك
اذا كان عليك دين حتى تقضيه تاماً من غير نقصان . او كان لك على
غيرك دين حتى تاخذه عدلاً من غير رجحان . فاذا دخلت سوقاً من

اسواق المسلمين . واخذت ميزاناً من الموازين وقضيت او استقضيت
 به الدين . فبم تعرف انك لم تظلم بنقصان في الاداء او برجحان في
 الاستيفاء . فقال : أحسن الظن بالمسلمين . وأقول إنهم لا يشتغلون
 بالمعاملة الا بعد تعديل الموازين فان عرض لي شك في بعض الموازين .
 اخذته ورفعته ونظرت الى كفتي الميزان ولسانه . فاذا استوى انتصاب
 اللسان من غير ميل الى احد الجانبين . ورأيت مع ذلك تقابل الكفتين
 عرفت أنه ميزان صحيح صادق . قلت : هب أن اللسان قد انتصب على
 الاستواء . وان الكفتين متحاذيتان على السواء فمن اين تعلم أن الميزان
 صادق ؟ فقال : اعلم ذلك علماً ضرورياً يحصل لي من مقدمتين . احدهما
 تجريبية . والاخرى حسية - أما التجريبية فهي اني علمت بالتجربة أن
 الثقيل يهوى إلى أسفل ، وان الاثقل أشد هويًا . فاقول : لو كانت احدى
 الكفتين أثقل لكانت أشد هويًا . فهذه مقدمة كلية تجريبية حاصله
 عندي ضرورة . والمقدمة الثانية هي أن هذا الميزان بعينه رأيت لم تهو
 إحدى كفتيه بل حاذت الأخرى محاذة مساواة . وهذه مقدمة حسية
 شاهدتها بالبصر فلا اشك لا في المقدمة الحسية ولا في الاولى وهي
 مقدمة التجربة . فيلزم في قلبي من هاتين المقدمتين نتيجة ضرورية .
 وهي العلم باستواء الميزان . اذ أقول : لو كانت احدهما أثقل لكانت اهوى
 ومحسوس انها ليست باهوى . فمعلوم أنها ليست باثقل . قلت له : فهل
 هذا الا رأى وقياس عقلي . قال : هيئات فان هذا علم ضرورى لزم من
 مقدمات يقينية حصل اليقين بها من التجربة والحس فكيف يكون هذا
 رأياً وقياساً . والرأى والقياس حدس وتخمين . لا يفيدان برد اليقين .
 وانا احس في هذا برد اليقين . قلت : فان عرفت صحة الميزان . بهذا البرهان
 فبم عرفت الصنجة (١) والمتقال . فلعله اخف أو أثقل من المتقال الصحيح
 فقال : ان شككت في هذا أخذت عيارة من صنجة معلومة عندي

(١) صنجة الميزان عياره . أو مبالره وهي فارسية معربة . بالاعمال مع بالقاء

فأقبلها بها فإذا ساوى علمت أن الذهب إذا ساواه كان مساوياً لصنعتي
فان المساوى للمساوى مساو. قلت: وهل تعلم واضع الميزان في الاصل
من هو، وهل هو الواضع الاول؟ والذي وضعه منه يعلم هذا الوزن
قال: لا. ومن اين احتاج اليه وقد عرفت صحة الميزان بالمشاهدة
والعيان. بل آكل البقل من حيث يؤتى به ولا أسأل عن المبقلة، فان
واضع الميزان لا يراد لعينه. بل يراد ليعرف منه صحة الميزان وكيفية
الوزن به. وأنا قد عرفته. كما حكته. وعرفته فاستغنيت عن مراجعة
صاحب الميزان عند كل وزن. فان ذلك يطول ولا يظفر به في كل حين
مع أنى في غنية عنه. قلت: فان اتيتك بميزان في المعرفة مثل هذا
وأوضح منه وأزيد عليه بأنى أعرف واضعه ومعلمه ومستعمله فيكون
واضعه هو الله تعالى ومعلمه جبريل ومستعمله الخليل ومجد وسائر
النبيين عليهم السلام أجمعين. وقد شهد الله تعالى لهم في ذلك بالصدق
فهل تقبل ذلك منى وهل تصدق به؟ فقال إى والله. وكيف لا أصدق
به ان كان في الظهور مثل ما حكته لى. فقلت: الا ان تؤسم فيك
شائل الكياسة. وقد صدق رجائى في تقويمك وتفهمك حقيقة مذهبك
في تعليمك فأكشف لك عن الموازين الخمس المنزلة في القرآن لتستغنى به
عن كل امام وتجاوز حد العميان فيكون إمامك المصطفى صلى الله عليه
وسلم. وقائدك القرآن. ومعيارك المشاهدة والعيان. فاعلم أن موازين
القرآن في الاصل ثلاثة: ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان
التعاند. لكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إلى الاكبر،
والاوسط، والاصغر، فيصير الجميع خمسة *

﴿ القول في الميزان الاكبر من موازين التعادل ﴾

ثم قال لى هذا الرفيق الكيس من رفقاء أهل التعليم إشرح لى
الميزان الاكبر من موازين التعادل أولاً وإشرح لى معنى هذه
الالقاب وهى التعادل والتلازم والتعاند، والاكبر والاوسط والاصغر

فإنها القاب عجيبه غريبة . ولا اشك في أن تحتها معاني دقيقة . فقلت :
 أما معنى هذه الالقاب فلا تفهمها الا بعد شرحها وفهم معانيها لتدرك
 بعد ذلك مناسبة القابها لحقائقها . وأعلمك اولا أن هذا الميزان يشبه
 الميزان الذي حكيته في المعنى دون الصورة فانه ميزان روحاني فلا
 يساوي الجسماني . ومن اين يلزم أن يساويه والموازن الجسمانية أيضاً
 تختلف . فان القلسطون (١) ميزان والطيار ميزان بل الاصطراب ميزان
 لمقادير حركات الفلك والمسطرة ميزان لمقادير الابعاد في الخطوط
 والشاقول ميزان لتحقيق الاستقامة والانحناء . وهي وان اختلفت
 صورها مشتركة في انها تعرف بها الزيادة والنقصان . بل العروض ميزان
 الشعر يعرف به اوزان الشعر ليميز منحنفه عن مستقيمه وهو أشد
 روحانية من الموازين الجسمة ولكنه غير متمجرد عن علائق الاجسام
 لانه ميزان الاصوات ولا ينفصل الصوت عن الجسم : وأشد الموازين
 روحانية ميزان يوم القيامة اذ به توزن اعمال العباد وعقائدهم ومعارفهم :
 والمعرفة والايمان لا تعلق لهما بالاجسام ولذلك كان ميزانها روحانياً
 صرفاً - وكذلك ميزان القرآن للمعرفة روحاني لسكن يرتبط تعريفه في
 عالم الشهادة بغلاف لذلك الغلاف التصاق بالاجسام وان لم يكن جسماً فان
 تعريف الغير في هذا العالم لا يمكن الا مشافهة وذلك بالاصوات . والصوت
 جسماني أو بالمسكاتبه وهي الرقوم وهي أيضاً نقش في وجه القرطاس وهو
 جسم . هذا حكم غلافه الذي يعرض فيه وانما هو في نفسه روحاني محض
 لاعلاقة له مع الاجسام اذ توزن به معرفة الله الخارجة عن عالم الاجسام
 المقدس عن أن يناسب الجهات والاقطار فضلا عن نفس الاجسام ولكنه
 مع ذلك ذو صمود وكفتين ، والكفتان متعلقتان بالعمود فالعمود
 مشترك في الكفتين لارتباط كل واحدة منهما به - هذا في ميزان التعادل

(١) القلسطون والطيار مما ميزانان من انواع الموازين الجسمانية واسمها
 اصطلاح في عصر المؤلف وبعضهم يسمي القلسطون بالقلبان .

وأما ميزان التلازم فهو بالقبان أشبه لانه ذو كفة واحدة ولكن يقابلها من الجانب الآخر الرمانة وبها يظهر التفاوت والتقدير . فقال : هذه طائفة عظيمة فاين المعنى فاني أسمع جمعجة ولا ارى طحناً . فقلت له اصبر (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علماً) واعلم أن العجلة من الشيطان والتأني من الله . واعلم أن الميزان الاكبر هو ميزان الخليل صلوات الله عليه وسلامه الذي استعمله مع نمرود فنه تعلمنا هذا الميزان لكن بواسطة القرآن وذلك أن نمرود ادعى الالهية وكانت الالهية عنده بالاتفاق عبارة عن القادر على كل شيء . فقال ابراهيم الاله الهى لأنه الذى يحيى ويميت وهو القادر عليه وانت لا تقدر عليه . فقال : انا احى واميت يعنى انه يحيى النطفة بالوقوع ويميت بالقتل فعلم ابراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر عليه فهم بطلانه فمدل الى ما هو اوضح عنده . فقال (إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) وقد اثبت الله عليه فقال (وتلك حججتنا آتيناها ابراهيم على قومه) فعلمت من هذا أن الحججة والبرهان فى قول ابراهيم وميزانه . فنظرت فى كيفية وزنه كما نظرت انت فى ميزان الذهب والفضة فرأيت فى هذه الحججة اصلين قد ازدوجا فتولد منهما نتيجة هى المعرفة اذ القرآن مبناه على الحذف والايجاز . وكال صورة هذا الميزان أن تقول كل من يقدر على إطلاع الشمس فهو الاله . فهذا اصل . والهى هو القادر على الاطلاع وهذا اصل آخر . فلزم من مجموعهما أن الهى هو الاله دونك يا نمرود . فالنظر الآن هل يمكن أن يعترف بالاصلين معترف ثم يشك فى النتيجة ، أو هل يتصور أن يشك فى هذين الاصلين شاك ؟ فان قولنا الاله هو القادر على إطلاع الشمس لا يشك فيه لان الاله كان عندهم وعند كل احد عبارة عن القادر على كل شيء ، وإطلاع الشمس هو من جملة تلك الاشياء . وهذا أصل معلوم بالوضع والاتفاق . وقولنا القادر على الاطلاع هو الله تعالى دونك معلوم بالمشاهدة فان عجز نمرود

وعجز كل احد سوى من يحرك الشمس مشاهدا بالحس ونعني بالاله محرك الشمس ومطلعها : فيلز منامن معرفة الاصل الاول المعلوم بالوضع المتفق عليه : ومن الاصل الثانى المعلوم بالمشاهدة أن نمروود ليس هو القادر على تحريك الشمس . فنعلم بعد معرفة هذين الاصلين أن نمروود ليس باله وانما الاله هو الله تعالى . فراجع نفسك الآن هل ترى هذا أوضح من المقدمة التجريبية والحسية اللتين بنيت عليهما صحة ميزان الذهب والفضة فقال هذه المعرفة لازمة منه بالضرورة ولا يمكننى أن اشك في الاصلين ولا أن اشك في لزوم هذه النتيجة منهما ولكن هذا لا ينفعى الا في هذا الموضع وعلى الوجه الذى استعمله الخليل عليه الصلاة والسلام وذلك في نفي الهية نمروود واقرار الالهية لمن تفرد باطلاع الشمس ، فكيف اذن بها سائر المعارف التى تشكل على واحتاج الى تمييز الحق فيها عن الباطل فقلت : من وزن الذهب بميزان يمكنه ان يزن به الفضة وسائر الجواهر لان الموزون عرف مقداره لا لانه ذهب بل لانه ذو مقدار ولذلك هذا البرهان كشف لنا عن هذه المعرفة لالعينها بل لانها حقيقة من الحقائق ومعنى من المعانى فتأمل أنه لم لزم منه هذه النتيجة وناخذ روحه ونجرده عن هذا المثال الخاص حتى ننتفع به حيث أردنا وانما لزم هذا لان الحكم على الصفة حكم على الموصوف بالضرورة وبيانه أن يجاز هذه الحجة إن ربى مطلع والمطلع الاله فيلزم منه إن ربى اله فالمطلع صفة الرب وقد حكنا على المطلع الذى هو صفته بالالهية فلزم منه الحكم على ربى بالالهية وكذلك فى كل مقام حصلت لى معرفة بصفة الشئ وحصلت معرفة اخرى بثبوت حكم لتلك الصفة فيتولد منهما معرفة ثالثة بثبوت الحكم على الموصوف بالضرورة . فقال هذا يكاد دركه يدق على فهمى فان تشككت فيه فماذا اصنع حتى يزول الشك . قلت : خذ عياره من الصنجة المعروفة عندك كما فعلت فى ميزان الذهب والفضة . فقال : كيف آخذ عيارها واين الصنجة المعروفة فى

هذا الفن . قلت : الصنعة المعروفة هي العلوم (١) الاولية الضرورية
المستفادة إما من الحس أو التجربة أو غريزة العقل فانظر في الاوليات
هل تتصور أن يثبت حكم على صفة الا ويتمدى الى الموصوف فاذا مر
بين يدك مثلاً حيوان منتفخ البطن وهو بغل فقال قائل هذا حامل
فقلت له ألم تعلم أن البغل عقيم لا يلد فقال نعم أعلم هذا بالتجربة فقلت
له فهل تعلم أن هذا بغل فنظر فقال نعم قد عرفت ذلك بالحس والابصار
فقلت فالآن هل تعرف انه ليس بحامل فلا يمكنه أن يشك فيه بعد معرفة
الاصلين اللذين أحدهما تجريبي والاخر حسى بل يكون العلم بأنه ليس
بحامل علماً ضرورياً متولداً من بين العاملين السابقين كما تولد علمك في
الميزان من العلم التجريبي بأن الثقل هاو والعلم الحسى بأن احدى
الكفتين ليست هاوية بالاضافة الى الاخرى . فقال قد فهمت هذا فهماً
واضحاً ولكن لم يظهر لى أن سبب لزومه أن الحكم على الصفة حكم على
الموصوف . فقلت : تأمل فان قولك هذا بغل وصف والصفة هو البغل
وقولك كل بغل عقيم حكم على البغل الذى هو صفة بالعقم فزيم الحكم
بالعقم على الحيوان الموصوف بأنه بغل وكذلك اذا ظهر لك مثلاً ان كل
حيوان حساس ثم ظهر لك فى الدود أنه حيوان فلا يمكنك ان تشك فى
انه حساس . ومنهاجه أن تقول : كل دود حيوان وكل حيوان حساس
فكل دود حساس لان قولك كل دود حيوان وصف الدود بأنه حيوان
والحيوان صفته فاذا حكمت على الحيوان بأنه حساس أو جسم أو غيره
دخل فيه الدود لا محالة وهذا ضرورى لا يمكن الشك فيه . نعم شرط
هذا أن تكون الصفة مساوية للموصوف أو اعم منه حتى يكون الحكم
عليه يشمل الموصوف به بالضرورة وكذلك من سلم فى النظر الفقهي أن
كل نبيذ مسكر وكل مسكر حرام لم يمكنه أن يشك فى أن كل نبيذ
حرام لان المسكر وصف النبيذ فالحكم عليه بالتحريم يقتناول النبيذ اذ

(١) العلوم الاولية قصد بها اليقينيات المؤلفة للنفس .

يدخل فيه الموصوف لا محالة فكذلك في جميع أبواب النظريات . فقال :
 قد فهمت فهماً ضرورياً أن ايقاع الازدواج بين اصلين على هذا الوجه
 مولد لنتيجة ضرورية وان برهان التحليل صلوات الله عليه برهان صحيح
 وميزانه ميزان صادق وتعلمت حده وحقيقته وعرفت عياره من الصنجات
 المعروفة عندي ولكنني اشتغيت أن اعرف مثالا لاستعمال هذا الميزان
 في مظان الاشكال في العلوم فان هذه الامثلة واضحة بانفسها لا يحتاج فيها
 الى ميزان وبرهان . فقلت : هيئات فبعض هذه الامثلة ليست معلومة
 بانفسها بل هي متولدة من ازدواج الاصلين اذ لا يعرف كون هذا
 الحيوان مثلاً عقياً الا من عرف بالحس انه بغل وبالتجربة ان البغل
 لا يلد . وانما الواضح بنفسه هو الاول . فأما المتولد من اصلين فله أب
 وأم فلا يكون اولياً واضحاً بنفسه بل بغيره ولكن ذلك الغير اعنى
 الاصلين قد يكون واضحاً في بعض الاحوال وذلك بعد التجربة وبعد
 الابصار ، وكذلك كون التبيذ حراماً ليس واضحاً بنفسه بل يعرف
 باصلين (احدهما) انه مسكر وهذا يعلم بالتجربة (والثاني) أن كل مسكر
 حرام وهذا بالخبر الوارد عن الشارع صلى الله عليه وسلم . فهذا يعرفك
 كيفية الوزن بهذا الميزان وكيفية استعماله . وان اردت مثلاً اغمض
 من هذا فامثلة ذلك عندنا لا تنحصر ولا تنتهي بل بهذا الميزان عرفنا
 أكثر الغوامض فاقنع منه بمثال واحد :

فن الغوامض أن الانسان ليس حادثاً بنفسه اذ له مسبب وصابغ
 وكذلك العالم . فاذا راجعنا هذا الميزان عرفنا أن له صانعاً وان صانعه
 عالم . فانا نقول : كل جائز فله سبب ، واختصاص العالم أو الانسان بمقداره
 الذي اختص به جائز . فاذا يلزم منه أن له سبباً ولا يقدر على التشكك
 في هذه النتيجة من سلم الاصلين وعرفهما لكن إن شك في الاصلين
 فيستنتج ايضاً معرفتهما من اصلين آخرين واضحين الى أن ينتهي الى العلوم
 الإولية التي لا يمكن التشكيك فيها فان العلوم الخلفية الاولية هي اصول

العلوم الغامضة الجليلة وهي بذورها ولكن يستثمرها منها من يحسن
الاستثمار بالحراثة والاستنتاج بإيقاع الازدواج بينهما *
فان قلت : أناشاك في الاصلين جميعاً فلم قلت أن كل جائز فله سبب
ولم قلت أن اختصاص الانسان بمقدار مخصوص جائز وليس بواجب .
فاقول : أما قولي كل جائز له سبب فواضح اذا فهمت معنى الجائز لاني
اعني بالجائز ما يتردد بين قسمين متساويين فاذا تساوى شيئان لم يختص
احدهما بوجود وعدم من ذاته لان ما ثبت للشيء ثبت لمثله بالضرورة ،
وهذا اولي . وأما قولي اختصاص الانسان بهذا المقدار مثلاً جائز وليس
بواجب كقولي أن الخط الذي يكتبه الكاتب وله مقدار مخصوص جائز
اذ الخط من حيث انه خط لا يتعين له مقدار واحد بل يتصور أن يكون
اطول واقصر . فاخصاصه بمقدار عما هو اطول واقصر سببه الفاعل
لا محالة اذ نسبة المقادير الى قبول الخط لها متساوية ، وهذا ضروري
كذلك نسبة المقادير الى شكل الانسان واطرافه متساوية فتخصيصها
لا محالة بفاعل . ثم أترقى منه واقول فاعله عالم لان كل فعل مرتب محكم
فيستند الى علم فاعله وبنية الانسان بنية مرتبة محكمة فلا بد أن يستند
ترتيبها وتديرها الى علم فاعل بها . فهنا اصلان اذا عرفتهما لم تشك في
النتيجة . احدهما أن بنية الادمي بنية مرتبة محكمة هذا يعرف بالمشاهدة
من تناسب اعضاءه واستعداد كل واحد لمقصود خاص كاليد للبطش
والرجل للمشي . ومعرفة تشريح الاعضاء يورث علماً ضرورياً به . وأما
افتقار المرتب المنظوم الى علم فهو واضح ايضاً فلا يشك العاقل في أن
الخط المنظوم لا يصدر الا من عالم بالكتابة وان كان بواسطة القلم الذي
لا يعلم ، وان البناء الصالح لافادة مقاصد الاكتنان كالبيت والحمام
والطاحونة وغيرها لا يصدر الا من عالم بالبناء . فان امكن التشكك في
شيء من هذا فطريقه أن يترقى منه الى اوضح منه حتى يترقى الى الاوليات
وشرح ذلك ليس من غرضنا بل الغرض أن نبين أن ازدواج الاوليات

على الوجه الذى اوقعه الخليل عليه السلام ميزان صادق مفيد لمعرفة
حقيقية . ولا قائل بابطال هذا فانه ابطال لتعليم الله تعالى انبياءه
وابطال لما ائني الله عليه اذ قال ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على
قومه ﴾ والتعليم لا محالة حق إن لم يكن الرأى حقاً وفي ابطال هذا
ابطال الرأى والتعليم جميعاً ولا قائل به اصلاً :

﴿ القول فى الميزان الاوسط ﴾

قال : قد فهمت الميزان الاكبر وحده وعياره ومظنته وحقيقة
استعماله فاشرح لى الميزان الاوسط ماهو ومن أين حصل تعليمه ومن
وضعه ومن استعمله ؟ فقلت : الميزان الاوسط أيضاً للخليل عليه
السلام حيث قال (لا أحب الاقلين) وكال صورة هذا الميزان ان
القمر آفل والاله ليس باقل فالقمر ليس باله . ولكن القرآن على
الايجاز والاضمار مبناه لكن العلم بنفى الالهية عن القمر لا يصدر
ضرورياً الا بمعرفة هذين الاصلين وهو ان القمر آفل وان الاله ليس
باقل فاذا عرفت الاصلين صار العلم بنفى الالهية عن القمر ضرورياً .
فقال : انا لا أشك فى أن نفي الالهية عن القمر يتولد من هذين الاصلين
ان عرفنا جميعاً لكننى أعرف ان القمر آفل وهذا معلوم بالحس أما
الاله ليس باقل فلا أعلمه ضرورة ولا حساً . قلت : وليس غرضى من
حكاية هذا الميزان أن أعرفك أن القمر ليس باقل بل انى أعلمك أن
هذا الميزان صادق والمعرفة الحاصلة منه بهذا الطريق من الوزن
ضرورية وانما حصل العلم به فى حق الخليل عليه السلام اذ كان معلوماً
عنده أن الاله ليس باقل وان لم يكن ذلك العلم أولياً له بل مستنداً
من أصلين آخرين ينتجان العلم بان الاله ليس بمتغير وكل متغير حادث
والاقول هو التغير فبنى الوزن على المعلوم عنده فخذ أنت الميزان
واستعمله حيث يحصل لك العلم بالاصلين . قال : فهمت بالضرورة أن
هذا الميزان صادق وأن هذه المعرفة تلزم من الاصلين اذ صار معلومين

ولكن أريد أن تشرح حد هذا الميزان وحقيقته ثم تشرح لى عباره
ومن الصنجة المعروفة عندى ثم مثال استعماله فى مظان الغموض فان
نفى الالهية عن القمر كالواضح عندى . قلت : أما حده فهو أن كل
مثلين وصف أحدهما بوصف فسلب ذلك الوصف عن الآخر فهما
متباينان أى أحدهما يسلب ذلك الوصف عن الآخر ولا يوصف به
ولما كان حد الميزان الاكبران الحكم على الاعم حكم على الاخص ويندرج
فيه لا محالة فحد هذا ان الذى ينفى عنه ما يثبت لغيره مبين لذلك
الغير فالاله ينفى عنه الافول والقمر يثبت له الافول فهذا يوجب التباين
بين الاله والقمر وهو أن لا يكون القمر الهاً ولا الاله قرأً وقد علم الله
تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم الوزن بهذا الميزان فى مواضع كثيرة
من القرآن اقتداء بابيه الخليل صلوات الله عليهما فاكتف بالتنبيه على
موضعين | واطلب الباقي من آيات القرآن (أحدهما) قوله تعالى لنبيه
« قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » وذلك أنهم ادعوا
أنهم ابناء الله فعلمه الله تعالى كيفية اظهار خطابهم بالقسطاس المستقيم
فقال : قل فلم يعذبكم بذنوبكم . وكال صورة هذا الميزان ان البنين
لا يعذبون وانتم معذبون فاذا سبهم ابناء فهنا اصلان أما أن البنين
لا يعذبون فيعرف بالتجربة وأما أنتم معذبون فيعرف بالمشاهدة ويلزم
منهما ضرورة نفى البنوة (وثانيهما) قوله تعالى (قل يا أيها الذين
هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) وذلك أنهم ادعوا
الولاية وكان من المعلوم أن الولي يتمنى لقاء وليه وكان من المعلوم
أنهم لا يتمنون الموت الذى هو سبب اللقاء فلزم ضرورة أنهم ليسوا
أولياء الله . وكال صورة هذا الميزان أن يقال كل ولى يتمنى لقاء وليه
واليهودى ليس يتمنى لقاء الله فلزم منه انه ليس بولى لله . وحده أن
التنى يوصف به الولي وينفى عن اليهودى فيكون الولي واليهودى

متباينين لسلب أحدهما عن الآخر فلا يكون الولى يهودياً ولا اليهودى ولياً . وأما عياره من الصنعة المعلومة فما عندى انك تحتاج اليه مع وضوحه ولكن إن أردت استظهاراً فانظر انك اذا عرفت أن الحجر جماد ثم عرفت أن الانسان ليس بجماد كيف يلزمك منه أن تعرف أن الانسان ليس بحجر لان الجمادية تثبت للحجر وتنفي عن الانسان فلا جرم يكون الانسان مسلوباً عن الحجر والحجر مسلوباً عن الانسان فلا الانسان حجراً ولا الحجر انساناً - وأمامظة استعماله في مواضع الغموض فكثير وأحد شطرى المعرفة معرفة التقديس وهو ما يتقدس عنه الرب تعالى علواً كبيراً وجميع معارفه توزن بهذا الميزان اذ الخليل عليه السلام استعمل هذا الميزان في التقديس وعلمنا كيفية الوزن به إذ عرف بهذا الميزان نفى الجسمية عن الله تعالى . وكذلك تقول أن الاله ليس بجوهر متحيز لان الاله ليس بمعلول وكل متحيز فاخصاصه بجزئه الذى يختص به معلول فيلزم منه انه ليس بجوهر وتقول ليس بعرض لان العرض ليس بحى عالم والاله حى عالم فليس بعرض - وكذلك سائر أبواب التقديس تتولد معرفتها ايضاً من ازدواج اصلين على هذا الوجه (احدهما) أصل سالب مضمونه النفى (ثانيهما) أصل موجب مضمونه الاثبات وتتولد منهما معرفة النفى والتقديس *

﴿ القول فى الميزان الاصغر ﴾

قال : قد فهمت هذا ايضاً فهماً ضرورياً فاشرح لى الميزان الاصغر وحده وعياره ومظنة استعماله من الغوامض . قلت : الميزان الاصغر تعلمناه من الله تعالى حيث علمه محمدآ صلى الله عليه وسلم فى القرآن وذلك فى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) اذ قالوا (ما انزل الله على بشر من شىء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس) ووجه الوزن بهذا الميزان أن تقول قولهم بنفى انزال الوحى على البشر قول باطل الازدواج المنتج بين الاصلين (احدهما)

ان موسى عليه السلام بشر (والثاني) ان موسى انزل عليه الكتاب
 فيلزم منه بالضرورة قضية خاصة وهو ان بعض البشر انزل عليه
 الكتاب وتبطل به الدعوى العامة بانه لا ينزل كتاب على بشر أصلاً
 - أما الاصل الاول فهو قولنا موسى بشر فمعلوم بالحس - وأما الثاني
 وهو ان موسى منزل عليه الكتاب فكان معلوماً باعترافهم إذ كانوا
 يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى (يبدهونها ويخفون كثيراً)
 وإنما ذكر هذا في معرض المجادلة بالاحسن . ومن خاصية المجادلة أنه
 يكفي فيه أن يكون الاصلان مسلمين من الخصم مشهورين عنده وإن
 أمكن الشك فيه لغيره فان النتيجة تلزمه اذ كان هو معترفاً به وأكثر
 أدلة القرآن تجرى على هذا الوجه فان صادفت من تفسك إمكان الشك
 في بعض أصولها ومقدماتها فاعلم أن المقصود بها محاجة من لم يشك
 فيه - وأما أنت فالمقصود في حقلك أن تتعلم منه كيفية الوزن في سائر
 المواضع - وأما عبار هذا الميزان أن من يقول لا يتصور أن يمشى الحيوان
 بغير رجل فيعلم منك اذا قلت الحية حيوان والحية تمشى بغير رجل
 فيلزم منه أن بعض الحيوان يمشى بغير رجل وإنت قول من يقول
 لا يمشى الحيوان إلا برجل قول باطل منقوض - وأما موضع إستعماله
 من الغوامض فكثير فان بعض الناس مثلاً يقول كل كذب فهو قبيح
 لعينه فنقول من رأى نبياً من الانبياء أو ولياً من الاولياء قد اختفى
 من ظالم فسأله الظالم عن موضعه فأخفاه فقله هل هو كذب . قال :
 نعم قلنا فهل هو قبيح . قال : لا بل القبيح الصدق المنقضى إلى
 هلاكه فنقول له : أنظر إلى الميزان فانا نقول قوله في إخفاء محله
 كذب فهو أصل معلوم وهذا القول ليس بقبيح . وهو الاصل الثاني
 فيلزم منه أن كل كذب ليس بقبيح فتأمل الآن هل يتصور الشك
 في هذه النتيجة بعد الاعتراف بالاصلين وهل هذا أوضح مما ذكرته
 من المقدمة التجريبية والحسية بعد الاعتراف بالاصلين وهل هذا

أوضح مما ذكرته من المقدمة التجريبية والحسية في معرفة ميزان
التقديس - وأما حد هذا الميزان فهو أن كل وصفين اجتماعاً على شيء
واحد فبعض آحاد الوصفين لا بد وأن يوصف بالآخر بالضرورة
ولا يلزم أن يوصف بأنه كله لزوماً ضرورياً بل قد يكون في بعض
الاحوال وقد لا يكون فلا يوثق به ألا ترى أن الانسان يجتمع عليه
الوصف بأنه حيوان وأنه جسم فيلزم منه بالضرورة أن بعض الجسم
حيوان ولا يلزم منه أن كل جسم حيوان ولا يغرنك امكان وصف
كل حيوان بأنه جسم فإن وصف كل وصف بالآخر إذا لم يكن
ضرورياً في كل حال لم تكن المعرفة الحاصلة به ضرورية* ثم قال الرفيق قد
فهمت هذه الموازين الثلاثة ولكن لم خصصت الاول باسم الاكبر والثاني
بالاوسط والثالث بالاصغر . قلت : لان الاكبر هو الذي يتسع لأشياء
كثيرة، والاصغر خلافه، والاول بينهما والميزان الاول أوسع الموازين
إذ يمكن أن تستفاد منه المعرفة بالاثبات العام والاثبات الخاص والتنفى
العام والتنفى الخاص فقد أمكن أن يوزن به أربعة أجناس من المعارف
وأما الثاني فلا يمكن أن يوزن به إلا التنفى ولكن يوزن به التنفى العام
والخاص جميعاً - وأما الثالث فلا يوزن به إلا الخاص كما ذكرت لك إنه يلزم
منه أن بعض أحد الوصفين يوصف به الآخر لاجتماعهما على شيء واحد
وما لا يتسع إلا للحكم الواحد الجزئي فهو أصغر لا محالة . نعم وزن
الحكم العام به من موازين الشيطان وقد وزن به أهل التعليم بعض
معارفهم والقاه في أمنية الخليل صلوات الله عليه وسلامه في قوله : هذا
ربي هذا أكبر . وسأتلو عليك قصته بعد هذا ان شاء الله .

(القول في ميزان التلازم (١))

قال : فأشرح لي ميزان التلازم فقد فهمت الاقسام الثلاثة من موازين

(١) التلازم هو ان يلزم من وجود الشيء وجود شيء آخر وهذه قاعدة أعلىة

في باب التفاعل :

التعادل قلت : هذا الميزان مستفاد من قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة
 الا الله لفسدتا ومن قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذآ
 لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا). ومن قوله تعالى : (لو كان هؤلاء آلهة
 ماوردوها) وتحقيق صورة هذا الميزان أن تقول : لو كان للعالم الهان
 لفسد ، فهذا أصل ومعلوم انه لم يفسد ، وهذا أصل آخر . فيلزم عنهما
 نتيجة ضرورية وهى نفي أحد الالهين ولو كان مع ذى العرش آلهة
 لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا ، ومعلوم انهم لم يبتغوا فيلزم نفي آلهة
 سوى ذى العرش - وأما عيار هذا الميزان بالصنجة المعلومة قولك : ان
 كانت الشمس طالعة فالسكواكب خفية . وهذا يعلم بالتجربة ثم تقول
 ومعلوم أن الشمس طالعة وهذا يعلم بالحس فيلزم منه أن السكواكب
 خفية وتقول إن لم يأكل فلان فهو شعبان وهذا يعلم بالتجربة ثم تقول
 ومعلوم أنه أكل وهذا يعلم بالحس فيلزم من الاصل التجريبي والاصل
 الحسى بالضرورة انه غير شعبان : وأما موضع استعماله فى الغوامض
 فكثير حتى يقول الفقيه إن كان بيع الغائب صحيحاً فيلزم بتصريح
 الاثام ومعلوم أنه لا يلزم بتصريح الاثام فيلزم منه انه ليس بصحيح
 ويعلم الاصل الاول بالاستقراء الشرعى المقيد للظن وان لم يفد العلم ،
 والثانى بتسليم الخصم ومساعدته وتقول فى النظريات إن كان صنعة العالم
 وتركيب الآدمى مرتباً عجيباً محكماً فصانعه عالم وهذا فى العقل أولى
 ومعلوم أنه عجيب مرتب وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه أن صانعه عالم
 ثم تترقى . فنقول : ان كان صانعه عالماً فهو حى ومعلوم بالميزان الاول
 انه عالم فيلزم منه انه حى ثم نقول : إن كان حياً عالماً فهو قائم بنفسه
 وليس بعرض ومعلوم بالميزانين السابقين الاولين انه حى عالم فيلزم منه
 انه قائم بنفسه وكذلك تخرج من صفة تركيب الآدمى الى صفة صانعه
 وهو العلم ثم تخرج من العلم الى الحياة ثم منها الى الذات وهذا هو
 المراج الروحانى وهذه الموازين سلايم العروج الى السماء ثم الى خالق

السماء وهذه الاصول درجات السلايم - وأما المعراج الجسماني فلا تنفي به كل قوة بل يختص ذلك بقوة النبوة - وأما حد هذا الميزان فان كل ما هو لازم للشئ فهو تابع له في كل حال فنفي اللازم يوجب بالضرورة نفي الملزوم ووجود الملزوم يوجب بالضرورة وجود اللازم - أما نفي الملزوم ووجود اللازم فلا نتيجة لهما بل هما من موازين الشيطان وقد يزن به بعض أهل التعليم معرفته - أما ترى أن صحة الصلاة يلزمها لاحتمال كون المصلي متطهراً فلا جرم يصح أن تقول إن كانت صلاة زيد صحيحة فهو متطهر ومعلوم أنه غير متطهر وهو نفي اللازم فلم منه ان صلاته غير صحيحة وهو نفي الملزوم وكذلك إن قلت ومعلوم أن صلاته صحيحة وهذا وجود الملزوم فيلزم منه انه متطهر وهو وجود اللازم - أما إن قلت ومعلوم أنه متطهر فيلزم منه أن صلاته صحيحة فهذا خطأ لأنه ربما بطلت صلاته بعلّة اخرى فهذا وجود اللازم ولم يدل على وجود الملزوم وكذلك إن قلت ومعلوم أن صلاته ليست بصحيحة فهو اذا كان غير متطهر وهذا خطأ غير لازم لأنه يجوز أن يكون عدم صحة الصلاة لفقدان شرط آخر سوى الطهارة - فهذا نفي الملزوم ولم يدل على نفي اللازم *

﴿ القول في ميزان التعاند ﴾

ثم قال اشرح لي ميزان التعاند واذكر لي من القرآن موضعه وعيابه ومحل استعماله . قلت : أما موضعه من القرآن فقوله تعالى في تعليم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فانه لم يذكر قوله إنا أو اياكم في معرض التسوية والتشكيك بل فيه أضرار أصل آخر وهو لسنا على ضلال في قولنا إن الله يرزقكم من السماء والأرض فانه الذي يرزق من السماء بانزال الماء ومن الأرض بانبات النبات فاذا أتمم ضالون بانكار ذلك . وكما صورة هذا الميزان إنا أو اياكم لعلى ضلال مبين ،

وهذا أصل . ثم نقول : ومعلوم أنا لسنا في ضلال ، وهذا أصل آخر .
 فيلزم من إزدواجهما نتيجة ضرورية وهو أنكم في ضلال . وأما عياره
 من الصنجات المعروفة فهو إن من دخل داراً ليس فيها إلا بيتان ثم
 دخلنا أحدهما فلم نره فيه فنعلم علماً ضرورياً أنه في البيت الثاني . وهذا
 الإزدواج من أصلين أحدهما قوله إنه في أحد البيتين قطعاً والثاني أنه
 ليس في هذا البيت أصلاً فيلزم منهما أنه في البيت الثاني فإذا نعلم أنه في
 البيت الثاني فإذا نعلم كونه في البيت الثاني تارة بأن نراه فيه وتارة بأن
 نرى البيت الثاني خالياً عنه فان علمناه برؤيتنا إياه فيه كان علماً عيانياً
 وإن عرفناه بأن لم نره في البيت الثاني كان هذا علماً ميزانياً ويكون هذا
 العلم الميزاني قطعياً كالعيان . وأما حد هذا الميزان فهو أن كل ما انحصر
 في قسمين فيلزم من ثبوت أحدهما نفي الآخر ومن نفي أحدهما ثبوت
 الآخر ولكن بشرط أن تكون القسمة منحصرة لا منتشرة فالوزن
 بالقسمة المنتشرة وزن الشيطان وبه وزن بعض أهل التعليم كلامهم
 في مواضع كثيرة ذكرناها في القواصم وفي جواب مفصل الخلاف
 والكتاب المستظهرى وغيرهما من الكتب المستعملة . وأما موضع
 استعمال هذا من الغوامض فلا ينحصر ولعل أكثر النظريات تدور
 عليه فان من أنكر موجوداً قديماً فنقول له الموجودات إما ان تكون
 كلها حادثة او بعضها حادث وبعضها قديم وهذا حاصر لانه بين النفي
 والاثبات دائرة ثم نقول ومعلوم أن كلها ليست بحادثة فيلزم أن فيها قديماً
 فان قيل فلم قيل إن كلها ليست حادثة فنقول لان كلها لو كانت حادثة لكان
 حدوثها بانفسها من غير سبب فيبطل أن تكون كلها حادثة فثبت أن فيها
 موجوداً قديماً . ونظائر استعمال هذا الميزان لا تنحصر فقال قد فهمت
 بالحقيقة صدق هذه الموازين الخمس ولكن اشتبهى أن اعرف معنى القايبها
 ولم خصصت الاول بانه ميزان التعادل والثاني بالتلازم والثالث بالتعاند
 قلت : سميت الاول ميزان التعادل لان فيه اصليين متعادلين كأنهما

كفتان متحاذيتان، وسميت الثاني ميزان التلازم لان احدا الاصلين يشتمل
 على جزئين احدهما لازم والاخر ملزوم كقوله تعالى (لو كان فيهما
 آلهة الا الله لفسدتا) فان قوله لفسدتا لازم والملزوم قوله لو كان فيهما
 آلهة الا الله ولزمت النتيجة من نفي اللازم وسميت الثالث ميزان التعاند
 لانه رجع إلى حصر قسمين بين النفي والاثبات يلزم من ثبوت احدهما
 نفي الاخر ومن نفي احدهما ثبوت الاخر فبين القسمين تعاند وتضاد
 فقال : هذه الاسامي انت ابتدعتها وهذه الموازين انت اشردت
 باستخراجها أم سبقت اليها قلت : أما هذه الاسامي فاني ابتدعتها، وأما
 الموازين فانا استخراجتها من القرآن وما عندي اني سبقت إلى استخراجها
 من القرآن لكن اصل الموازين قد سبقت إلى استخراجها ولها عند
 مستخرجها من المتأخرين اسماء آخر سوى ما ذكرته، وعند بعض الامم
 السابقة على بعثة محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم اسامي آخر كانوا قد
 تعلموها من صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام ولكن بعثني
 على ابدال كسوتها باسامي آخر غير ما سموها به ما عرفت من ضعف
 قريحتك وطاعة نفسك إلى الاوهام فاني رأيتك من الاغترار بالظواهر
 بحيث لو سقيت عسلا احمر في قارورة حجام لم تطلق تناوله لنفور طبعك
 عن المحجمة وضعف عقلك عن أن يعرفك أن العسل طاهر في اي زجاجة
 كان بل ترى التركي يلبس المرقعة والدراعة فتحكم عليه بانه صوفي أو
 فقيه ولو لبس الصوفي القباء والقطنسوة حكم عليه وهمك بانه تركي فأبدأ
 يتحرك وهمك إلى ملاحظة غلاف الاشياء دون اللباب وكذلك لا تنظر
 إلى القول من نفس القول وذاته بل من حسن صنمته أو حسن ظنك
 بقائله فاذا كانت عبارته مستكرهة عندك أو قائله قبيح الحال في اعتقادك
 رددت القول وان كان في نفسه حسناً وحقاً فلو قيل لك قل لا إله الا
 الله عيسى رسول الله نمر عن ذلك طبعك وقلت هذا قول النصراري
 فكيف اقله ولم يكن لك من العقل ما تعرف به أن هذا القول في نفسه

حق وان النصراني ماقت لهذه الكلمة ولا اسأركلمات بل لكاهنتين
 فقط احدهما قوله الله ثالث ثلاثة. والثانية قوله لمجدليس برسول الله وسأراً
 اقواله وراء ذلك حق فلما رأيتك ورأيت رفقاءك من اهل التعليم
 ضعفاء العقول لا يتخذهم الا الظواهر نزلت إلى حدك فسقيتك الدواء
 في كوز الماء وسقتك به إلى الشفاء وتلطفت بك تلطف الطبيب بمريضه
 ولو ذكرت لك انه دواء وعرضته في قدح الدواء لكان يشمئز عن قبوله
 طبعك ولو قبلته لكنت تتجرعه ولا تكاد تسيغه فهذا غرضي في ابدال
 تلك الاسامي وابداع هذه يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله وينكره من
 ينكره فقال: لقد فهمت هذا كله ولكن اين ما كنت وعدت به من أن
 هذا الميزان له كفتان وعمود واحد تتعلق به الكفتان جميعاً ولست أرى
 في هذا الميزان الكفة والعمود واین ما ذكرت من الموازين التي هي اشبه
 بالقبان قلت: هذه المعارف الست قد استفدتها من اصلين فكل اصل
 كفة والجزء المشترك بين الاصلين الداخل فيهما عمود. واضربك مثالا
 من الفقهيات فلعلة أقرب إلى فهمك فأقول: قولنا كل مسكر حرام
 كفة وقولنا كل نبيذ مسكر كفة اخرى والنتيجة ان كل نبيذ حرام
 فهنا في الاصلين ثلاثة أمور فقط النبيذ والمسكر والحرام. أما النبيذ فانه
 يوجد في أحد الاصلين فقط فهو كفة - أما والحرام في الاصل
 الثاني فقط فهو الكفة الثانية - وأما المسكر فذکور في الاصلين جميعاً
 وهو مكرر فيهما مشترك بينهما فهو العمود والكفتان متعلقتان به اذ
 يتعلق به احدهما ويتعلق الموصوف بالصفة وهو قولك كل نبيذ مسكر
 فان النبيذ موصوف بالمسكر والاخرى متعلقة به لتعلق الصفة بالموصوف
 وهو قولك وكل مسكر حرام فتأمل ذلك حتى تعرف فان فساد هذا
 الميزان تارة يكون من الكفة وتارة يكون من العمود وتارة يكون من
 تعلق الكفة بالعمود على ما انهك اعلى رمز يسير منه في ميزان الشيطان
 - وأما المشبه بالقبان فهو ميزان التلازم اذ أحد طرفيه اطول من

الآخر كثيرا فانك تقول لو كان بيع الغائب صحيحاً للزم بصريح الازام
 وهذا اصل طويل مشتمل على جزئين لازم وملزوم والثاني وهو قولك
 وليس يلزم بصريح الازام وهذا اصل آخر أقصر منه فكان أشبه
 بالرامة القصيرة المقابلة لكفة القبان - وأما ميزان التعادل فتعادل فيه
 كفتان ليست إحداها أطول من الاخرى بل كل واحدة منهما تشتمل
 على صفة وموصوف فقط فافهم هذا مع ما عرفتك من أن الميزان
 الروحاني لا يكون كالميزان الجسماني بل يناسبه مناسبة ما ولذلك يمكن
 تشبيهه بتولد النتيجة من ازدواج الاصلين إذ يجب أن يدخل شيء من
 أحد الاصلين في الآخر وهو المسكر الموجود في الاصلين حتى تتولد
 النتيجة فان لم يدخل جزء من أحد الاصلين في الآخر لم تتولد نتيجة
 كما لم تتولد من قولك كل مسكر حرام وكل مغصوب مضمون نتيجة
 أصلا وهما أصلان لكن لم يجز بينهما نكاح وازدواج إذ ليس يدخل
 جزء من أحدهما في الآخر وإنما النتيجة تتولد من الجزء المشترك
 الداخل من أحدهما في الآخر وهو الذي سميناه عمود الميزان ولو فتح
 باب الموازنة بين المحسوس والمعقول لانفتح لك باب عظيم في معرفة
 الموازنة بين عالم الملك والملسكوت وبين عالم الغيب والشهادة وتحتة
 أسرار عظيمة ، من لم يطلع عليهم احرم الاقتباس من أنوار القرآن والتعلم منه
 ولم يحط من علمه إلا بالقشور فكأن في القرآن موازين كل العلوم
 فكذلك فيه مفاتيح كل العلوم كما أشرت اليه في كتاب جواهر
 القرآن فاطلبه منه وليست الموازنة بين عالم الملك والملسكوت وعالم
 الغيب والشهادة إلا بما يتجلى بعرضه في المنام من الحقائق المعنوية في
 الامثلة الخيالية لان الرؤيا جزء من النبوة وفي عالم النبوة يتجلى تمام
 الملك والملسكوت ، ومثاله من النوم رجل رأى في منامه كأن في يده
 خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقص رؤياه على ابن سيرين .
 فقال : إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الصبح . فقال هو كذلك

فانظر الآن لم تجلي له حاله من عالم الغيب في هذا المثال واطلب الموازنة بين هذا المثال والاذان قبل الصبح في رمضان وربما يرى هذا المؤذن نفسه يوم القيامة وفي يده خاتم من نار ويقال له هذا هو الخاتم الذي كنت تختتم به أفواه الرجال وفروج النساء فيقول والله ما فعلت هذا فيقال نعم كنت تفعله ولكن تجمله لان هذا روح فعلك ولا تتجلى حقائق الاشياء وأرواحها إلا في عالم الارواح ويكون الروح في غطاء من الصور في عالم التلبيس عالم الحس والخيال والآن قد كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكذلك يفتضح كل من ترك حداً من حدود الشرع وإن اردت له حقيقة فاطلبه من باب حقيقة الموت في الاحياء أو من كتاب جواهر القرآن فترى فيه العجائب وأطل التأمل فيه فمسالك تنفتح لك باب رؤيته الى عالم الملكوت تسترق منها السمع فاني ما أراك يفتح لك بابها وأنت انما تنتظر معرفة الحقائق من معلم غائب لا تراه ولو رأيت له لوجدته أضعف منك في المعرفة كثيراً فخذها ممن سافر وتعرف وبحث فعلى الخبير سقطت فتنبيه . فقال : هذا الآن حديث آخر يطول بيني وبينك اللجاج فيه فان هذا المعلم الغائب وإن كنت لم أر منظره فقد سمعت خبره كالليث إن لم أره فقد رأيت أثره ولقد رأيت والدتي إلى أن ماتت ومولانا (١) صاحب قلعة الموت يشيان عليه ثناء بالغاً حتى قالوا إنه المطلع على كل ما يجري في العالم ولو على ألف فرسخ أفاً كذب والدتي وهي العجوزة العنيفة الستيرة أو مولانا وهو الامام الحسن السيرة والسريرة كلا بل هما شاهدان صادقان

(١) هو الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب قلعة الموت وهو الذي أظهر بدعة الطائفة الاسماعيلية قال الشهرستاني واستنظر المذكور بالرجال وتحصن بالفلاح وكان يده صموده على قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين اربعمائة وهو الذي دعا الناس الي تعيين امام صادق ومنع الموام من الحوض في العلوم ومنع الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة كذا في تاريخ ابن الوردي.

كيف وقد طابقيهما على ذلك جميع رفقاءى من أهل دامغان (١)
وأصهبان ولهم الامر المطاع وفي حكمهم سكان السلاخ أفترى أنهم
منخدعون وهم الاذكياء أو متمسكون وهم الاتقياء هيئات هيئات دع
عنتك الغيبة فان مولانا يطلع على ما يجري بيننا من غير ريبة إذ لا يغرب
عنه منقال ذرة في الارض ولا في السماء فأخشى أن تعرض لمقتته
بمجرد السماع والاصغاء فاطوطومار (٢) الهذيان وارجع الى حديث
الميزان واشرح لى ميزان الشيطان وكيفية وزن أهل التعليم به *
* القول فى موازين الشيطان وكيفية أهل التعليم بها *

فقلت اسمع الآن يا مسكين شرح ميزان رفقاءك فانك بعد فى
غلوائك واعلم أن كل ميزان ذكرته من موازين القرآن فللشيطان فى
جانبه ميزان ملصق به يمثله بالميزان الحق ليوزن به فيغلط لكن الشيطان
انما يدخل من مواقع الثلم فمن سد الثلم واحكمها أمن الشيطان . ومواقع
ثلمه عشرة قد جمعتها وشرحتها فى كتاب محك النظر وكتاب معيار العلم
الى غير ذلك من الدقائق فى شروط الميزان لم اذكرها الآن لقصور
فهمك عن ادراكها فان أردت معاقد جملها قيمتها فى كتاب المحك وان
أردت شرح تفاصيلها وجدتها فى كتاب المعيار لكن أقدم الآن
انموذجاً واحداً وذلك هو الذى القاه الشيطان فى خاطر ابراهيم الخليل
عليه السلام اذ قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى التى الشيطان فى امينته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم
الله آياته) وانما ذلك فى مبادرته الى الشمس . وقوله هذا ربي هذا أكبر
لاجل انه أكبر اراد أن يخدعه به : وكيفية الوزن به أن الإله هو
الأكبر فهذا أصل معلوم بالاتفاق والشمس هى أكبر من الكواكب

(١) دامغان بلد كبير بين الرى ونيسابور (٢) الطومار الصغيرة قيل هو
دخيل وجبله ابن سيده مرياً محضاً لان سيوره قد اعتد به فى الابنية وجمله ملحنا
بسطاط (لسان العرب)

وهذا أصل آخر معلوم بالحس فيلزم منه أن الشمس اله وهي النتيجة
 وهذا ميزان الصقه الشيطان بالميزان الاصغر من موازين التعادل
 لان الاكبر وصف وجد للاله ووجد للشمس فيوهم ان احدهما يوصف
 بالآخر وهو عكس الميزان الاصغر وحد ذلك الميزان ان يوجد شيان
 لشيء واحد لا ان يوجد شيء واحد لشيئين فانه ان وجد شيان لشيء
 واحد وصف بعض احدهما بالآخر كما سبق ذكره - أما اذا وجد شيء
 واحد لشيئين فلا يوصف احد الشيتين بالآخر فانظر كيف يلبس
 الشيطان بالعكس : وعيار هذا الميزان الباطل من الصنجة الظاهرة
 البطلان اللون فانه يوجد للسواد والبياض جميعاً ثم لا يلزم أن يوصف
 البياض بالسواد أو السواد بالبياض بل لوقال قائل البياض لون والسواد
 لون فيلزم منه أن السواد بياض كان خطأ باطلاً فكذلك قوله الاله اكبر
 والشمس أكبر فالشمس اله فهذا خطأ اذ يجوز أن يوصف المتضادان
 بوصف واحد فالصاف شيئين بوصف واحد لا يوجب بين الشيتين
 اتصالاً أما اتصاف شيء واحد بشيئين فيوجب بين الوصفين اتصالاً
 وكل من فهمه ادرك التفرقة بين اتصاف شيء واحد بشيئين وبين اتصاف
 شيئين بشيء واحد فقال : قد اتضح لي بطلان هذا لكن متى وزن
 أهل التعليم كلامهم به ؟ قلت : وزنوا به كلاماً كثيراً أشح على أوقاتي ان
 اضيعها بحكايته لكن اريك انموذجاً واحداً فلقد سمعت كثيراً من
 قولهم إن الحق مع الوحدة والباطل مع الكثرة ومذهب الرأي يقتضى
 الى الكثرة ومذهب التعليم يفضى الى الوحدة فيلزم أن يكون الحق
 في مذهب التعليم قال : نعم سمعت هذا كثيراً واعتقدت هذا برهاناً
 واعرفه برهاناً قاطعاً لا اشك فيه فقلت : هذا ميزان الشيطان فانظر
 كيف انتكس رفقاًؤك واستعملوا قياس الشيطان وميزانه في ابطال
 ميزان الخليل صلوات الله عليه وسلامه وسائر الموازين قال : وما وجه
 تخريجه عليه ؟ فقلت : الشيطان انما يلبس في الموازين بتكثير الكلام

فيه وتشويشه حتى لا يعلم منه موضع التلبيس وهذا كلام كثير حاصله يرجع الى أن الحق يوصف بالوحدة فهذا أصل وان مذهب التعليم يوصف بالوحدة فهذا أصل آخر فلزم منه ان مذهب التعليم يوصف بالوحدة . وصف واحد بالحق لان الوحدة في شيء واحد فأنصف به شيئان فيجب اتصاف أحد الشئيين بالآخر كقول القائل اللون وصف واحد أنصف به البياض والسواد جميعاً فيلزم اتصاف البياض بالسواد وكقول الشيطان الا كبر وصف واحد يتصف به الاله والشمس فيلزم منه أن تتصف الشمس بالاله فلا فرق بين هذه الموازين الثلاثة أعني وجود اللون للسواد والبياض ووجود الاكبر للاله والشمس ووجود الوحدة للتعليم والحق فتأمل لتفهم ذلك فقال : قد فهمت هذا قطعاً ولكني لا افنع بمثال واحد فاذا ذكر لي مثالا آخر من موازين رفقائي ليزداد قلبي سكوناً الى معرفة انخداعهم بموازين الشيطان قلت : أما سمعت قولهم إن الحق إما أن يعرف بالرأى المحض أو بالتعليم المحض وإذا بطل احدهما ثبت الآخر وباطل ان يكون مدركا بالرأى العقلي المحض لتعارض العقول والمذاهب فثبت أنه بالتعليم فقال إى والله قد سمعت ذلك كثيراً وهو مفتاح دعوتهم وعنوان حججهم قلت : فهذا وزن ميزان الشيطان الذي الصقه بميزان التعاند فان ابطال أحد القسمين ينتج ثبوت الآخر ولكن بشرط أن تكون القسمة منحصرة لامنتشرة ، والشيطان يلبس المنتشرة بالمنحصرة فهذه منتشرة اذ ليست دائرة بين النقي والاثبات بل يمكن بينهما قسم ثالث وهو أن يدرك بالعقل والتعليم جميعاً وعياره من الصنجات المعلوم بطلانها قول القائل الالوان لا تدرك بالعين بل بنور الشمس فقلنا لم فقال لا تخلو إما أن تدرك بالعين أو بنور الشمس وباطل أن تدرك بالعين لانه لا يدرك بالليل فثبت أنه يدرك بنور الشمس فيقال له يامسكين ثم قسم ثالث وهو أن يدرك بالعين ولكن عند نور الشمس فقال : قد فهمت هذا أيضاً لكن

أريد أن أتزيدني شرحاً للغلط الواقع في الامتزج الاول وهو حديث الحق
والوحدة فان التفتن لموضع الغلط منه لطيف جداً قلت : وجه الغلط
ما ذكرت وهو التباس اوصاف شئ واحد بشيئين باتصاف شيئين بشئ
واحد ولكن أصل هذا الغلط ايها العكس فان من علم أن كل واحد
حق ربما يظن ان كل حق واحد وليس يلزم هذا العكس بل اللازم منه
عكس خاص وهو أن بعض الواحد حق فان قولك كل انسان حيوان
لا يلزم منه عكس عام وهو ان كل حيوان انسان بل اللازم ان بعض
الحيوان انسان ولا يستولى الشيطان بحيله على الضعفاء بأشد وأكثر
من تحيله بايها العكس العام حتى ينتهي الى المحسوسات حتى ان من
رأى حبلاً اسود مبرقش اللون يرتاع منه لشبهه بالحية وسببه معرفته
ان كل حية طويل متبرقش اللون فيسبق وهمه الى عكسه العام ويحكم
بأن كل طويل متبرقش اللون فهو حية فيظن منه عكساً عاماً وهو ان
كل طويل متبرقش اللون أسود فهو حية وانما اللازم منه عكس خاص
وهو ان بعض الطويل المتبرقش حية لان كاه كذلك وفي العكس
والنقيض دقائق كثيرة لا تفهمها الا من كتاب محك النظر ومعبار العلم
فقال : إني اجد بكل مثال تذكره طمأينة اخرى لمعرفة موازين
الشيطان فلا تبخل على مثال آخر من موازين الشيطان قلت : إن فساد
ذلك الميزان تارة يكون من سوء التركيب بان لا يكون تعلق الكفتين
بالعمود تعلقاً مستقيماً وتارة يكون من نفس الكفة وفساد طينتها التي
منها اتخذت فانها إما ان تتخذ من حديد أو نحاس أو جلد حيوان فلو
اتخذت من الثلج أو القطن لم يكن الوزن به والسيف تارة يفسد خلل
شكله بان يكون على هيئة العصا غير معترض ولا حاد وتارة يكون من
فساد طينته ومادته التي منها اتخذت بان يكون متخذاً من خشب أو طين
وكذلك ميزان الشيطان قد يكون فساده لفساد تركيبه كما ذكرته في
مثال كبر الشمس ووحدة الحق فان صورتها مائلة معكوسة كالذي

يُجعل الكفتين فوق العمود فيريد أن يزن به وتارة يكون لفساد المادة
كقول ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين في جواب
قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت
من العالين) وقد أدرج ابليس في هذا ميزانين اذ علل منع السجود
بكونه خيراً منه ثم اثبت الخيرية بأنه خلق من نار واذا صرح بجميع
اجزاء حجته وجد ميزانه مستقيم التركيب لكن فاسد المادة وكمال
صورته أن يقول ما خلق من نار خير واخير لا يسجد فانا اذاً لا اسجد
فكلمة اصلي هذا القياس ممنوع لانه غير معلوم والعلوم الخفية توزن
بالعلوم الجلية وما ذكره غير جلي ولا مسلم اذ تقول له نسلم انك خير
منه وهذا منع الاصل الأول والاخر أنا لا نسلم أن الخير لا يلزمه
السجود لان اللزوم والاستحقاق بالامر لا بالخيرية لكن ترك ابليس
الدلالة على الاصل الثاني وهو أن اللزوم والاستحقاق بالامر لا بالخيرية
واشتغل باقامة الدليل على أنه خير لاني خلقت من نار وهذه دعوى
الخيرية بالنسب وكمال صورة دليله وميزانه أن يقول المنسوب إلى الخير
خير وأنا منسوب إلى الخير فاذا أنا خير وكلتا هاتين الكفتين أيضاً
فاسدة فانا لا نسلم أن المنسوب إلى الخير خير بل الخيرية بصفات الذات
لا بالنسب فيجوز أن يكون الحديد خيراً من الزجاج ثم يتخذ من الزجاج
بحسن الصنعة ما هو خير من المتخذ من الحديد وكذلك تقول ابراهيم
صلوات الله عليه خير من ولد نوح وإن كان ابراهيم مخلوقاً من آزر
وهو كافر وولد نوح من نبي - وأما اصله الثاني وهو أنه مخلوق من خير
لان النار خير من الطين فهذا أيضاً غير مسلم بل الطين خير لانه من
التراب والماء وربما يقال إن بامتزاجهما قوام الحيوان والنبات وبهما
يحصّل النشوء والنمو - وأما النار ففسدة ومهلكة للجميع فقوله إن النار
خير باطل - فهذه الموازين صحيحة الصورة فاسدة المادة تشبها بالسيف
المتخذ من الخشب بل هي كسراب ببيعة يحسبه الظلم أن ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه وكذا يرى أهل التعليم
أحوالهم يوم القيامة إذ كشفت لهم حقائق موازينهم وهذا أيضاً مدخل
من مداخل الشيطان ينبغي أن يسد بل المادة الصحيحة التي تستعمل في
النظر كل أصل معلوم قطعاً إما بالحس وإما بالتجربة وإما بالتواتر الكامل
أو بتأول العقل أو بالاستنتاج من هذه الجملة أما الذي يستعمل في المحاجة
والمجادلة فما يعترف به الخصم ويسلمه وإن لم يكن معلوماً في نفسه
فانه تصير حجته عليه وكذلك تجرى بعض أدلة القرآن فلا ينبغي أن
نتسكّر أدلة القرآن إذا أمكنك التشكيك في أصولها لأنها أوردت على
طوائف كانوا معترفين بها *

✽ القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته ✽

✽ عن امام معصوم آخر وبيان معرفة صدق محمد صلى الله ✽

✽ عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات ✽

✽ وأوثق منه وهو طريق العارفين ✽

فقال : لقد أكملت الشفاء وكشفت الغطاء واتيت باليد البيضاء
لكن بنيت قصراً وهدمت مصراً فاني الى الآن كنت أتوقع أن أعلم
منك الوزن بالميزان واستغنى بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فلا آن
اذ ذكرت هذه الدقائق في مداخل الغلط فقد آيست من الاستقلال به
فاني لا آمن أن اغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لم اختلف
الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت
فغلط بعضهم واصاب بعضهم فاذا اقرب الطرق لى أن أعول على الامام
المعصوم حتى اتخلص من هذه الدقائق فقلت يامسكين معرفتك بالامام
الصادق ليست ضرورية فهي إما أن تكون تقليداً للوالدين - أو
موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أولياً فبالضرورة يكون
حاصلاً عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به
فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الاصلين في ذهنك التجريبي

والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلاً أن هذا الحيوان غير حامل لأنه بغل عرفه بانتظام الاصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بمصدر علمه . وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فأنت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليداً للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان اخذته من الوزن بشئ من هذه الموازين فلعلك غلظت في دقيقة من دقائقه فينبغي على زعمك أن لا تثق به فقال : صدقت فاين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعاً قلت : هيات راجع القرآن فقد علمك الطريق اذ قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم أن المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل مشكلة سفراً الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تتعلم منى كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان اشكل عليك شئ عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر وهذا كما لو حسبت ما للبقال عليك أو لك عليه أو قسمت في مسألة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتمذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعاً انك ما غلظت في دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكير والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بأنه ما غلظت فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلظت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية فقال : لقد ساعدتني على أن التعليم

حق وأن الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بأن كل واحد
 لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان
 وأنه لا يمكنه معرفة تمام الميزان الا منك فكأنك ادعيت الامامة
 لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي إما أن يقيم معجزة وإما
 ان يحتج بالنص المتعاقب من آياته اليه فأين نصك واين معجزتك
 فقلت : أما قولك إنك تدعى الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني
 أرجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما
 يتعلم مني فلا اجعل التعليم وفقاً على نفسي - وأما قولك تدعى الامامة
 لنفسك فأعلم أن الامام قد نعى به الذي يتعلم من الله تعالى بواسطة
 جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نعى به الذي يتعلم من الله بغير
 جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمى على رضى الله عنه إماماً
 فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعى الامامة
 لنفسى - أما برهاني عليه فواضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة
 انفس لو ادعوا عندك أنهم يحفظون القرآن . فقلت : ما برهانكم ؟
 فقال أحدهم برهاني أنه نص على الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على
 استاذي واستاذي نص على الكسائي نص على . فقال الثاني
 إني اقلب العصا حية فقلب العصا حية . وقال : الثالث برهاني إني اقرأ
 جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أى هذه
 البراهين اوضح عندك وقلبك بايها أشد تصديقاً فقال بالذي قرأ القرآن
 فهو غاية البراهين اذ لا يخالجنى فيه ريب - أما نص استاذه عليه ونص
 الكسائي على استاذه فيتصور أن تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول
 الاسفار - وأما قلب العصا حية فقلعه فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم
 يكن تلبيساً فغايبته أنه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل
 عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن . قلت : فبرهاني اذاً ايضاً إني
 كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وافهمت وازلت الشك عن قلبك

في صحته فيلزمك الايمان بامامتي كما أنك إذا تعلمت الحساب وعلمته من
 استاذ فانه إذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري
 بان استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه
 وصحة دعواه ايضاً في أنه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله
 عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا يشق التمر ولا بقلب العصا
 حية بمجردهما فان ذلك ينطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل
 من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل . فان التعارض في عالم
 الحس والشهادة كثير جداً لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم
 وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر
 وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر
 القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت
 أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي
 رضى الله عنه إذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله »
 فكانت معرفتي بصدق النبي عليه السلام ضرورية كعرفتك إذا رأيت
 رجلاً عربياً يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأني بالفقه
 الصحيح الصريح فانك لا تتأري في أنه فقيه وبيقينك الحاصل به
 أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعباناً لان ذلك
 ينطرق اليه احتمال السحر والتلبس والطمس وغيرهم ولا يحصل العلم
 بالقرآن بينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة إلا بعد بحث طويل
 ونظر دقيق ويحصل به إيمان ضعيف هو إيمان العوام والمتكلمين ،
 فأما إيمان ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية كذلك تكون
 فقال : فأنا ايضاً اشتبهى أن اعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته
 وقد ذكرت ان ذلك لا يعرف إلا بان توزن جميع المعارف الالهية
 بهذا الميزان وما أتضح عندي ان جميع المعارف الدينية يمكن
 وزنها بهذه الموازين فبم أعلم ذلك . قلت : هيات لا أدعى إني

أزن بها المعارف الدينية فقط بل أزن بها العلوم الحسائية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيق غير وضعي فاني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لا بنص ولا بقلب العصا لعباناً ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك تجربة وامتحاناً فدعى الفروسية لا ينكشف صدقه حتى يركب فرساً ويركض ميداناً فسئلني عما شئت من العلوم الدينية لأكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحداً واحداً وأزنه بهذا الميزان وزناً يحصل لك علم ضروري بأن الوزن صحيح وأن العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف . فقال : وهل يمكنك أن تعرف جميع الحقائق والمعارف الالهية جميع الخلق فترفع الاختلافات الواقعة بينهم . قلت : هيئات لا أقدر عليه وكأن إمامك المعصوم الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وأزال الاشكالات عن القلوب بل الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه بل اختلاف الخلق حكم ضروري أزلي . ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك - أفادعي أن أرد قضاء الله الذي قضى به في الازل أو يقدر إمامك أن يدعي ذلك فان كان يدعيه فلم أدخره إلى الآن والدنيا طاخفة بالاختلافات : وليت شعري رئيس الأمة على ابن أبي طالب رضی الله عنه كان سبب رفع الاختلافات بين الخلق أو سبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر *

﴿ القول في طريق نجات الخلق من ظلمات الاختلافات ﴾

فقال : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات . قلت . إن أصغروا الى رفعت الاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في اصغائهم فانهم لم يصغروا باجمعهم الى الانبياء ولا الى إمامك فكيف

يصفون الى وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وكون الخلاف بينهم ضرورياً تعرفه من كتاب جواب مفصل الخلاف وهو القصول الاثنا عشر . فقال : فلو أصغوا كيف كنت تفعل . قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى اذ قال (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد) الآية وانما أنزل هذه الثلاث لان الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم . فقال : فنم وكيف علاجهم . قلت : الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة ، البله وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة - أما الخواص فاني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال (احداها) القرينة النافذة والفتنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها (والثانية) خلو باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث وسموع فان المقلد لا يصغي والبليد وإن أصغى فلا يفهم (الثالثة) أن يعتقد في أي من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بانك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك *

(والصنف الثاني البله) وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضاً داعية الجدل بخلاف المتكاسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن يتخبرون بين الأئمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالوعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فاقول لهم ماقاله

رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس أهلاً لذلك فقال وماذا عملت في رأس العلم أي الإيمان والتقوى والاستعداد للآخرة اذهب فأحك رأس العلم ثم ارجع لأعلمك من غرائبه . فاقول للعالم ليس الخوض في الاختلافات من عسك فادرج فايك أن يخوض فيه أو تصغي إليه فهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم ومن أهل الخوض فيه . فايك ثم اياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجرى على العالمى أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري فان قال : لا بد من دين اعتقده وأعمل به لأصل به الى المغفرة والناس مختلفون في الاديان فبأى دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه . فاقول له للدين أصول وفروع والاختلاف إنما يقع فيهما . أما الاصول فليس عليك أن تعتقد فيها الا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا اله الا الله وأن الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثل شئ الى جميع ماورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شئ فقل آمنا كل من عند ربنا واعتقد كل ماورد في اثبات الصفات ونقيها على غاية التعظيم والتقدیس مع نفى المماثلة واعتقاد أنه ليس كمثل شئ . وبعد هذا لا تلتفت إلى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك فان اخذ يتحذلق ويقول قد علمت أنه عالم من القرآن ولكنى لا أعلم أنه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حسد العوام إذ العالمى لا يلتفت قلبه إلى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوما الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم هذا ما أعظ به في الاصول وهو الحوالة على كتاب

الله فان الله انزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء أهل الحوالة على
 الكتاب - وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف مالم
 تفرغ عن جميع المنفق عليه فقد اتفقت الامة على أن زاد الآخرة هو
 التقوى والورع وأن الكسب الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة
 والزنا والسرقه والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام . والفرائض
 كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف
 فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلي وليس بعامى
 ومتى تفرغ العامى من هذا الى مواضع الخلاف . أفرأيت رفقاءك قد
 فرغوا من جميع هذا ثم اخذوا أشكال الخلاف بمخترتهم هيات ما شبه
 ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت
 له علاج متفق عليه بين الاطباء وهو يقول قد اختلف الأطباء في بعض
 الادوية أنها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوماً فأننا لا أعالج نفسي
 حتى أجد من يعلمني رفع الخلاف فيه . نعم لو رأيتم صالحاً قد فرغ
 من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا تشكك على مسائل فاني
 لا أدري أتوضأ من العس والقيء والرعاف وانوى الصوم بالليل في
 رمضان أو بالنهار الى غير ذلك فأقول له إن كنت تطلب الأمان
 في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع
 فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه
 وانو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه فان قال هو ذا
 يشقل على الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال
 لا أدري أفنت في الصبح أم لا واجهر بالتسمية أم لا فأقول له الآن
 اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه اغلب على
 قلبك كما لو كنت مريضاً وفي البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء
 باجتهدك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في أمر دينك
 فن غلب على ظنك أنه الافضل فاتبعه فان أصاب فيما قال عند الله فله في

ذلك أجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك أجر واحد وكذلك قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال من اجتهد فاصاب فله أجران ومن
 اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ورد الله تعالى الامر الى أهل الاجتهاد وقال
 تعالى لتعليمه الذين يستنبطونه منهم وارتضى الاجتهاد لاهله اذ قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذيم تحمكم قال بكتاب الله قال فان لم
 تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال اجتهد
 رأيي قال ذلك قبل ان امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن له
 فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسول
 الله لما يرضاه رسول الله . ففهم من ذلك أنه مرضى به من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لمعاذ وغيره كما قال الاعرابي إني هلكت واهلكت
 واقعت أهلي في نهار رمضان فقال اعتق رقبة ففهم ان التركي أو الهندي
 لو جامع أيضاً لزمه الاعتاق وهذا لان الخلق ما كفوا الصواب عند
 الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كفوا
 ما يظنونه صوابا كما لم يكفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنونه انه
 طاهر فلو تذكر وانجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نعله في أثناء الصلاة لما أنبأه جبريل أن عليه قدراً ولم يعد الصلاة
 ولم يستأنف وكذلك لم يكف أن يصلى الى القبلة بل الى جهة يظن أنها
 القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان أصاب فله أجران
 والا فله أجر واحد ولم يكفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا
 فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكف القضاء في سفك الدماء وابعادة
 الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقه واذا جاز
 سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة
 بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد، وليت شعري ماذا يقول رفقائك في
 هذا يقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر إلى الامام
 ويسأله أو يكفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه

الاجتهاد اذ لا يعرف أدلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال
 والرياح قال لا أشك في أنه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤتممه اذا بذل
 كنهه بمجوده وإن أخطأ أو صلى إلى غير القبلة . قلت فاذا كان من
 جعل القبلة خلفه معذوراً مأجوراً فلا يبعد أن يكون من أخطأ في
 سائر الاجتهادات معذوراً فالجتهدون ومقلدوهم كلهم معذرون بعضهم
 مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في أحد الاجرين
 فنصابهم متقاربة وليس لهم أن يتعاندوا وأن يتعصب بعضهم مع
 بعض لاسيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن أنه مصيب كما لو
 اجتهد مسافران في القبلة فاختلغا في الاجتهاد فحقةما أن يصلى كل واحد
 منهما إلى الجهة التي غلبت على ظنه وأن يكف انكاره واعراضه
 واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الاستعمال موجب ظنه . أما استقبال
 عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لا
 على اعتقاد أنه لا يتصور منه الخطأ لكن على اعتقاد أنه ان أخطأ كان
 معذوراً وهذا الآن الامور الوضعية الشرعية التي يتصور أن تختلف
 بها الشرائع يقرب فيها الشيء من تقيضه بعد كونه مظلوماً في سر
 الاستبصار . وأما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف ، وحقيقة
 هذا الفصل تعرفه من أسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر
 من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن (وأما الصنف الثالث)
 وهم أهل الجدل فاني أدعوهم بالتلطف الى الحق وأعني بالتلطف أن لا
 اتعصب عليهم ولا أعنفهم لكن ارفق وأجادل بالتي هي أحسن وكذلك
 أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن أن آخذ الاصول التي
 يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي أوردته
 في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه
 بفطنته الى مزيد كشف رغبته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته
 واصراره على تعصبه وجأجه وعناده عاجته بالحديد فان الله سبحانه

جعل الحديد والميزان قرينى الكتاب ليفهم منه أن جميع الخلائق
 لا يقومون بالقسط الا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص
 والحديد الذى فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء
 الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون أن ذلك ليس من شأنهم وأنه لا يعلم
 تأويله الا الله والراسخون فى العلم دون أهل الجدل وأعنى باهل الجدل
 طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت
 الفطرة كاملة لكن فى باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك
 يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن
 يفقهوه وفى آذانهم وقرأ لكن لم تهلكهم الا كياستهم الناقصة فان
 الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاءة بكثير. وفى الخبر أن
 أكثر أهل الجنة البلاء وان عليين لذوى الالباب ويخرج من جملة الفريقين
 الذين يجادلون فى آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزع الله بالسلطان
 ما لا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغى أن يمنعوهم الجدل بالسيف والسنان
 كما فعل عمر رضى الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين فى
 كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضى الله عنه لما سئل عن
 الاستواء على العرش فقال الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية
 مجهولة والسؤال عنه بدعة وحسم بذلك باب الجدل - وكذلك فعل السلف
 كلهم وفى فتح باب الجدل ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبي
 فى دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق
 وذلك بان دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان
 القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان
 فانه يعرف به مقادير أعيان لا نهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم
 فعه الحكمة التى من اوتيا فقد أوتى خيراً كثيراً لانهاية له ولو لا اشتغال
 القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نوراً لان النور ما يبصر
 بنفسه ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله ولا رطب

ولا يابس الا في كتاب مبين فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن
 بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي
 بها تفتح أبواب الحكمة التي لانهاية لها فهذا ادعو الخواص ودعوت
 العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصاد على ما فيه
 من الصفات الثابتة لله تعالى ودعوت أهل الجدل بالمجادلة التي هي
 أحسن فان أبي عرضت عن مخاطبته وكففت شره بياس السلطان
 والحديد المنزل مع الميزان فليت شعري الآن يارفيقي بم يعالج إمامك
 هؤلاء الاصناف الثلاثة أي علم العوام فيكلفتهم مالا يفهمون ويخالف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين
 بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة
 محاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار فما أعظم قدرة إمامك اذ صار
 أقدر من الله تعالى ومن رسوله أو يدعو أهل البصيرة إلى تقليده وهم
 لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب
 العصا ثعبانا بل يقولون وهو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه
 صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر والطلسمات ماتتحير فيه العقول
 ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها
 وجملة أنواعها ليعلم أن المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة
 موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة . ومن الذي يقوى على ذلك
 بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة أن يعلموا صدقه من قوله كما يعلم
 متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه في قوله إني حاسب فهذه
 هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولو الالباب وأهل البصائر ولا يقنعون
 بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله
 عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك
 وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر
 القرآن فمن أين يحتاجون إلى امامك المعصوم وما الذي حل من

اشكالات الدين وعن ماذا كشف عن غوامضه قال الله تعالى (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وقد سمعت الآن منهاجى في موازين العلوم فارنى ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من إمامك الى الآن وما الذى يتعلمون منه وليت شعرى ما الذى تعلمت من إمامك المعصوم أرنى ما رأيتهما :

ما يسدى بنى رتسدى أوف خرابن وقلب يارفوت (١)

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها وإني أراكم تدعون الناس الى الامام ثم أرى المستجيب إمامك بعد الاستجابة على جهله الذى كان قبله لم يحل له الامام عقداً بل ربما عقد له حلالاً ولم تقدمه استجابته له علماً بل ربما زاد به طغياناً وجهلاً فقال : قد طالت صحبتى مع رفقاءى ولكن ما تعلمت منهم شيئاً إلا أنهم يقولون عليك بمذهب التعليم وإياك والرأى والقياس فانه متعارض مختلف . قلت : فمن الغرائب أن يدعو الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتهم الى التعليم فاستجبت فعملوني ما عندكم فقال : ما أراهم يزيدونى على هذا شيئاً . قلت : فاني قائل أيضاً بالتعليم وبالامام وببطلان الرأى والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أظقت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فاستخرج لك منه مقتابيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية إشعاب العلوم كلها منه فى كتاب جواهر القرآن لكنى لست أدعو الى إمام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فنه استخرج جميع أسرار العلوم : وبرهانى على ذلك لسانى وبيانى . وعليك إن شككت تجربى وامتحانى أفترانى أولى بان يتعلم منى من رفقاءك أم لا ؟ *

* القول فى تصاوير الرأى والقياس واظهار بطلانها *

فقال أما الانقطاع عن الرفقاء والتعليم منك فربما يعنى منه

(١) هكذا وجد هذا البيت بالاصل ولكن لم يظهر له معنى بل حرره عبي الدين صبرى

ما حكيمته لك من وصية والدتي حين كانت تموت ولكنني أشتهى أن
 تكشف عن وجه فساد الرأي والقياس فاني أظنك تستضعف عقلي
 فتلبس على فتسمى القياس والرأي ميزاناً وتتلو علي وفق ذلك قرآناً
 وأنا أظنه أنه بعينه القياس الذي يدعيه أصحابك : قلت : هيهات فما أنا
 أشرح لك ما أريده وأرادوه بالرأي والقياس - أما الرأي والقياس فمثاله
 قول المعتزلة يجب على الله سبحانه وتعالى رعاية الاصلح لعباده واذا
 طولبوا بتحقيقه لم يرجعوا إلى شيء إلا أنه رأى استحسانه بعقولهم
 من مقايسة الخالق على الخلق وتشبيه حكمته بحكمتهم ، ومستحسنات
 العقول هي الرأي الذي لا أرى التعويل عليه فانه ينتج نتائج تشهد
 موازين القرآن بفسادها كهذه المقالة فاني إذا وزتها بميزان التلازم
 قلت : لو كان الاصلح واجباً على الله تعالى لفعله ومعلوم أنه لم يفعله
 فدل على أنه غير واجب فانه لا يترك الواجب فان قيل سلمت إنه لو
 كان واجباً لفعله ولكن لا أسلم انه لم يفعله فأقول لو فعل الاصلح
 خلقهم في الجنة وتركهم فيها فان ذلك أصلح لهم ومعلوم أنه لم يفعل
 ذلك فدل على أنه لم يفعل الاصلح وهذه ايضا نتيجة من ميزان التلازم
 والآن الخصم بين أن ينكر ويقول تركهم في الجنة فيشاهد كذبه أو
 يقول كان الاصلح لهم أن يخرجوا إلى الدنيا دار البلايا ويعرضهم
 للخطايا ثم يقول لا دم يوم يكشف عن الخفايا أخرج يا آدم نصيب
 النار فيقول كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين كما ورد في
 الخبر الصحيح ويزعم أن ذلك أصلح لهم من خلقهم في الجنة وتركهم
 فيها لان نعيمهم اذذاك لا يكون لسعيهم واستحقاقهم فتعظم المنة
 عليهم والمنة ثقيلة واذا سمعوا وأطاعوا كان ما أخذوه جزاء وأجرة
 لا منة فيها وأنا أنزه سمعك ولساني عن حكاية مثل هذا الكلام فضلا
 عن الجواب عنه . فانظر فيه لترى قبائح نتائج الرأي كيف هي وأنت
 تعلم أن الله تعالى ينزل الصبيان اذا ماتوا في منزل من الجنة دون منازل

البالغين المطيعين فاذا قالوا الهنا أنت لا تبخل بالاصلاح لنا والاصلاح
 لنا أن تبغنا درجاتهم فيقول الله على زعم المعتزلة كيف أبلغكم درجاتهم
 وقد بلغوا وتعبدوا وأطاعوا وأتممتم صبيحاناً فيقولون أنت امتنا
 فخرمتنا طول المقام في الدنيا ومعالي الدرجات في الآخرة فكان
 الاصلاح لنا والاصلاح بنا أن تبغنا درجاتهم أو أن لا تبتغنا فلم امتنا
 فيقول الله تعالى على رأى المعتزلة إنى قد علمت أنكم لو بلغتم لكفرتم
 واستحققتم النار خالدن فيها فعملت أن الاصلاح لكم الموت فى الصبا
 وعند هذا ينادى الكفار البالغون من دركات النار يصطرخون يقولون
 أماعلمت أنا اذا بلغنا كفرنا فهلا امتنا فى الصبا فانا راضون بعشر عشر
 درجات الصبيان فعند هذا لا يبقى للمعتزلى جواب يجيب به عن الله تعالى
 فتكون الحجة للكفار على الله سبحانه تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً .
 نعم لفعل الاصلاح سر يستمد من معرفة سر الله تعالى فى القدر ولكن
 المعتزلى لا ينظر من ذلك الاصل فانه لا يطلع ببضاعة الكلام على ذلك
 السر فمن هذا خبط خبط عشواء : واضطربت عليه الآراء : فهذا مثال
 الرأى الباطل عندى - وأمأمثال القياس فهو اثبات الحكم فى شئ بالقياس
 على غيره كقول المجسمة إن الله تعالى وتقدس عن قولهم جسم قلنا لم
 قالوا لانه فاعل صانع فكان جسماً قياساً على سائر الصانع والفاعلين وهذا
 هو القياس الباطل كما قلنا لم قلتم إن الفاعل كان جسماً لأنه فاعل وذلك
 لا يقدر على اظهاره مهما وزن بميزان القرآن فان ميزانه هو الميزان
 الأكبر من موازين التعادل وصورة وزنه ان يقال كل فاعل جسم
 والبارى تعالى فاعل فهو أيضاً جسم فنقول نسلم أن البارى تعالى فاعل
 ولكن لانسلم الاصل الاول وهو ان كل فاعل جسم فمن اين عرفتم
 ذلك ؟ وعند هذا لا يبقى لهم إلا الاعتصام بالاستقراء والقسمه المنتشرة
 وكلاهما لا حجة فيه - أما الاستقراء فهو أن يقول تصفحت الفاعلين من
 حائك وحجام واسكاف وخياط ونجار وفلان وفلان فوجدتهم اجساماً

فعلت أن كل فاعل جسم فيقال له أتصفحت كل الفاعلين أو شذ عنك
 فاعل فإن قال تصفحت البعض فلا يلزم منه الحكم على الكل وان قال
 تصفحت الكل فلا نسلم له ذلك فليس كل الفاعلين معلوماً عنده كيف
 وهل تصفح في جملة ذلك فاعل السموات والارض فان لم يتصفح الكل
 بل البعض لم يلزم الكل وان تصفح فهل وجد جسماً فان قال نعم فيقال
 له فاذا وجدت ذلك في مقدمة قياسك فكيف جعلته اصلاً تستدل به
 عليه فجعلت تقس وجدانك دليل ما وجدته وهذا خطأ بل ماهو في
 تصفحه الا كمن يتصفح الفرس والابل والفيصل والحشرات والطيور
 فيراها تمشى برجل وهو لم ير الحية والدود فيحكم بان كل حيوان يمشى
 برجل وكمن يتصفح الحيوانات فيراها عند المضغ جميعها تحرك الفك
 الاسفل فيحكم بان كل حيوان يحرك عند المضغ الفك الاسفل وهو لم
 ير التمساح فانه يحرك الفك الاعلى وهذا لانه يجوز ان يكون ألف
 شخص من جنس واحد على حكمه ويخالف الالف واحد وهو لا يفيد
 برد اليقين فهو القياس الباطل - وأما اعتصامه بالقسمة المنتشرة فكقوله
 سبرت أو صاف الفاعلين فكانوا اجساماً لكونهم فاعلين أو لكونهم
 موجودين أو كيت وكيت ثم يبطل جميع الاجسام فيقول فيلزم ومن
 هذا أنهم اجسام لكونهم فاعلين وهذه هي القسمة المنتشرة التي بها
 وزن الشيطان مقاييسه وقد ذكرنا بطلانها فقال : اظن أنه إذا بطل
 سائر الاقسام تعين القسم الذي اراده وأرى هذا برهاناً قوياً عليه تعويل
 أكثر المتكلمين في عقائدهم فانهم يقولون في مسألة رؤية البارئ تعالى
 مرئى لأن العالم مرئى وباطل ان يقال إنه مرئى لانه ذو بياض لان السواد
 يرى وباطل ان يرى لكونه جوهرأ لان العرض يرى وباطل ان يكون
 عرضاً لان الجوهر يرى وإذا بطلت الاقسام بقى أنه يرى موجوداً
 فأريد ان تكشف لى عن فساد هذا الميزان كشفاً ظاهراً لا اشك فيه
 فقلت : فانا اورد في ذلك مثالا حقاً لم يفتح من قياس باطل واكشف

الغطاء عنه فأقول : قولنا العالم حادث حق ولكن قول القائل أنه حادث لانه مصور قياساً على البيت وسائر الابنية المصورة قول باطل لا يفيد العلم بحدوث العالم إذ يقال ميزانه الحق ان يقال كل مصور حادث والعالم مصور فيلزم منه أنه حادث والاصل الآخر مسلم لكن قولك كل مصور حادث لا يسلمه الخصم وعند هذا يعدل الى الاستقراء فيقول استقرت كل مصور فوجدته حادثاً كالبيت والتدح والقميص وكيت وكيت وقد عرفت فساد هذا، وقد يرجع الى السبر فيقول البيت حادث فنسب اوصافه وهو انه جسم وقائم بنفسه وموجود ومصور وهذه أربع صفات وقد بطل تعليله بكونه جسماً وقائماً بنفسه وموجوداً فثبت أنه معلل بكونه مصوراً وهو الرابع فيقال له هذا باطل من وجوه كثيرة واذكر منها الاربعة الاول أنه إن سلم لك بطلان الثلاث فلا تثبت العلة التي طلبتها فلعل الحكم معلل بعلة قاصرة غير عامة ولا متعدية ككونه مثلاً بيتاً فان ثبت كون البيت غير محدث ايضاً فلعل الحكم معلل بالمعنى القاصر على ما ظهر كونه حادثاً إذ يمكن تقدير وصف خاص يجمع الجميع ولا يتعدى الثاني أنه انما يصح اذا سم السبر على الاستقصاء بحيث لا يتصور أن يشذ منه قسم واذا لم يكن حاصراً بين النفي والاثبات دأراً تصور ان يشذ منه قسم وليس الاستقصاء الحاصر أمراً هيناً والغالب أنه لا يهتم به المتكلمون والفقهاء بل يقولون ان كان فيه قسم آخر فابرزه وربما قال الآخر لا يلزمنى ابرازه وطال الاجاج فيه وربما استدل القاييس وقال لو كان فيه قسم آخر لعرفناه ولعرفته فعدم معرفتنا تدل على نفي قسم آخر إذ عدم رؤيتنا القيل في مجلسنا تدل على نفي القيل ولا يدري قط هذا المسكين أنه لم نعهد قط فيلا حاضراً لم نره ثم رأيناه وكم رأينا معاني حاضرة عجيزنا جميعاً عن ادراكها ثم تنبها لها بعد مدة فلعل فيه قسماً آخر شذ عنا لسنا نتنبه له الا الآن وربما لم تنبها له طول عمرنا : الثالث

انا وان سلمنا الحصر فلا يلزم من ابطال ثلاث ثبوت رابع بل التركيب
 الذى يحصل من اربعة يزيد على عشرة وعشرين اذ يحتمل ان تكون
 العلة آحاد هذه الأربعة أو اثنين منها أو ثلاثة منها ثم لا يتعين الاثنان
 منها ولا الثلاثة بل يتصور ان تكون العلة كونه موجوداً أو جسماً أو
 موجوداً وقائماً بنفسه أو جسماً موجوداً وقائماً بنفسه وموجوداً أو
 موجوداً وبيتاً أو بيتاً ومصوراً أو بيتاً قائماً بنفسه أو بيتاً وجسماً أو
 جسماً ومصوراً أو جسماً وقائماً بنفسه أو جسماً وموجوداً أو قائماً
 بنفسه وموجوداً - فهذه بعض تركيبات الاثنين فقس على هذه
 التركيبات من الثلاث . واعلم أن الاحكام تتوقف على وجود أسباب
 كثيرة مجتمعة فليس يرى الشئ لكون الرأى ذا عين اذ لا يرى بالليل
 ولا لاستتارة المرئى بالشمس اذ لا يرى الاغمى ولا لها جميعاً اذ
 لا يرى الهواء ولكن لجملة ذلك مع كون المرئى متلونا وامور آخر هذا
 حكم الوجود - أما حكم الرؤية فى الآخرة فحديث آخر . الرابع أنه إن سلم
 الاستقصاء وسلم الحصر فى اربعة وتركنا التركيب فباطل ثلاثة لا يوجب
 تعلق الحكم بالاربع مطلقاً بل بانحصار الحكم فى الرابع ولعل الرابع
 ينقسم قسمين والحكم يتعلق باحدهما رأيت لو قسم اولا وقال أما
 كونه جسماً أو موجوداً أو قائماً بنفسه أو مصوراً مثلاً بصورة مربعة
 أو مصوراً بصورة مدورة ثم ابطال الاقسام الثلاثة لم يتعلق الحكم
 بالصورة مطلقاً بل ربما اختص بصورة مخصوصة فبسبب الغفلة
 عن مثل هذه الدقائق خبط المتكلمون وكثر نزاعهم اذ تمسكوا
 بالرأى والقياس وذلك لا يفيدهم اليقين بل يصلح للاقيسة الفقهية
 الظنية ولا مالة قلوب العامة الى صوب الصواب والحق فانه لا يمتد
 فكرهم إلى الاحتمالات البعيدة بل ينجزم اعتقادهم باسباب ضعيفة
 أما ترى العامى الذى به صداع يقول له غيره استعمل ماء الورد فانى
 اذا كان بى صداع فاستعملته انتفعت به كأنه يقول هذا صداع

فينفعه ماء الورد قياساً على صداعى فيميل قلب المريض اليه فيستعمله ولا يقول له اثبت أولاً أن ماء الورد يصلح لكل صداع كان من البرودة أو من الحرارة أو من أبخرة المعدة وأنواع الصداع كثيرة فاثبت أن صداعى كصداعك ومزاجى كزجاجك وسنى كسنىك وصناعتى كصناعتك وأحوالى كاحوالك فإن جميع ذلك يختلف به العلاج فإن طلب تحقيق هذه الامور ليس من شأن العوام لانهم لا يتشوفون اليها ولا من شأن المتكلمين لانهم وإن تشوفوا اليها على خلاف العوام فلا يهتدون إلى الطرق المفيدة برد اليقين وانما هي من (١) شنشنة قوم عرفوها من أحمد صلى الله عليه وسلم وهم قوم اهتدوا بنور الله إلى ضياء القرآن وأخذوا منه الميزان بالقسط والقسطاس المستقيم فأصبحوا قوامين لله بالقسط . فقال الآن هو هذا يلوح لى تخاليل الحق وتباشيره من كلامك فهل تأذن لى فى أن أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً . قلت : هيات انك لا تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً . قال : سجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قلت : أظن أنى نسيت اعازلك بنصيحة رفقاءك ووالدتك ومن نبض عليه عرق من عروق التقليد فلا تصلح لصحبتى ولا أصلح لصحبتك فاذهب عنى فهذا فراق بينى وبينك فانى مشغول بتقويم نفسى عن تقويمك وبالتعليم من القرآن عن تعليمك فلا ترانى بعد هذا ولا أراك فلا تسع أوقاتى أكثر من هذا لاصلاح الفاسد . والضرب فى الحديد البارد . وقد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين * والحمد لله رب العالمين *
والصلاة على محمد نبينا سيد المرسلين *

فها كم أخوانى قصتى مع رفيقى تلوتها عليكم بعجزها وبجرها لتقضوا منها العجب وتنتفعوا فى اثبات هذه المحادثات بالتفطن لامور هى أجل من تقويم مذهب التعليم فلم يكن ذلك من غرضى ولكن اياك اعنى

بيان بعض الكتب

﴿ المطبوعة على نفقة ناشر هذه المجموعة ﴾

عدد

- ١ معارج القدس في معرفة مدارج النفس لحجة الاسلام الغزالي .
- ٢ مقاصد الفلاسفة له أيضاً
- ٣ ميزان العمل . » »
- ٤ معيار العلم . » »
- ٥ جواهر القرآن . » »
- ٦ الاربعين في أصول الدين » »
- ٧ الجواهر الغوالي . » »
- ٨ موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لتفريد العلم والأدب الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي
- ٩ جوامع الآداب في أخلاق الانجاب له أيضاً
- ١٠ النجاة للشيخ الرئيس ابن سينا .
- ١١ جامع البدائع يشتمل على (١٨) رساله اغلبها لابن سينا وعمر الخيام .
- ١٢ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة .
- ١٣ هياكل النور للسهرودي .
- ١٤ كتاب الورع؛ للإمام احمد بن حنبل .
- ١٥ سلوك الممالك في تدبير الممالك .
- ١٦ فصول التماثيل لابن المعتز .
- ١٧ القصيدة المرضية باللغة الكردية والفارسية (للمولوي الكردي)
- ١٨ اساس التقديس لفخر الدين الرازي .
- ١٩ مجموعة الرسائل اغلبها للإمام الغزالي وابن سينا .

﴿ تمت ﴾

واسمى يا جارة * والتاسى من المخلصين قبول معذرتى عند مطالعة هذه
المحادثات فيما آثرته في المذاهب من العقد والتحليل وابدعته في الاسامى
من التغيير والتبديل * واخترعته في المعانى من التخيل والتمثيل *
فلى تحت كل واحد من ذلك غرض صحيح . وسر عند ذوى البصائر
صريح . واياكم أن تغيروا هذا النظام وتنتزعوا هذه المعانى من هذه
الكسوة فقد علمتكم كيف يوزن المعقول بالاسناد الى المنقول .
ليكون القول منهما أسرع الى القبول . واياكم أن تجعلوا المعقول أصلاً
والمنقول تابعاً ورديفاً فان ذلك شنيع منفر . وقد أمركم الله سبحانه
بترك الشنيع والمجادلة بالاحسن . واياكم أن تخالفوا الأمر فتهلكوا
وتهلكوا وتضلوا وتضلوا . وماذا تنفع وصيتى وقد اندرس الحق
وانكسر البثق (١) وانتشرت الشناعة وطارت في الاقطار .
وصارت ضحكة في الامصار . فان قوما اتخذوا هذا القرآن
مهجوراً . وجعلوا التعليمات النبوية هباء منثوراً . وكل
ذلك من قصور الجاهلين . ودعواهم في نصره الدين
منصب العارفين . وإن كثيراً ليضلون باهوأمهم
بغير علم ان ربك هو أعلم بالمهتدين *

(١) البثق - ثبت من الماء . (وإلى هنا تمت الرسائل والله الحمد في الاواخر والاوائل)

﴿ فهرس - اسماء الرسائل النفيسة المندرجة في هذه المجموعة ﴾

صحيفة	صحيفة
١٠٥ القواعد العشرة	٥ كيمياء السعادة
١١٠ مشكاة الانوار	٢٠ الرسالة اللدنيه
١٤٧ رسالة الطير	٤١ الادب في الدين
١٥١ الرسالة الوعظية	٥٩ رسالة أيها الولد
١٥٦ القسطاس المستقيم	٩٥ فيصل التفرقة

نده

می

*

ز

ه

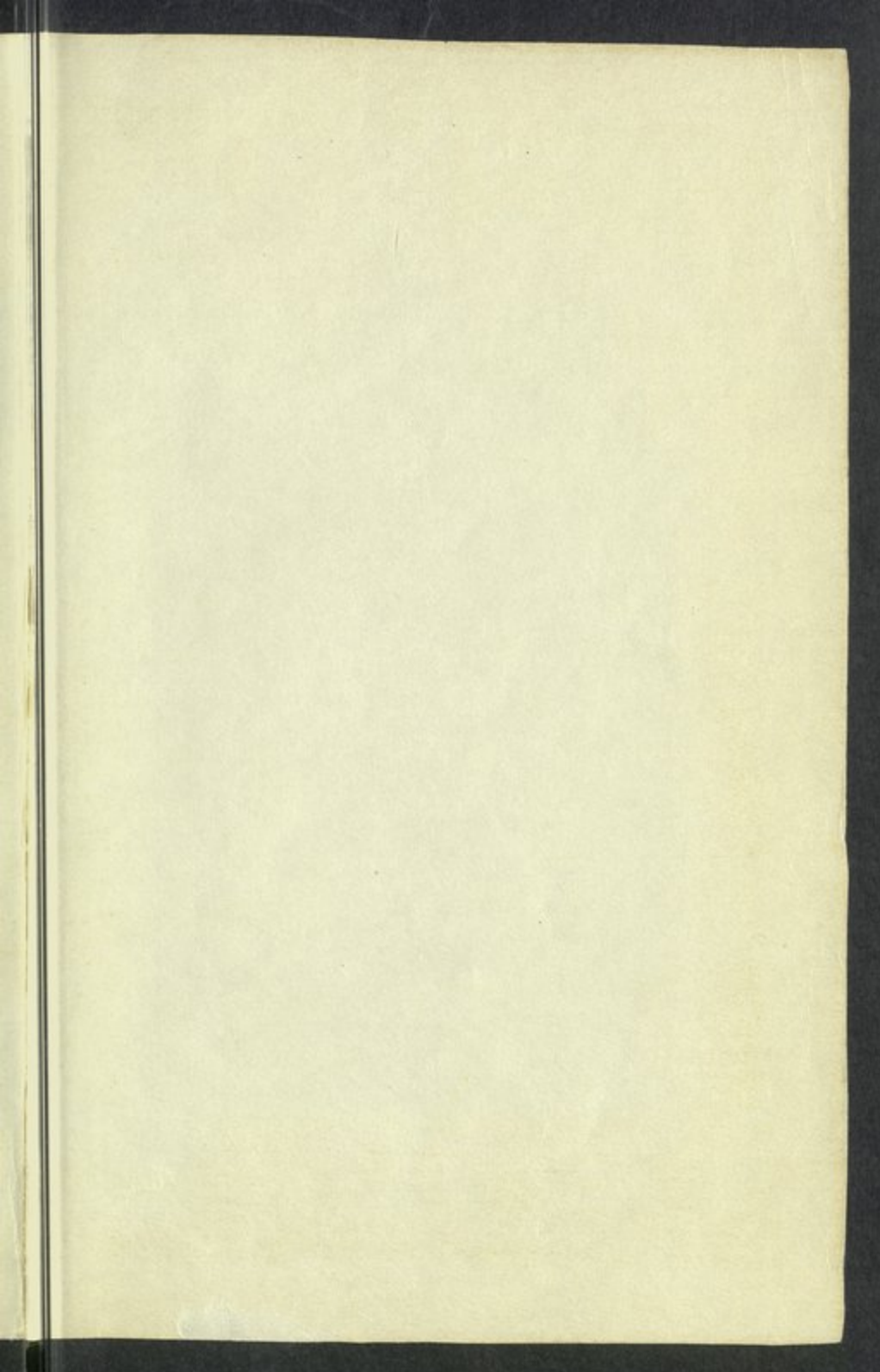
.

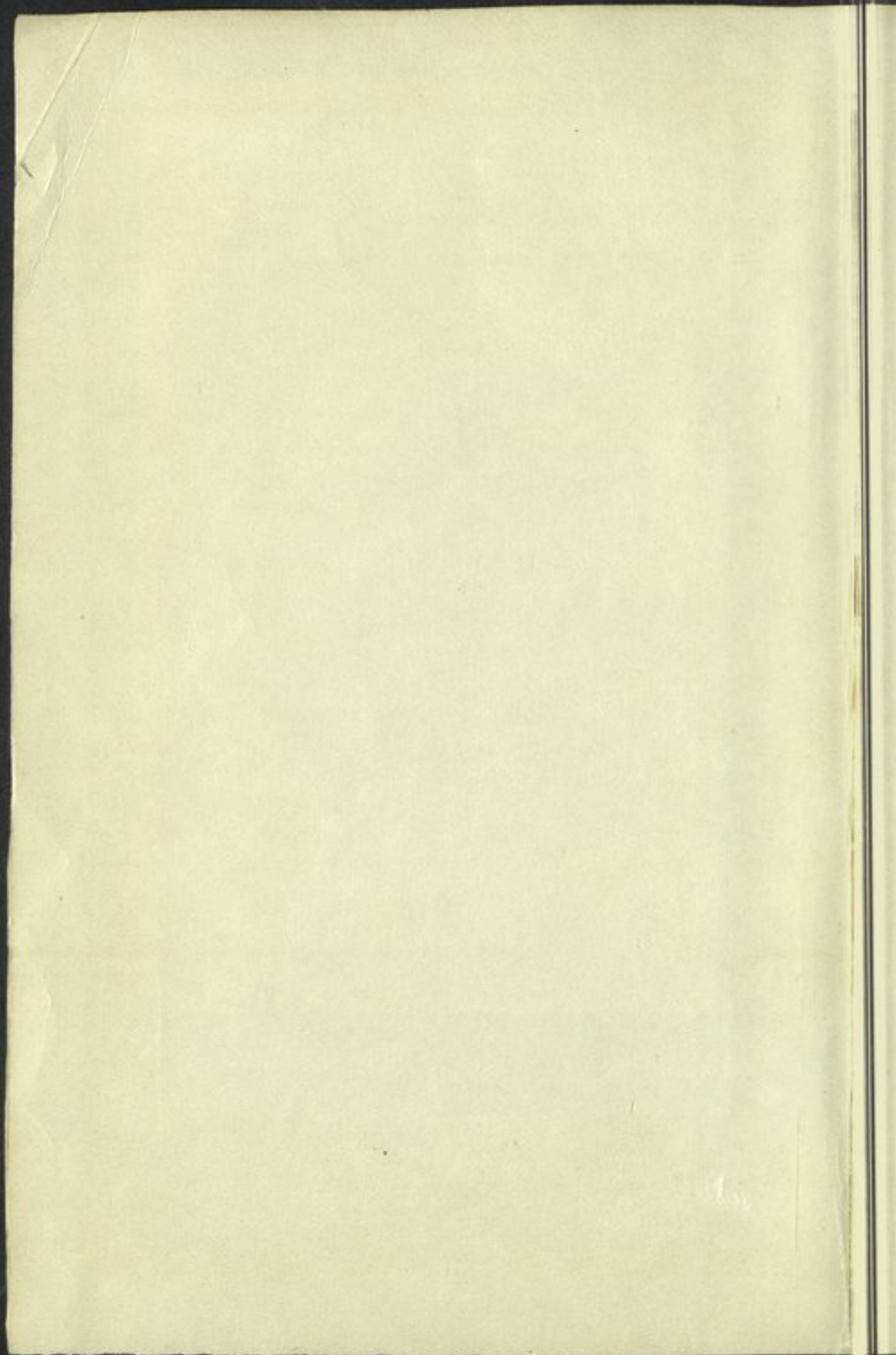
لا

نه

ا

ن





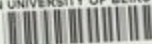
DATE DUE

297.41:G41jaA:c.1

الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد
الجواهر الغوالي من رسائل... الغزالي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



0100954

297.41
G41jaA

297.41
G41jaA
C.I